مصادر التراث العربي

في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم

تأليف

الدكتور عمر الدقاق

نشر وتوزيع المكتبة العربية محمد تيلا بني

حلب - باب النصر - ☎ ١٦٧٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

ان الأمة الحية لا تستطيع ان تتنكر لجذورها وتنسلخ عن ماضيها لأن حاضرها انما هو استمرار لتطورها ، وامتداد لحضارتها، وتوكيد لأصالتها . وقد كانت الكلمة المكتوبة منذ القدم سجلاً لتراث الأمم ووعاء لثقافتها ، ومرآة لآمالها ومطامحها ، وترجماناً عن مشاعرها وأفكارها .

لقد ظلت حواضر العالم العربي منارات إشعاع في العصور الوسطى ، وكانت شعلة الحضارة تنتقل من بلد إلى بلد ، وتتوهج في مكة ودمشق وبغداد وحلب وقرطبة والقاهرة . . . لكنها في كل بلد كانت تحصل على زيت جديد يمدها بنسغ الحياة على مر الزمان .

وإن هذه الأمة الحية ، إلى جانب ما قامت به من تحمل التبعات المادية في حفظ كيانها وحماية حقيقتها في صد موجات الغزو الخارجي من الروم والمغول والصليبيين والأتراك والاوربيين...

لا بد لها كذلك في سبيل تثبيت ذاتها والإبقاء على شخصيتها من أن تحمل تبعات معنوية جليلة في حفظ تراثها وصون ذخائره ونفائسه . وحسبنا في بيان أهمية هذا التراث الحافل أنه باللغة العربية العزيزة رابطة كياننا وعماد قوميتنا وقوام شخصيتنا وركن ثقافتنا .

وما هذا الكتاب إلا دلو بين الدلاء أحاول فيه أن أرصد عيون المصادر والمراجع عند العرب من كتب ومصنفات في الشعر والادب والتراجم واللغة والمعاجم ، لعلي أستطيع فيه أن أجلو تياراً غزيراً في خضم حضارتنا العريقة .

والله ولي التوفيق .

الدكتور عمر الدقاق

المدخل

حركة التدوين والتأليف

لم يكن للعرب في فترة ما قبل الاسلام ثقافة مدونة وعلوم مسجلة ؛ فقد غلبت عليهم البداوة ، واستغرق حياتهم التنقل ، ففشت فيهم الأمية ، ولم يتركوا خلال هذه الحقبة المديدة الغامضة من فجر حياتهم سوى نقوش قليلة تنبئ عما كان لهم من دور حضاري . حتى إن هذه النقوش لم تكن متوافرة الا في بعض المناطق العربية كجنوبي جزيرة العرب وشماليها حيث توجد الاحجار والصخور ، على حين كان باطن الجزيرة واكثر ربوعها سهوباً وصحارى لم تسعف سكانها العرب في ترك مياسمهم على الارض التي عاشوا فيها أحقاباً مديدة .

على أن العرب عرفوا أنماطاً من المعارف والعلوم البسيطة قبل ظهور الاسلام ، مما يتصل بالانساب والطب والانواء والقيافة والفراسة ، واكثرها يقوم على الممارسة والخبرة اكثر مما يقوم التحليل والاستقصاء والبحث المنظم . وإلى مثل ذلك يشير ابن

خلدون في مقدمته بقوله : « وللبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص متوارثة عن مشايخ الحي وعجائزه . وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعي » ومثل هذا يقال فيما ورد عنهم من الكلام في الانواء والسماء . .

ان السمات الحقيقية لحياة العرب العقلية في العصر الجاهلي تتجلى قبل كل شيء في اللغة والشعر والقصص والأمثال . وما من ريب في أنه كان لبعض قبائل العرب نصيب أوفى من التحضر المادي في المناطق التي كانت تجاوز بلاد الروم والفرس وبخاصة دولة الغساسنة ودولة المناذرة . كما أنه كان لبعض القبائل أيضاً حظ أكبر من الإلمام بالكتابة والحسبة مما كانت تقتضيه العلاقات التجارية والدينية والاجتماعية . وقد عرفت قريش بهذا المظهر في مكة . وروي في سيرة الرسول أنه عليه السلام كان قد ارتضى فدية من أسرى المشركين في اعقاب وقعة بدر ان يعلم كل واحد منهم عشرة من شبان المسلمين . وتذكر كتب التاريخ الإسلامي أنه كان من بين صحابه النبي أناس يجيدون الكتابة ، وان محمداً اسند إلى بعضهم تسجيل الوحي . كما تشير

الأحاديث النبوية ، الى مثل هؤلاء الذين كانوا يدونون بعض أقوال النبي وشروحه بصورة طوعية استزادة من المعرفةوالتقوى، من مثل قول النبي « من كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه » .

كان القرن الأول الهجري وهو عهد الخلفاء الراشدين والأموين حقبة تشكل الدولة وامتدادها وتوطيد دعائمها . وكانت الفتوح أهم ما استغرق حياة الدولة والرعية . أما العلوم والمعارف في ذلك العصر فقد استقطبها القرآن وتفسيره ثم الحديث وحفظه مما كان النواة الأولى للحياة العاميه الحافلة التي اضطربت بها العصور العباسية بعد ذلك . ان القرآن — معجزة العرب — أول أثر في فجر الإسلام يحظى بالتدوين ويستأثر باهتمام الناس كافة . فقد أخذ يتنزل على الرسول محمد ﷺ منجماً فيحفظ في الصدور ويدونه كتاب الوحي على الرقاع . حتى اذا ما استتمت آياته ثم خيف الاختلاف من عدم تطابق بعض نصوصه بعد عصر النبي عمد عثمان بن عفان الخليفة الثالث الى جمع هذه الرقاع في سجل واحد عرف بالمصحف ، فنسخ منها أربعة مصاحف بعد تمحيص وتنسيق لتوزع على الأمصار ، ثم أحرق ما عداها من الرقاع .

وكان اكثر المعارف آنئذ يدور في هذا الفلك ـ فلك

القرآن ـ ويتصل من قريب أو من بعيد بالدين الجديد وبخاصة اللغة والشعر . وفي ذلك يقول أبو بكر الزبيدي (١) : « ولم تزل الأئمة من الصحابة الراشدين ومن تلاهم من التابعين ، يحضون على تعلم العربية وحفظها والرعاية لمعانيها . اذ هي من الدين بالمكان المعلوم ، فبها أنزل الله كتابه المهيمن على سائر كتبه ، وبها بلّغ رسوله عليه السلام وظائف طاعته وشرائع أمره ونهيه » .

على أن أكثر هذه المعارف في العصرين الراشدي والأموي كانت تتناقل شفاهاً ، سواء في ذلك الحديث النبوي والتفسير والسيرة والمغازي والشعر والقصص والامثال . ولم يقيض لحركة التدوين الحافلة أن تبدأ إلا بعد انقضاء القرن الاول للهجرة وانتهاء عهد الفتوح ثم قيام الدولة العباسية واستقرار الدولة . واذا استثنينا القرآن لم نقف على أثر مدون ذي بال قبل هذه الحقبة من حياة العرب والمسلمين . ويمكن القول إن باكورة حركة التدوين المباركة في العصر العباسي الاول قد تجلت في تدوين الحديث النبوي . وكان الرسول قد نهى عن تدوين شيء من كلامه خيفة

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ، المقدمة .

اختلاط شيء منه بالقرآن بعد وفاته ، ووقوع رقاع الآيات الكريمة في أيد غير عالمة .

ويبدو أن هذا التوجيه الحكيم ظل سارياً حتى تنبه القوم الى خطر استمراره ، وقد هالهم أن كثيراً من الحفاظ قد قتلوا خلال الغزوات او حروب الردة او ماتوا بعد ذلك ، وأن أمداً غير قصير انقضى على وفاة النبي دون أن تدون أحاديثه ، مما أتاح لبعض ضعاف النفوس التزيد فيه ، أو تحريف بعض نصوصه او اختراع بعضها الآخر .

وهكذا شمر العلماء عن ساعد الجد وانطلقوا يجمعون الحديث ويبحثون في ركامه ويتحرون الدقة في تمييز صحيحه من من فاسده ، كل ذلك في سبيل تدوينه وحفظه . وكانت بحق حركة تدوين ناشطة قل أن يوجد لها نظير عند سائر الأمم في الدأب والتقصي والتحقق . وهذه الحركة المباركة كانت فاتحة عهد طويل زاهر في مضمار التصنيف والتأليف عند العرب .

وقد صاحب تدوين الحديث أو تبعه تدوين معارف أخرى ذات صلة أيضاً بالاسلام وظهوره ، مثل سيرة الرسول ومغازيه ، ثم تاريخ العرب والمسلمين وسائر الأمم القديمة . ولم تلبث حركة

التدوين حتى انتشرت وازدهرت فشملت الشعر والخطب والأمثال واللغة . وهكذا كانت خدمة الدين وتفسير القرآن أول حافز في سبيل تدوين هـذه المعارف والفنون . حتى إن تدوين الحديث النبوي بوسائل وطرائقه ومناهجه قد ترك ميسمه على سائر مناحي التأليف عند العرب وبخاصة في مجال الرواية ودراسة سلسلة الاسناد حول الرواة . ويبدو هذا التأثير واضحاً في طرائق تدوين اللغة وتصنيف المعاجم وفي تسجيل الشعر وتأليف المجموعات الشعرية وفي جمع أخبار العرب وأيامهم وما إلى ذلك من العلوم والمعارف التي انتفعت ايما انتفاع بهذا الضبط والاتقان .

وبوسعنا أن نتبين خلال هذه الحركة العلمية الدائبة مرحلتين متعاقبتين كانت الأولى فيها أساساً للثانية ، وهما مرحلة التدوين التي تقوم على الجمع والتقصي والتسجيل والرصد ثم مرحلة التصنيف والتأليف التي تناولت المواد المجموعة بالتنظيم والتنسيق والتبويب وبالتالي التحليل والاستنباط والمقارنة والابتكار ، فكان الفقه والتشريع نتيجة لتدوين الحديث، والمعاجم نتيجة لتدوين اللغة ، والنقد الأدبي نتيجة لجمع منظوم العرب ومنثورهم ....

* * *

لقد تدفق التراث العربي الحافل خلال عهود مديدة كان يتراوح خلالها بين مد وجزر ونشاط وركود وتجديد وتقليد . ولا بد لنا من اتخاذ العصور التاريخية اطاراً لعهود العلوم والآداب والفنون حتى ندرك مسارها ونقف على تطورها .

فالحقبة العباسية وهي أزهى الحقب العربية حضارةً وثقافةً عهد طويل دام اكثر من خمسة قرون (١٣٢ ـ ٦٥٦) ويمكننا ان نتبين فيه عدداً من العصور تبعاً للأحداث السياسية التي عاشت في ظلها الحركة العلمية والفكرية :

آ ـ العصر العباسي الأول ، ويبدأ من سنة قيام دولة بني العباس على انقاض دولة بني أمية سنة ١٣٢ هـ وينتهي بعد قرن من الزمان أي في سنة ٢٣٢ هـ سنة تولي المتوكل الخلافة . وهو العصر الذهبي في استقرار الحكم وهيبة الخلافة . وفيه ظهر عدد من العلماء الرواد في اللغة والنحو والفقة والتشريع كأبي عمرو ابن العلاء والخليل وسيبويه والكسائي والأصمعي وعيسى بن عمر والفراء وأبي عبيدة وأبي زيد في اللغة والنحو ، والمفضل وحماد وأبي عمرو الشيباني وابن سلام وابن الأعرابي في رواية الشعر ونقده ، والشافعي وأبي حنيفة ومالك وابن حنبل في الفقه

والتشريع ، وأبي العتاهية وبشار وأبي نواس وأبي تمام في الشعر وابن المقفع والجاحظ في النثر ... غير ان هذا الزاد العلمي الهام قد عبثت به الأيام فضاع جانب كبير منه ، شأنه في ذلك شأن الخطوات الرائدة في كل عصر .

ب — العصر العباسي الثاني ، وقد دام أيضاً زهاء قرن من الزمان (٢٣٢ — ٣٣٤) . فهو ينتهي في سنة تقلد البويهيين مقاليد الحكم في بغداد . وقد نشطت خلاله الحركة الأدبية نشاطاً ملحوظاً ، فازدهرت علوم العربية وظهر جيل من العلماء الكبار في الفقه والحديث مثل البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي والطبري والبغوي وعبد الله بن أبي داود السجستاني والحسن بن زكريا العدوي ويحيى بن محمد بن صاعد وأبي بكر ابن مجاهد وأبي يعلى الموصلي .. يقابلهم ابن قتيبة وثعلب والمبرد في الأدب والأنباري وابن الأنباري وابن درستويه وابن دريد والزجاج والأخفش ونفطويه وابن الازهر . . في اللغة والنحو ، والبحتري وابن الرومي ودعبل وابن المعتز في الشعر ، والكندي والفارابي والرازي في الفلسفة والطب والعلوم . .

حـ — العصر العباسي الثالث ، (٣٣٤ — ٤٤٧) وهو العصر

الذي حكم خلاله البويهيون . وهو بحق أزهى العصور العربية حضارة ؛ ففيه بلغت الثقافة العربية أوج تفتحها واتسمت بالغنى والاتساع والتنوع . وقد عم هذا الازدهار أقطار المشرق والمغرب على السواء . انه عصر سيف الدولة والناصر والحكم ، عصر المتنبي وأبي فراس والمعري والرضي والمرتضى وابن هانئ وابن خالويه وأبي الفرج والقالي وابن فارس والأزهري والزبيدي والجوهري وقدامة وأبي حيان والصاحب وابن العميد والآمدي والعسكري والجرجاني والثعالبي والهمذاني ، وابن النديم والمسعودي وابن سينا والبيروني والخوارزمي ..

وقد غصت أبهاء المساجد وحلقات الدرس في هذا العصر بطلاب العلم والمريدين ونشطت حركة تأليف الكتب ونسخها وعمرت المكتبات بآلاف المخطوطات . ويذكر المؤرخون أن مكتبة قرطبة كانت تضم نحواً من أربعمئة الف مجلد وأن عدد فهارس الدواين والمجموعات الشعرية فيها أربعة وأربعون فهرساً .

د — العصر العباسي الرابع ، (٤٤٧ - ٦٥٦) وينحصر بين تسلط السلاجقة على بغداد وبين سقوط عاصمة الدولة العباسية آخر الأمر في أيدي التتار وزعيمهم هولاكو . وقد حفل هذا

العصر بالاضطراب السياسي وكثرة الفتن والثورات والحروب ، وفي إبانه حدثت الغزوات الصليبية ، ثم اجتاح جنكيزخان القائد المغولي البلاد الاسلامية ، وكان عهده وعهد هولاكو من بعده شؤماً على العلم ووبالاً على الحضارة الانسانية التي احتضنها العرب وحملوا شعلتها الوهاجة عدداً من القرون . وقد روي أن مياه دجلة جرت سوداً من كثرة ما ألقي فيها من الكتب والصحائف . ولم يعد هناك من يرعى العلم ويشجع الشعراء ورجال الفكر والفن .

وممن نبغ في هذا العصر في الشعر ابن الفارض وابن مطروح والبهاء زهير والطغرائي وابن خفاجة وابن سهل وابن حمديس ، كما نبغ في اللغة والأدب التبريزي والحريري والجواليقي وابن الشجري والأنباري والعكبري والزوزني وعبد القاهر والزمخشري والراغب الاصفهاني والميداني وابن بسام ، وعرف في مضمار التاريخ والتراجم ابن عساكر وعز الدين بن الأثير والقفطي والسمعاني وياقوت ، وفي المعارف الفلسفية والفكرية ابن حزم والغزالي والشهرستاني وابن العربي وابن باجة وابن طفيل وابن رشد ...

* * *

وإذا تسقط بغداد ويطيح المغول بخلافتها تنتهي الحقبة العباسية لتبدأ حقبة أخرى تتسم بالانحطاط السياسي والضعف العلمي والحضاري . وكان الحكام في الغالب من غير العرب كالمغول والمماليك والأتراك . وفي ابان هذه الحقبة التي تمتد من سنة ٦٥٦ إلى ٩٢٣ هـ يتعرض الشرق العربي لحملة مغولية أخرى بزعامة تيمورلنك ثم لا يلبث العرب في أواخر هذا العصر ان يخرجوا من الأندلس .

وبعد ذلك يبدأ عهد آخر من الضعف والركود منذ دخول العثمانيين الى بلاد العرب سنة ٩٢٣ هـ حتى مجيء نابليون مصر سنة ١٢١٣ هـ .

وقد ظهر من الشعراء في هذه الفترة البوصيري وابن نباتة وصفي الدين الحلي . . ، وقلما نبغ سواهم في الشعر . أما التأليف في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا فقد كاد امره يقتصر على مصر والشام واتسم بمقدار من التقدم ؛ فكان من أبرز المصنفين في الأدب القلقشندي والنويري والأبشيهي وابن خلكان وفي التاريخ والجغرافيا ابن خلدون وابن العديم وابو الفداء والمقريزي والقزويني وابن بطوطة ، وفي النحو واللغة والمعاجم ابن

مالك وابن هشام وابن آجرّوم وابن منظور والفيروز ابادي والسيوطي ...

وبعد ذلك تبزغ شمس النهضة الحديثة على بلاد العرب فاذا العلوم والآداب تنطلق من جديد لتعيد سيرتها الأولى وتسير بالأمة العريقة قدماً في الإسهام في إغناء الحضارة الانسانية .

الفصل الأول

* * *

مجموعات الشعر

إن المكتبة العربية العريقة بما حفلت به من كنوز المؤلفات خلال حقبة مديدة في التاريخ لتعد في طليعة المكتبات التي عرفتها الأمم . ومع ذلك فان ما بين أيدينا ليس إلا غيضاً من فيض . كما أننا لن نعرض في الفصول القادمة إلا إلى جانب يسير مما خلفه لنا الأجداد وضمن فلك العربية وآدابها فحسب . ومما يؤسف له أن شطراً كبيراً من تراثنا العلمي الحافل وثروتنا الأدبية الضخمة قد ضاع في غمار ما حل بالعالمين الإسلامي والعربي من غزوات وحروب وفتن واضطرابات وحرائق وسرقات . يضاف إلى ذلك أن القدامى أنفسهم كانوا في الزمن السالف قد درجوا على محو ما لديهم من بعض الكتب المخطوطة ليعاودوا الكتابة في رقوقها لنسخ مؤلف جديد او تسجيل أمور أخرى بسبب ضآلة انتاج القراطيس من ورق البردي او رقوق الجلد او سعف النخل وارتفاع كلفتها . وقد روى ابن سلام في مقدمة كتابه « طبقات الشعراء » أن أبا عمرو بن العلاء أحد الرواة الرواد كان يقول : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير » . وذكر أيضاً عن عمر بن الخطاب قوله أن الشعر « كان علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت

عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو بلاد فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته . فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يئلوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، فألفَوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم أكثره »

كل ذلك يعنى أن ما استطاع الرواة روايته وتدوينه كان نزراً يسيراً مما أبدعته قرائح العرب . على أن هذا النزر نفسه لم يسلم في معظمه أيضاً من الضياع . وتحدثنا كتب الأدب أن الرواة الأولين عنوا بجمع أشعار القبائل وأن أبا عمرو الشيباني وحده جمع شعر ثمانين قبيلة ، وأن أبا سعيد السكري جمع شعر خمس وعشرين قبيلة عدا ما جمعه الآخرون مثل الأصمعي وابن الأعرابي.. واذا ما نظرنا إلى ما بين أيدينا من ذلك كله لم نقع إلا على مجموعة واحدة تتضمن أشعار هذيل . ومما ساعد على ضياع هذا الشطر من تراثنا ان الأمد طال عليه وهو يتناقل شفاها فلم يقيض له ان يدون في صحائف مكتوبة الا بعد قرن أو أكثر من الزمان .

ومن هنا أيضاً أصبح المجال فسيحاً أمام بعض الرواة الذين راحوا يتزيدون في الشعر أو يخترعون قصائد معينة منه ثم ينسبونها إلى شعراء متقدمين . وهذا السبب نفسه أتاح لبعض رواة الحديث أيضاً أن يتزيدوا فيه . وقد عرف من أولئك الرواة بذلك حماد الراوية وخلف الأحمر ، وكانا من أقدر الناس على الرواية وأعلمهم بالشعر . وفي ذلك يقول ابن الأعرابي (١) : « سمعت المفضل الضبي يقول : قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده ، فلا يصلح أبداً . فقيل له فكيف ذلك ، أيخطىء في روايته أويلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فان أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب . ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبّه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟ » . ومن ذلك أيضاً أن الخليفة المهدي « قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته

---

(١) انظر معجم الأدباء ١٩ : ١٦٤ – ١٦٥ .

في أشعار الناس ماليس منها . ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته »[1] .

* * *

والشعر العربي — في روايته وجمعه وتدوينه — كان محور كثير من العلوم والمعارف؛ فهو يهم الأدباء والنقاد من الوجهة الفنية الجمالية ، كما يهم كلاً من اللغويين وأصحاب المعاجم والبلاغيين والعروضيين والنحويين ، ويهم أخيراً المفسرين وشارحي الحديث والمهتمين بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ومختلف أحوالهم . وقد نجد في هذا الشعر أيضاً مجالاً لدراسات أخرى في هذا العصر تلقي مزيداً من الضوء على حياة العرب الاجتماعية ونزعاتهم النفسية واتجاهاتهم الفكرية .

كان العرب في جاهليتهم وإسلامهم ينتجون أدباً ، شعراً ونثراً ، فيما يعرض من مناسبات وأحداث ، وما يجدّ من بواعث وحوافز . تدعو دواع للخطابة فيخطبون وللمثل فيضربون وللشعر فينشدون . وكان يقابل عملية الانتاج والخلق هذه عملية أخرى تعقبها وتكملها ، وهي حفظ هذا النتاج البديع . وان مرحلة

(١) المصدر السابق ١٩ : ١٦٥ – ١٦٦ .

التاريخ الأدبي تلي دائماً مرحلة الوجود الأدبي ، ثم تأتي أخيراً مرحلة النقد والتحليل بعد أن تكتمل مرحلة الرصد والتسجيل .

وفي فجر الإسلام بل منذ ما قبله كانت رواية الشعر تجري عفوية على بعض الألسنة وتتناقل على نطاق يتسع أو يضيق تبعاً لمكانة الشاعر وعلى حسب موقع القصيدة في النفوس . وإلى جانب هؤلاء جرى بعضهم على عادة أصبحت تقليداً ، وهي أن الشاعر الناشىء كثيراً ما كان يتتلمذ على شاعر آخر أرسخ قدماً في الشعر ، فيلازمه ويغدو راويته ، فكان زهير بن أبي سلمى راوية أوس بن حجر ، والحطيئة وكعب راويتي زهير ، وأبو ذؤيب راوية ساعدة بن جؤية الهذلي ، وكثير بن عبد الرحمن راوية جميل بن معمر .. الخ .. فكان هؤلاء وأولئك يدأبون في حفظ ما تبدعه قرائح العرب شفاها أيام فشو الأمية .

ثم كثر هؤلاء الرواة في أوائل العصر العباسي ونبه شأنهم وأصبح من بينهم محترفون للرواية منقطعون إليها ، وكان في طليعتهم أبو عمرو بن العلاء الذي كان إماماً في اللغة والرواية والقراءات وشيخ جيل من العلماء ، وأبو عمرو الشيباني والأصمعي وأبو زيد الانصاري وأبو جعفر الرؤاسي ومحمد بن حبيب وعيسى

ابن عمر والمفضل الضبي وخلف الأحمر وحماد بن ميسرة وأبو الحسن الطوسي وابن الأعرابي وابن سلام الجمحي وأبو سعيد السكري . . وقد تصدى هؤلاء العلماء لجمع الشعر في جملة ما تصدوا لجمعه من لغة العرب وأيامهم وأخبارهم وأمثالهم ، يسعفهم على ذلك ذكاء وقاد وقريحة صافية وذاكرة عجيبة . فكانوا يروون معارفهم بتدفق ويرتجلونها عن ظهر قلب .

وكتب الأدب حافلة بأخبار هذا الجيل من علماء العربية وغزارة علمهم واتساع محفوظهم . وقد ذكر عمر بن شبّة أن الأصمعي كان يحفظ ستة عشر ألف ارجوزة عدا القصيد . كما أورد ابن قتيبة في مقدمة « الشعر والشعراء » أن واحداً من الرواة واسمه أبو ضمضم أنشد بعض الفتيان مرة شعراً لمائة شاعر ، وقال مرة أخرى لثمانين شاعراً ، كلهم اسمه عمرو . ولم يكن أبو ضمضم بأروى الناس .

واتخذ العلماء في روايتهم لشعر العرب طرائق جمع الحديث وحذوا في ذلك حذو علمائه ، من حرص على تسلسل الرواية وصحة الاسناد ، وإن لم يبلغوا في ذلك من التدقيق والتشدد ما بلغه الفقهاء والمحدثون .

ولم يكد يمضي صدر العصر العباسي حتى كان لنا مجموعات ضخمة من المعارف والآداب بلسان الضاد من شعر ونثر وخطب وأمثال ونوادر وأخبار . وكان للشعر من ذلك أوفى نصيب . وبوسعنا أن نميز بين ثلاثة سبل سلكها الرواة في تصنيف الشعر العربي :

آ ـ تدوين أشعار القبائل ، وذلك انطلاقاً من طبيعة النظام الاجتماعي السائد عند العرب ، والحرص على مراعاة الشخصية القبلية التي قد تتميز بلهجتها وتستقل بشعرائها وتنفرد بأيامها ووقائعها . وقد عصفت الأيام بأكثر ما ألف في هذا اللون.

ب ـ صناعة دواوين الشعر ، فقد أولى الرواة من تقدمهم من الشعراء عناية كبيرة إلى جانب عنايتهم بجمع أشعار القبائل . فظهرت لأول مرة دواوين امرىء القيس وزهير ولبيد والأعشى والنابغة والحطيئة والفرزدق . . والكثيرين من أمثال هؤلاء الشعراء . وهذا اللون من التأليف طغى واتسع وساد ، والأمثلة عليه كثيرة معروفة .

حـ ـ تصنيف المجموعات الشعرية المختارة ، وهو النمط الذي

حظي باهتمام خاص من العلماء والنقاد والذي يجدر بنا ان نقف عنده .

على أنه لابد لنا أن نلاحظ أن هذه الأنماط من المجموعات الشعرية لا تشكل مراحل بالمعنى الصحيح ، فهي ليست في حقيقة الأمر إلا حركة واحدة دائبة في محاولة جمع الشعر واستيعابه وحفظه ، كانت تنطلق في أوجه متعددة وتنطوي على أنماط متنوعة . والرواة أنفسهم كانوا يعنون بالتأليف في عدد من هذه الأنماط ، فأبو عمرو الشيباني وأبو سعيد السكري وأمثالهما كانوا يصنفون أشعار القبائل ويصنعون في الوقت نفسه الدواوين المنفردة للشعراء .

والأمر الآخر أن هذه المصنفات على تنوعها كانت تدور في الغالب داخل فلك الشعر القديم دون ان تتعداه إلا في القليل أو النادر . وهذه المجموعات كلها لم تكن في الواقع الا المدرسة الكبرى التي تخرج فيها الشعراء المحدثون في العصر العباسي .

لقد انطوت المجموعات الشعرية المختارة على جانب عزيز من أشعار العرب المبددة ، وأكثرها عرف بأسماء رواته وجامعيه كالمفضليات والاصمعيات وحماسة أبي تمام وحماسة البحتري ...

فقد بدا للرواة والمصنفين في إزاء تراكم هذا النتاج الشعري لدى العرب وغزارته ان من العسير الإحاطة به واستقصاءه وأن الخاصة فضلاً عن العامة ينوؤون بحمله . فكان لا بد من انبثاق ظاهرة الاختيار هذه .

وكانت ثمة بواعث أخرى على تأليف هذا النمط ونعني به الشعر المختار ، منها ارتباط الأدب الوثيق بمجالس الخلفاء والامراء وهؤلاء يدرون المال حين يسرهم الكلام ويطربهم الشعر . والأدباء بحاجة الى المال يستعينون به على شؤون معيشتهم فلا عليهم أن يعكفوا على تخير ما يحسن أن يروى في هذه المجالس. ومن هذه الأسباب أيضاً أن هؤلاء العلماء والادباء قد يعهد إليهم بتربية أولاد الخلفاء ، والأمراء كما كان شأن الجاحظ والمفضل والقالي والفراء والكسائي . . .

ثم أن عملية الانتخاب هذه خضعت أيضاً لسنة النشوء والارتقاء ، فبدأت ساذجة لا يعنى فيها بأكثر من انتقاء النصوص وما يستحسن فيها من الاخبار والاشعار ، سواء أكان ذلك في كتب الأدب أم في مجموعات الشعر .

وهذه الظاهرة بادية فيما صنفه المفضل والاصمعي وفيما ألفه الجاحظ والمبرد .. دونما ضابط من نظام أو تبويب .

وانتقلت عملية الاختيار بعد ذلك خطوة أخرى نحو الكمال والترتيب في مثل حماستي البحتري وأبي تمام وكتابي عيون الاخبار والعقد الفريد . . وما إلى هذه الكتب ، فأصبحت المختارات المتشابهة تتضامّ بعد تفرق لتنضوي تحت عنوان كبير واحد من مثل باب الحماسة أو المراثي ومثل كتاب الصفات أو الحرب .

وعلى الرغم من تشابه كتب المختارات واستقائها من مصادر واحدة فقد كان لكل كتاب طعم ينم على ذوق صانعه ولون يدل على شخصية مؤلفه ، فضلاً عن غلبة لون من الأدب على كتاب قد لا ينطوي عليه كتاب آخر ... وهكذا فان مثل هذه الكتب على تشابهه في كثير من الاحيان يكمل بعضه بعضا ويرسم لنا صورة متكاملة للمنازع الذاتية والملامح الشخصية التي نسعى إلى تلمسها ورصدها في الوجدان العربي .

وإذا كانت مجموعات الشعر المختار تستوي مع مجموعات شعر القبائل ومع الدواوين الخاصة بكل شاعر من الشعراء في أن لها قيمة علمية وتاريخية كبرى ، فانها قد تمتاز عن النوعين

الآخرين في أنها تنطوي أيضاً على قدر — وإن يكن يسيراً — من النقد الأدبي بصورة غير مباشرة لأنها تقوم في الأصل على تحكيم الذوق في العناصر الفنية التي تسري في داخل قصائدها . إذ ليس مدار الأمر فيها على التتبع والتقصي والاكتفاء بالرصد والتسجيل بل على اصطفاء الأجمل وانتقاء الأفضل واختيار الأمثل. وهذا منطلق النقد وأساس الحكم الأدبي . ومن هنا أيضاً كان للمفضليات شأنها وكان لحماسة أبي تمام منزلتها . ومن هنا أيضاً كانت أمثال هـذه المختارات أشمل في دلالتها على روح عصرها وأبلغ في الشفوف عن ذوق صاحبها .

ولم يؤثر عن العرب قبل تصنيف هـذه المجموعات من الاختيار إلا ما يروى من استحسانهم لبيت او لمجموعة من أبيات وإلا ما يروى من تنازعهم على أفخر بيت للعرب وأهجاه وأغزله ، وإلا ما يروى عن اختيار مبكر في العصر الجاهلي للقصائد ، المعلقات التي تكون مرة سبعاً ومرة ثمانياً ومرة عشراً .

* * *

ومما هو جدير بالملاحظة أن عناية الرواة الأوائل اتجهت في بادىء الأمر الى رواية الشعر القديم وبخاصة الجاهلي حتى كادت

تقصر جهدها عليه . وهذه ظاهرة طبيعية تجاه نتاج أدبي حافل طال عليه الأمد قبل أن يحظى بالجمع والتدوين ، ومع ذلك فقد تعرض جانب كبير منه للضياع قبل أن يتدارك أولئك الرواة ما تبقى منه ، وكان ذلك منهم عملاً جليلاً . ولذلك قلما وقعنا في مثل هذه المجموعات المختارة على شعر محدث ، على كثرة الشعراء المحدثين الذين عاصروا أولئك الرواة في إبان العصر العباسي . يؤيد ذلك ما تضمنته مجموعات المفضليات والاصمعيات وكتب الحماسة وسائر المختارات . حتى إن أكثر من صنّف في الشعر عصرئذ كابن سلام وابن المعتز حصر اهتمامه في طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين دون أن يتعداهم إلى الشعراء العباسيين . وقد غالى بعضهم في ايثار ذلك الشعر القديم وبالغ في الاحتفال به ، على حين أشاح بوجهه وأعرض عن الشعر المحدث ، وبلغ ذلك بالكثيرين من العلماء حد التعصب لكل قديم والإزراء بكل جديد .

على أنه لم يكن أمام هـذا الاندفاع إلا أن يتئـد فتقر المنازع وتتطامن الحماسة للقديم ، فلا تلبث موجة التعصب والمغالاة أن تنحسر وبخاصة بعد أن اثبت الشعر المحدث قوته ومضارعته

للقديم حين نبغ في العصر العباسي عدد من الشعراء الفحول الذين أضافوا أمجاداً طارفة إلى تالد الشعر العربي . وقد صدرت أول بادرة من بوادر الاهتمام بالشعر المحدث وإنصافه والعطف على أصحابه عن علم من أعلام الرواية في الشعر القديم هو أبو عمرو ابن العلاء ؛ فقد راح يقول : « لقد كثر هـذا الشعر المحدث وحسُن حتى لقد هممت بروايته » »[1] . ولم تترجم هذه الرغبة إلى حقيقة علمية إلا بفضل ابن قتيبة في القرن الثالث حين نظر « بعين العدل على الفريقين » « إذ لم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوماً دون قوم » .

ثم أعقب ذلك جيل من العلماء أخذوا يعنون برواية الشعر المحدث ونقده وتحليله عنايتهم بالشعر القديم . ولم يمض أمـد قصير حتى مال الكثيرون إلى الشعر المحدث من مثل أبي بكر الصولي والحسن بن بشر الآمدي وأبي الحسن الجرجاني، ويحي ابن علي التبريزي . . وقصر بعضهم جهده على شعر المحدثين في مقابل ما كان من أمر اسلافهم تجاه شعر الأقدمين . ومن أبرز هؤلاء الادباء والمؤلفين أبو منصور الثعالبي وابن بسام الاندلسي.

---

(١) الشعر والشعراء : ١ : ٦٣ ، تحقيق وشرح أحمـد محمد شاكر . دار المعارف ١٩٦٦ .

وبرز جيل آخر من العلماء الذين أخذوا يواكبون من يعاصرونهم من الشعراء ويحرصون على صناعة دواوينهم ورواية أخبارهم وشرح أشعارهم .

وجملة القول ان الشعر بحق ديوان العرب وترجمان أفكارهم وعنوان مفاخرهم ، وهو إلى ذلك المرآة الصادقة لحياتهم والصورة الحية لنزعاتهم وأفكارهم وآلامهم ومطامحهم . وهو الذي حفظ على العرب مجدهم الادبي وتجلت فيه قدرتهم على البيان وبراعتهم في فن القول . وقد أثر عن النبي قوله « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين » . ولسنا نعرف أمة تغلغل الشعر في حياتها تغلغله في العرب . ونظرة واحدة إلى تراثنا الادبي تجعلنا نخال أن جميع العرب شعراء ، فمن لم يمتلك موهبة نظم الشعر لا بد أن يتذوقه ويطرب له ويستشهد به .

المفضليات

لا نعلم أحداً قبل المفضل الضبي المتوفى سنة ١٦٨ هـ أقدم على أن يصنع للناس اختياراً من الشعر . وعلى ذلك يكون كتاب « المفضليات » رائد المصنفات في هذا المجال ، ويعود تأليفه إلى وقت مبكر نسبياً حوالي منتصف القرن الثاني للهجرة. والمفضل علاّمة راوية للأخبار والآداب وأيام العرب موثق في روايته ، وأحد القراء البارزين ، وهو كوفي . قال عنه ابن سلام : « أعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي » .

أما سبب تأليفه الكتاب فتتحدث عنه كتب التراجم في قصة ذات صلة بالأحداث التاريخية في أوائل العصر العباسي ، وفحواها أن المفضل كان في جماعة ابراهيم بن عبد الله من ولد علي بن أبي طالب وخرج معه ثائراً فيمن خرج على الخليفة المنصور . وقد ظفر به أبو جعفر بعد ذلك بعد أن وقع بيده أسيراً . ثم عفا عنه ، وألزمه المهدي ابنه ليكون مؤدباً له .

وللمهدي اختار هذه القصائد . وفي رواية أخرى أوردها أبو الفرج الأصفهاني أن المفضل نفسه قال : « كان ابراهيم بن عبد الله ابن الحسن متوارياً عندي فكنت أخرج وأتركه . فقال لي : إنك إذا خرجت ضاق صدري ، فأخرج إليّ شيئاً من كتبك أتفرج به . فأخرجت إليه كتباً من الشعر ، فاختار منها السبعين قصيدة التي صدرت بها اختيار الشعراء ثم أتممت عليها باقي الكتاب » . وذكر أبو علي القالي في كتابه « الأمالي » : « ان المفضل أخرج من القصائد ثمانين للمهدي ، وقرئت بعدُ على الأصمعي فصارت مائة وعشرين » . ثم اختار أصحاب الأصمعي قصائد أخرى اختاروها وضموها إلى المفضليات . وفي رواية أخرى أوردها الانباري في مستهل شرحه للمفضليات أن الخليفة المنصور هو الذي تقدم الى المفضل في اختيار قصائد للمهدي .

ومهما يكن من أمر فان هذه الأخبار تتفق في جوهرها على أن المفضل الضبي اختار الجانب الأوفى من الشعر القديم الذي تنطوي عليه تلك المجموعة الرائدة ، وتبلغ القصائد ١٢٨ قصيدة ، وقد تنقص على ذلك قليلاً او تزيد فتصير ١٣٠ ، كما

أن بعضها قد يتقدم أو يتأخر على حسب الرواية . والرواية المعتمدة هي التي رواها ابن الأعرابي عن المفضل .

أما تسمية المجموعة بـ « المفضليات » فيغلب على الظن أنها لم تطلق من قبل المفضل نفسه وإنما نسبت إليه وعرفت بذلك من بعده .

وتتبوأ المفضليات منزلة رفيعة بين مجموعات الشعر القديم ؛ فهي بالاضافة إلى قيمتها التاريخية وإبقائها على جانب هام من الشعر الجاهلي الذي كان عرضة للضياع وأنها أقدم مجموعة شعرية ، تمتاز أيضاً بأن قصائدها قد أثبتت فيها كاملة لم يجتزىء منها المفضل قليلاً ولا كثيراً ، وأنها أيضاً تحتوي نخبة من أشعار المقلين . والشعراء جلهم جاهلي وقليل منهم مخضرم وإسلامي ويبلغون ٦٦ ستة وستين شاعراً ، روي لهم في هذه المجموعة من الأشعار نحو من ٢٧٠٠ بيت . ونعد من بينهم تأبط شراً ، ومتمم بن نويرة ، والحصين بن الحمام المري ، والمزرد ، والشنفرى وسلامة بن جندل والمرقش الأكبر والمرقش الأصغر والمثقب العبدي وذا الإصبع العدواني ، وبشر بن أبي خازم ، وعامر بن الطفيل ، وأبا ذؤيب الهذلي ...

وقد حظيت المفضليات بعناية عدد من الشراح القدامى في مقدمتهم الأنباري - ٣٠٥ هـ وشرحه أقدم الشروح وأهمها وأوفاها، ومنهم ابن النحاس - ٣٣٨ هـ، والمرزوقي - ٤٢١ هـ، والتبريزي - ٥٠٢ هـ، والميداني - ٥١٨ هـ ...

كذلك لقيت المفضليات اهتمام العلماء في عصرنا هـذا فتوافر على نشرها وضبط نصوصها وتحقيق أصولها نخبـة من المستشرقين ومن العرب . وكان ان صدرت في طبعات جيـدة مفهرسة في أوربا وفي مصر[1] .

---

(١) ١ - طبعة لايبزيغ ١٨٨٥ وهي أول طبعة صدرت للمفضليات بعناية المستشرق الالماني توربكه .
٢ - طبعة التقدم بمصر ١٩٠٦ وهي طبعة تجارية في شرح ضئيل . وتقع في نيف ومائة صفحة .
٣ - طبعة مصرية ١٣٣٤ هـ في جزأين مع شرح بسيط لأبي بكر ابن عمر داغستاني المدني .
٤ - طبعة مصرية ١٣٤٥ هـ بشرح موجز لحسن السندوبي .
٥ - طبعة بيروت ١٩٢٠ وقـد أصدرهـا المستشرق الانكليزي كارلوس يعقوب لايل *Lyall* مع ترجمـة المفضليات الى الانكليزية ، بنفقة جامعة اكسفورد في مطبعة الآباء اليسوعيين وهي بشرح الأنباري المسهب ، وتقع في نحو ٩٠٠ صفحة=

الاصمعيات

يعد الأصمعي في الطليعة من العلماء الأقدمين ، كان قوي الذاكرة غزير المحفوظ متمكناً في اللغة عالماً بأنساب العرب وأيامها وأخبارها وأشعارها وأرجازها . وصفه المبرد بأنه « بحر في اللغة لا يعرف مثله فيها وفي كثرة الرواية » . ومن كتبه العديدة مجموعته الشعرية المعروفة بـ « الأصمعيات » .

والأصمعيات هي المجموعة الشعرية الثانية بعد المفضليات وتعد متممة لها . وقد أطلق عليها هذا الاسم من قبل تلاميذ الأصمعي شأنها في ذلك شأن المفضليات قبلها تمييزاً لها من مجموعة

= من القطع الكبير ، وتمتاز بضبطها واتقان تشكيلها ، ولها مدخل باللغة الانكليزية . ولهذا المجلد ملحق قيم ينطوي على مجموعة مفيدة من الفهارس صنعها المستشرق بيفان .

٦ ـ طبعات دار المعارف بمصر ، وهي عديدة صدرت أولاها عام ١٩٤٣ ، والثانية عام ١٩٥٢ والثالثة عام ١٩٦٥ . وتحتوي خلاصة مركزة للشروح على المفضليات . وقد حققها وعلق عليها بعناية : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، وتمتاز أيضاً بمجموعة قيمة من الفهارس الوافية .

المفضل ، ومع ذلك وقع الاختلاط بينهما وحدث التداخل بين بعض أشعارهما . وكثيراً ما جمع الوراقون في القديم بين المفضليات والأصمعيات في كتاب مخطوط واحد ، فالتبس الأمر على بعضهم فعد قصائد من المفضليات على أنها أصمعيات .

كذلك اقتصرت مجموعة الأصمعيات على الشعر القديم وبخاصة الشعر الجاهلي وجانب من شعر المخضرمين والاسلامين ، وكثير من الشعراء نجدهم أيضاً في المفضليات ولكن في قصائد أخرى . وممن اختار لهم الأصمعي دريد بن الصمة وعروة بن الورد وعمرو بن معد يكرب ومهلهل بن ربيعة والمتلمس والمنخّل والسموءل ومالك بن نويرة . . . وبلغ عدد هؤلاء الشعر ٧٢ اثنين وسبعين شاعراً كانت قصائدهم ٩٢ اثنتين وتسعين قصيدة ومجموع أبياتها ١٤٣٩ بيتاً .

نشرت الأصمعيات أول مرة في ليبزيغ بألمانيا سنة ١٩٠٢ ثم نشرت في طبعة علمية محققة بالقاهرة سنة ١٩٥٥ (١) .

(١) صدرت الطبعة الأوربية في لا يبزيغ بعناية المستشرق الألماني أهلوارد *Ahlwardt* او وليم بن الورد البروسي كما يسمي نفسه ، وذلك ضمن الجزء الأول من كتاب يحمل اسم (مجموع أشعار العرب) =

السبع الطوال

السبع الطوال هي القصائد الشهيرة لسبعة من فحول الشعر المتقدمين في العصر الجاهلي . وتعرف أيضاً باسم المعلقات وبعضهم يدعوها السبعيات أو المذهّبات أو السموط ..

والشائع أن الراوية حماد بن ميسرة هو الذي جمع هذه القصائد . وكان حماد معاصراً للمفضل الضبي ، ويعد من أعلم الناس بالشعر وأرواهم له .

والآراء تتضارب عند القدماء وعند المعاصرين على السواء حول أصل تسمية هذه القصائد بالمعلقات ؛ فبعضهم ينكرها وبعضهم يثبتها.

= غير ان الطبعة غير موفقة تنطوي على أخطاء في رواية النصوص ، وقد أساء صاحبها الى الأمانة العلمية من وجهين ؛ فقدم وأخر في القصائد واصطنع ترتيباً مغايراً للأصل ، ثم حذف ١٩ قصيدة من الاصمعيات بحجة انها مكررة في المفضليات .

وطبعة القاهرة صدرت سنة ١٩٥٥ بتحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون . وهي جيدة تنطوي على فهارس وتعليقات قيمة.

ومما جاء في العقد الفريد قول ابن عبد ربه [1] « لقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب وعلقتها بين استار الكعبة ، فمنه يقال مذهّبة امرىء القيس ومذهبة زهير والمذهبات السبع . . » ولا يخرج ما قاله ابن رشيق في كتابه « العمدة » عن ذلك . وقال البغدادي[2]: « ومعنى المعلقة أن العرب كانت في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض فلا يعبأ به ولا ينشده أحد . حتى يأتي مكة موسم الحج فيعرضه على أندية قريش ، فان استحسنوه رُوي وكان فخراً لقائله وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر اليه ، وإن لم يستحسنوه طرح ولم يُعبأ به . وأول من علق شعره في الكعبة امرؤ القيس » .

وبعضهم ينسب الى حماد بن ميسرة جامع المعلقات وراويها أنه هو أيضاً أول من أطلق عليها اسم المعلقات . أما ابن النحاس (أحمد بن محمد ـ ٣٣٨) فهو يعتقد بأن حماداً هو الذي جمع السبع

(١) العقد الفريد ٥ : ٢٦٩ .
(٢) خزانة الادب ١ : ٦١ ، بولاق .

الطوال ورواها ، غير أنه يشك في قصة تعليقها فيقول : « ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقه على الكعبة »[1] .

والحق أن اعلام المتقدمين كالجاحظ والمبرد وابن قتيبة وأبي الفرج لم يذكروها بهذا الاسم ولم يوردوا قصة تعليقها ، ما عدا أبا زيد القرشي فهو يذكرها باسم المعلقات في مجموعته الشعرية « جمهرة أشعار العرب » دون ان يعلق على تسميتها بشيء او يشير إلى أمر تعليقها أيضاً في مقدمته المسهبة . كما أن كبار الشراح الذين تصدوا لتفسير القصائد السبع لم يذكروا أنها معلقات. نذكر منهم ابن الأنباري وابن النحاس والزوزني والتبريزي .

ومهما يكن من أمر فقد كانت هذه القصائد في نظر الأقدمين نخر العرب في الجاهلية ومن عيون الشعر المختار . وبعضهم يصل بها إلى عشر قصائد معلقات .

وقد لقيت المعلقات لشهرتها عناية بالغة من اللغويين والنقاد وتوافر على شرحها كثيرون ، لعل أقدمهم ابن الأنباري شارح المفضليات . وهو شرح مسهب ينم على فضل صاحبه وغزارة

(١) معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٦ ، ونزهة الالباء ٤٣ .

علمه . فهو يشرحها من زوايا اللغة والنحو والتاريخ والأنساب ويعالجها معالجـة وافية تعتمد على المقارنة الجيدة بايراد الشواهد النادرة ، وتحرص على ايضاح ما له صلة فنيـة بأسلوب القرآن والحديث [1] . وثمـة شروح أخرى أقل إسهاباً وتمتاز أيضاً بالتركيز والوضوح أشهرها شرح التبريزي وشرح الزوزني . ولهذين الشرحين شيوع بين أيدي المتأدبين ، وقد طبعا مرات كثيرة في طبعات تتفاوت جودة وفضلاً .

جمهرة أشعار العرب

تنسب هذه المختارات الشعرية « جمهرة أشعار العرب » إلى أبي زيد القرشي ، محمد بن أبي الخطاب . وهو شخصية غـير معروفة لدينا ، وتاريخ حياته وهويته يحيط بهما الغموض لأن الأقدمين لم يترجموا له فلم نعرف عنه أكثر مما عرفنا . ويرى

(١) صدرت المعلقات بشرح ابن الانباري باسم « شرح القصائد السبع الطوال » عن دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٣ ، وذلك بعنـــاية عبد السلام هارون . وهي طبعة علميـــة محققة تمتـاز بفهارسها وتعليقاتهـا .

بعض الباحثين أنه توفي نحو سنة ١٧٠ [١] . ويرى بعضهم الآخر أنه من الجيل الذي عاصر المفضل أو أدركه ، بدليل ما يرويه عنه مباشرة خلال مقدمة كتاب الجمهرة . والمرجح أن أبا زيد عاش بعد ذلك وأنه من رجال القرن الثالث ، وذلك لأن القرن الثاني لم يعرف فيه المؤلفون مثل هذه النزعة الى التنظيم والتبويب وكتابة المقدمات التي نلاحظها في كتاب القرشي ، فضلاً عما يعتقده بعض المحققين من أن في مقدمة الكتاب خلطاً وقع فيه النساخ بين المفضل الضبي وبين المفضل المجبّري فحصل التباس في بعض الأذهان [٢] .

(١) انظر مقدمة الالياذة بقلم سليمان البستاني ، وانظر ضحى الاسلام ٢ : ٢٧٦ .

(٢) وقع الاستاذ أحمد امين في هذا الالتباس . غير أن الدكتور أمجد الطرابلسي فطن إلى رأي وجيه نعتقده صواباً ؛ فقد جنح في كتابه « حركة التأليف عند العرب » ص ١٠٤ الى أن المفضل الذي ورد ذكره في مقدمة أبي زيد ليس المفضل الضبي بل شخصية أخرى هي المفضل بن عبد الله بن المجبر ، وأن هـذا يلي جيل المفضل الضبي . وعلى ذلك فان أبا زيد القرشي لا يمكنه بالتالي أن يأخذ عن المفضل الضبي بدليل أنه يروي أموراً عن أشخاص عاصرهم وبينهم وبين المفضل فاصل من الزمان لا يسمح لابي زيد أن يدرك المفضل .

وقد شاعت التسمية بالجمهرة خلال هذا القرن الثالث وما بعده كما شاعت تسمية مصنفات أخرى بالأمالي ، فكانت أيضاً جمهرة اللغة لابن دريد ثم جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ..

ويمتاز كتاب جمهرة أشعار العرب عما تقدمه من الكتب في موضوعه بأمرين : مقدمته النقدية المسهبة وتبويبه الدقيق المحكم .

أما المقدمة فلا نعرف كتاباً انطوى عليها فيما تقدم من كتب مماثلة كالمفضليات والأصمعيات . . ويمكننا أن نتبين فيها ثلاثة أقسام :

آ ـ استهل أبو زيد كتابه بقوله : « هذا كتاب جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام الذين نزل القرآن بلغتهم ، واشتقت العربية من ألفاظهم ، واتخذت الشواهد في معاني القرآن وغريب الحديث من أشعارهم ، وأسندت الحكمة والآداب إليهم .. » ثم يقارن المؤلف بين لغة الشعر ولغة القرآن مظهراً أن القرآن لم يأت العرب بلغة جديدة وأن مافيه من مجاز غريب استعمله العرب في شعرهم .

ب ـ الكلام في أول من قال الشعر ، ونسبة أبيات من ذلك

إلى آدم وإبليس والملائكة والجن والعمالقة وبعض العرب البائدة كعاد وثمود ..

ح ـ ايراد رأى النبي في الشعر وأنه كان يسمعه ويجيزه . ثم الاسهاب في تعيين طبقات فحول الشعراء والمفاضلة بينهم وايراد طرف من أخبار متقدميهم .

والمقدمة خطوة رائدة في مضمار النقد الأدبي بالنسبة إلى عصرها . غير أنها مشوبة بهذه الروح الغيبية التي تنسب الشعر إلى قوى خارقة للطبيعة أو إلى اناس موغلين في القدم دون إدراك واعٍ لسنة نشوء اللغات وتطورها .

أما صلب الكتاب وهو مجموع المختار من شعر الأقدمين فقد جعله مؤلفه في سبعة أقسام ، في كل قسم سبع قصائد لسبعة من الشعراء . وهذه الأقسام هي : المعلقات ، المجمهرات ، المنتقيات المذهبات ، المراثي ، المشوبات ، الملحمات . وأكثر هـذه الأسماء صفات للقصائد ؛ فالمعلقات هي التي علقت أو تستحق أن تعلق على أستار الكعبة ، والمجمهرات في الأصل النوق القوية المتداخلة الخلق كأنها جمهور من رمل ، وقـد شبهت بهـا القصائد في متـانة

سبكها وقوة حبكها . ومن هذا القبيل الملحمات أي القصائد التي تلاحمت أجزاؤها . والمنتقيات والمذهبات تشيران إلى جودة الشعر ، والمشوبات تعني أن أصحابها من المخضرمين أي الذين شابهم الكفر قبل أن يسلموا .

ومن الملاحظ أن أكثر هذه التسميات ليس في حقيقته إلا صفات متشابهة لا تتمايز قصائدها فيما بينها في قليل أو كثير ، باستثناء المراثي التي يؤلف بينها جامع مشترك في وحدة موضوعها. وهذا يعني أن تقسيم أبي زيد لمادة كتابه لا يعتمد على أساس واضح معلل . ولكنه على كل حال محاولة لا تنكر في مجال التنظيم والتبويب .

على أننا نجد هذا التبويب في جملته مصطنعاً لأنه التزم التقسيم السباعي . وما من ريب في أن أبا زيد تبنى ما تعارفت عليه العرب من قبل في جعل المعلقات سبعاً ثم في استحسانهم سبعاً غيرهن ، بدليل ما أورده في مقدمة الكتاب ناقلاً عن شيخه المفضل قوله : « امرؤ القيس وزهير والنابغة ، ثم الأعشى ولبيد وطرفة وعمرو بن كلثوم أشعر الناس ، وهؤلاء اصحاب السبع الطوال . . . وقد أدركنا أكثر أهل العلم يقولون أن بعدهن

سبعاً ما هن بدونهن ، وهن المجمهرات . . » ثم يمضي أبو زيد على هذا النحو في تقسيمه سائر قصائد المجموعة تقسيماً سباعياً دون سبب معقول ؛ وإلا فما معنى كون المراثي أو سواها سبعاً لا تزيد ولا تنقص ؟ ولم أيضاً كان للشاعر قصيدة واحدة فحسب أي أن في المجموعة تسعة وأربعين شاعراً لهم تسع وأربعون قصيدة ؟ يغلب على الظن أن هذا التقسيم السباعي قد استهوى المؤلف فالتزمه . ولا يخفى ما للعدد ٧ من منزلة في الفكر العربي والاسلامي .

على أننا أيضاً نستشف من وراء هذا التقسيم نزعة نقدية تنم على مبدأ الطبقات الذي ذاع أمره بعد جيل أبي زيد . وبوسعنا أن نستنتج هذه الملامح مما أورده المؤلف فى مقدمته حول إجماع العرب على تقديم فئة من فحول الجاهليين ، وهم أصحاب المعلقات الذين جعلهم طليعة كتابه ، ثم كلامه على « أن بعدهن سبعاً ما هن بدونهن » ، وهو يجعل المجمهرات في مجموعة تالية للمعلقات . وفي هذا تصنيف طبقي واضح يقوم على فكرة التفاضل بين فئات من الشعراء . غير أن معالم هذا التفاضل لا تلبث أن تغيب في سائر الشعراء الذين أورد أبو زيد قصائدهم بعد ذلك ؛ إذ لم يعد

يعني هذا ان المراثي في منزلة أعلى من المشوبات أو أن الملحمات في منزلة أدنى من المشوبات أو المراثي وهذه خطوة أخرى خطاها الكتاب وان لم تكن كاملة في مضمار النقد الأدبي والتصنيف الطبقي .

وتبقى « جمهرة أشعار العرب » مجموعة قيمة من الشعر المختار تعد مكملة للمفضليات والأصمعيات ، وتنفرد بقصائد لا توجد في مصدر سواها . وقد نشرت أول مرة في مصر بمطبعة بولاق سنة ١٣٠٨ هـ ، ثم تلتها طبعات أخرى [١] ، كان آخرها عام ١٩٦٧ بعناية علي محمد البجاوي وهي في مجلدين يستغرقان نحو ألف صفحة .

ديوان الهذليين

كانت القبيلة في العصر الجاهلي المظهر البارز لحياة العرب الاجتماعية . وكانت لها شخصيتها المتميزة التي تعتمد على رفعة النسب وعراقة الأصل وتتجلى أمجادها في الكرم والوقائع .

---

(١) طبعت المختارات ثانية في مصر سنة ١٣٣٠ هـ ثم في المطبعة الخيرية سنة ١٩٢٦ م ، وأخيراً في بيروت ، دار صادر سنة ١٩٦٣ في شروح موجزة .

كذلك كان للقبيلة شعراؤها الذين تباهي بهم سائر القبائل وتتخذ منهم درعاً واقية لأحسابها وأعراضها .

وهكذا عني الرواة الأوائل بجمع أيام القبيلة كما عنوا أيضاً بجمع أشعارها . ويعد أبو عمرو الشيباني في طليعـة من تصدى لهـذه الغـاية جاعلاً شعر كل قبيلة في ديوان خاص ، حتى إنه استطاع أن يجمع شعر ما يزيد على ثمانين قبيلة ، وجمع أبو سعيد السكري أشعار نحو من خمس وعشرين قبيلة ، وكان من هذا القبيل ابن الأعرابي والاصمعي ...

وممـا يؤسف له أنه لم يصل الينا من ذلك كله سوى مجموعة واحدة هي « ديوان الهذليين » ولو حفظت لنـا سائر أشعـار القبائل لتكشفت لنـا ملامح كل قبيلة ولهجتها وخصائصها ممـا يساعد على القيام بدراسات مقارنة اجتماعية ولغوية قد تلقي كثيراً من الضوء على جوانب ما تزال غامضة من تراثنا .

وهذيل قبيلة عربية تمت بأواصر القربى الى قبيلة قريش ، وكانت تسكن في ربوع مكة والطائف . وقد عرفت بفصاحتها وسلامة لغتها من الشوائب لأنها تعيش في وسط الجزيرة بعيدة

عن مجاورة الأعاجم . واشتهرت هذيل بكثرة شعرائها حتى فاقت في ذلك سائر القبائل ومن هنا غدا الشعر الهذلي موضع اهتمام كبار الرواة كأبي عمرو الشيباني والأصمعي وابن الأعرابي وأماثل الأئمة كالشافعي وصدور المؤلفين كأبي سعيد السكري وأبي الفرج الأصفهاني . ولعل عراقة هذيل بالشعر أصل عناية الرواة بجمع أقوال شعرائها واعتماد العلماء على شواهد من شعرها . والعلماء لشدة حرصهم وتوخيهم الدقة في جمع اللغة والحفاظ على بنيتها لا يستشهدون على سلامة التعبير بما تنطق به عامة القبائل وإنما كانوا يخصون ولا يعمون . فلم يأخذوا عن لخم وغسان لمجاورة المناذرة والغساسنة بلاد الفرس والروم ، كما لم يأخذوا عن تغلب وإياد وقضاعة والنمر ، على حين كانوا يأخذون العربية عن قريش وقيس وأسد وتميم وهذيل وبعض كنانة وطيىء . . وهذيل في الطليعة فصاحة وبياناً وتمت إلى قريش بالنسب والمصاهرة والجوار وهم يرجعون جميعاً إلى مضر بن نزار .

والذين رووا شعر الهذليين عديدون منهم أبو عمرو الشيباني والأصمعي وابن الأعرابي ، غير أن ماوصل الينا من هذا الشعر كان في معظمه برواية أبي سعيد السكري عن الأصمعي . كما أن

السكري تولى شرح هـذه الأشعار ، غير أنه لم يصل الينـا من شروحه تلك إلا شذور .

ويضم « ديوان الهذليين »[1] نحـواً من تسعة وعشرين شاعراً من شعراء هذيل[2] يتفاوتون في شاعريتهم وفي عدد أشعار كل منهم ، غير أن أبا ذؤيب أبعدهم شهرة وأغزرهم شعراً وبأشعاره تبدأ المجموعة الشعرية ، كما أن أولى القصائد فيها عينيته المشهورة في رثاء أولاده[3] .

---

(١) تعرف هذه المجموعة باسم « ديوان الهذليين » وقد نشرت بهـذا الاسم . وذكرها ابن خير في فهرسته باسم « أشعار هذيل » .

(٢) يتراوح عدد الشعراء تبعاً للاصول المخطوطة فيقتصر في بعضها على ٢٧ شاعراً .

(٣) حظي شعر الهذليين بعنـاية المحدثين فضلاً عن القدماء وقـد نشر عدداً من المرات في أوربا وفي مصر في طبعات تختلف فيما بينها بعض الاختلاف :

آ ـ لندن ١٨٥٤ بشرح السكري وتحتوي تسعة وعشرين شاعراً.

ب ـ برلين ١٨٨٤ وتحتوي سبعة وعشرين شاعراً . وفيها تعليقات قيمة وترجمة للشعر إلى الالمـانية بقلم « فلهاوزن » .

حـ ـ ليبزيغ وهانوفر ١٩٢٦ ، ١٩٣٣ في جزأين ، وقد عني =

الحماسة

أبو تمام علم كبير من أعلام الشعر العربي ، امتاز من شعراء عصره بنزعته إلى التجديد في معاني الشعر وصوره ، وعرف بسعة ثقافته وغزارة محفوظه وحدة ذكائه . وقد طار صيته بعيداً منذ أن ألف مختاراته الشعرية المعروفة بالحماسة .

وأبو تمام أول شاعر عربي - فيما نعلم - جنح للتأليف . ومختاراته الشعرية هذه تختلف بالتالي عن المختارات التي تقدمته ، لأن اختيار المرء كما يقال دليل عليه . لقد كان المفضل الضبي

= بهذه الطبعة المستشرق يوسف هل . وتمتاز بفهارسها المديدة ، بالاضافة الى ترجمة بالالمانية للمختارات الشعرية .

د - القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٥٠ في ثلاثة أجزاء صدرت عن دار الكتب المصرية . وتمتاز بحسن إخراجها .

وقد أعيد نشر هذه الطبعة عن طريق التصوير عام ١٩٦٥ باشراف وزارة الثقافة . كما ظهرت طبعة جديدة في القاهرة عن دار العروبة تمتاز عن الطبعات السابقة باضافات وأشعار كثيرة لم يسبق نشرها ، وتعد أكمل مجموعة لشعر الهذليين .

راوية واسع الاطلاع ، وكان الأصمعي وحماد وسواهما أيضاً من هذا القبيل ، وكلهم كان لغوياً عالماً بالشعر يؤثر فيه الفصيح الجزل . غير أن أبا تمام كان من طبيعة أخرى ، فهو شاعر لطيف الحس مرهف النفس حسن الثقافة حافظ لقديم الشعر . وجدير بمثله أن يكون ذواقة للأدب بصيراً به ، وقادراً على التمييز بين غثه وثمينه . فقد جعل الجمال الفني رائده في اختيار الشعر بالإضافة إلى ما كان يتوخاه فيه من فصاحة وجزالة . وهكذا حكّم ذوقه فاختار ما اختار وأهمل ما أهمل ، فكانت مختاراته تبعاً لذلك أسير على الألسنة .

ويبدو أن نزعة أبي تمام الفنية في تجويد الشعر وتنقيحه أبت إلا أن تظهر أيضاً في مختاراته ، وهذا بارز في أمرين :

آ ـ أنه كان قلما يثبت القصيدة كاملة ، بل يختار معظمها أو أقلها محكماً في ذلك ذوقه الشخصي ؛ على حين لم يجنح الضبي والأصمعي إلى مثل ذلك .

ب ـ أن أبا تمام كان يبيح لنفسه في بعض الأحيان أن يتصرف تصرفاً جزئياً فيما اختاره من شعر الآخرين كأن

يستبدل لفظاً بآخر لم يعجبه ، أو يحل عبارة محل أخرى يراها أجمل في النفس وأوقع في الأذن . وقد أشار إلى ذلك المرزوقي في مقدمته لشرح حماسة أبي تمام فقال : « . . حتي انك تراه ينتهي إلى الجيد فيه لفظة تشينه ، فيجبر نقيصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها في نقده » . وهذه التهمة ، تهمة أبي تمام بتغيير النصوص التي اختارها يدعمها المرزوقي في أثناء شرحه بما يظهرها ويقويها . وقد لا يتوافر بين أيدينا من النصوص المقارنة ما يسمح لنا باستنتاج دليل قوي على ذلك وبمعرفة طبيعة هذا التغيير ومداه ، كما أن ذلك قد يكون أحياناً في رأينا بعضاً من أوجه روايات الشعر المتعددة . ومع ذلك فان ذلك التدخل من قبل أبي تمام في تلك الأشعار أمر لا نجنح لنفيه لانه يتفق مع مذهب أبي تمام الفني بصورة عامة في إيثاره المعاودة والتنقيح . ومثل هذا التصرف في بعض الأشعار وإن بدا محدوداً فقد كان جديراً بأن ينزل بقيمة « الحماسة » عند العلماء باعتبارها نصوصاً يستشهد بها في علوم اللغة العربية . وكان حرياً بالنقاد الأوائل في ذلك العصر وجلهم من اللغويين المتزمتين الذين يجلّون الشعر الموروث أن ينكروا على أبي تمام تصرفه الشخصي في

نصوص الآخرين على هـذا النحو . غير أنهم قبلوا ذلك منه واستملحوه ثقة منهم بذوقه وتقديراً لشاعريته . ونحن « نجد العلماء مجمعين على تزكية أبي تمام في « الحماسة » ، وعلى تزكية الحماسة ونصوصها . بل يعدون صنيعه في الحماسة داعية إلى الوثوق بشعر أبي تمام نفسه والاستشهاد بشعره »[1] . وفي ذلك يقول الزمخشري في صاحب الحماسة : « وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه »[2] .

والجديد في حماسة أبي تمام فضلاً عن أن عمله فيها ركن هام في حركة جمع الشعر إنما هو تبويبها ؛ فقد جعل المؤلف مجموعة مختاراته في عشرة أبواب هي :

باب الحماسة ، باب المراثي ، باب الأدب ، باب النسيب ، باب الهجاء ، باب الأضياف والمديح ، باب الصفات ، باب السير والنعاس ، باب الملح ، باب مذمة النساء .

---

(١) انظر مقدمة عبد السلام هارون لشرح المرزوقي على الحماسة .

(٢) خزانة الأدب ، للبغدادي ١ : ٤ طبعة بولاق .

والحق أننا لم نر أحداً قبل أبي تمام قسم الشعر هذا التقسيم، فقد كان الجمع والاختيار يجريان اتفاقاً ودونما قاعدة أو نسق كما هو الحال في المفضليات والأصمعيات . وواضح أن هذا التقسيم مستمد من طبيعة موضوعات الشعر نفسه وتفرعه إلى أغراض متعددة . وبذلك خلا تقسيم الحماسة من الافتعال وكان أقرب إلى حال الشعر العربي ، ولا غرو في ذلك فأبو تمام شاعر في طليعة شعراء المعاني ، وقد غدا في كتابه رائد من ألفوا وصنفوا في المختارات على حسب المعاني الشعرية .

أما اسم الحماسة فأغلب الظن أن أبا تمام نفسه قد أطلقه على مجموعته المختارة ، وإن كان بعضهم يجنح الى أن التسمية لحقت بها بعد وفاة أبي تمام . وكان مألوفاً لدى العرب إطلاق البعض على الكل وتسمية الشيء باسم الجزء على غرار ما كان عليه بعض سور القرآن كالبقرة والأنعام والنمل . . ثم انتشرت عادة تسمية الأشياء بأوائلها مثل « العين » للخليل الفراهيدي . وباب الحماسة أول الأبواب وأعظمها ويقارب نحواً من ثلث الأشعار في المجموعة. وقد عرف كل من القصائد والمقطعات بعد ذلك باسم الحماسية ويبلغ مجموع هذه الحماسيات في المجموعة ٨٨١ حماسية .

وأبو تمام، شأنه في ذلك شأن المفضل والأصمعي وأبي زيد وحماد .. كان في اختياره متجهاً إلى الشعر القديم وبخاصة الجاهلي إلا قليلاً مما أورده لبعض الشعراء المحدثين كمسلم بن الوليد وأبي العتاهية ودعبل الخزاعي . وكان لشعراء طيىء قبيلته نصيب وافٍ من تلك الأشعار .

ومما تقدم يبدو لنا أبو تمام في اختياره الشعر على هذا النحو من تحكيمه ذوقه فيه واختياره بعضه وتركه بعضه الآخر، ثم في تعديله وتنقيحه لما يأنس فيه حاجة إلى تعديل أو تنقيح، بالإضافة إلى فرزه لموضوعات الشعر وتصنيفه إياها في كتابه على حسب أغراضه .. كل ذلك يجعل أبا تمام في نظرنا ناقداً وذواقة أكثر منه جامعاً لقصائد الشعر أو مسجلاً لطائفة من نصوصه، على الرغم من أن مثل هذا النقد تأثري محدود يرتكز الى التذوق وحده دون أن يشفع برأي معلل .

وقد أطنب القدماء من قبل في منزلة كتاب الحماسة وأشادوا بفضل أبي تمام فيه . وفيه قال المرزوقي « وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطعات أنقى مما جمعه أبو تمام، ولا في المقصدات أوفى مما دوّنه المفضل » . وبلغ الأمر ببعضهم

كما يروي التبريزي أنهم كانوا يقولون : « ان أن أبا تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره » .

ونتيجة لاستفاضة شهرة هـذا الكتاب وذيوع فضله فقد غـدا نموذجاً يحتذى في موضوعه ، حتى إن اسم الحماسة أصبح رمزاً للشعر المختار عامة بعد أبي تمام . وقد جنح الكثيرون على أثر ذلك الى تأليف كتب مماثلة في هذا المجال وهم يبلغون بضعة عشر رجلاً كلهم حذا حذو أبي تمام في حماسته وآثر لكتابه اسم الحماسة .

أما شراح الحماسة فكانوا أكثر من ذلك وتجاوزوا العشرين عدداً ، أشهرهم المرزوقي والتبريزي ، ومنهم أبو بكر الصولي وابن جني والآمدي وأبو هلال العسكري والأعلم الشنتمري ، وأبو العلاء المعري وابن سيده والعكبري ...

وقد يكون للواحد من هؤلاء شروح متعددة كما هو شأن التبريزي الذي تصدى لمجموعة الحماسة في ثلاثة شروح متفاوتة : موجز ومفصل ثم وسيط ، والأخير هو المتداول بين أيدينا .

وقـد تختلف شروح أولئك العلماء في رواية أشعار الحماسة

من حيث ترتيب نصوصها ، وزيادة أو نقصان في بعض أشعارها .

ويعد شرح المرزوقي أفضل الشروح التي بين أيدينا ، وذلك من وجوه عديدة ؛ فهو من أقـدم الشروح وأقربها إلى عصر أبي تمـام ، كما أنه من أوفى هذه الشروح وأكثرها تقصياً . وهو برغم سبقه لشرح التبريزي يفضله بعنايتـه بمعـاني الشعر وبالنقد والموازنة فيه ، كما يفضله بعبارته الرصينة المتخيرة وباهتمامه بالجانب النحوي في النصوص لغرض تفسيرها ، وأخيراً يمتـاز بمقدمته النقدية القيمة . على حين أفاد التبريزي من شروح متقدميه وفيهم المرزوقي نفسه وعني بالاشتقاق واللغة وبمسائل التصريف ، وإيراد جانب من أخبار الشعر ومناسباته التاريخية ، والكلام على أسماء الشعراء واشتقاق أعلامهم . ويمكن القول إن المرزوقي كان أديباً محللاً على حين كان التبريزي مفسراً مدققاً .

وقـد طبع شرح التبريزي مرات عديدة في أوربا والهند والشرق العربي ، وصدر أخـيراً في أربعة أجزاء ، كما صدر شرح المرزوقي في أربعة أجزاء أخرى ، وهما طبعتان جيدتان [1] .

(١) طبعت أشعار الحماسة دون أي شرح في بيروت سنة ١٨٨٩ بمطبعة جمعية الفنون ، في نحو ٢٥٧ صفحة من القطع الصغير . =

الحماسة الصغرى

تعرف هذه المجموعة بالحماسة الصغرى تمييزاً لها عن الحماسة أو الحماسة الكبرى . وقد أسماها أبو تمام « الوحشيات » ، وهي صفة لأشعارها التي أشبهت وحوش الفلوات في كونها « أوابد وشوارد لا تعرف عامة ، وأغلبها للمقلين من الشعراء أو المغمورين منهم »[1] .

= وقد طبع كتاب الحماسة بشرح التبريزي أول مرة في بون بألمانيا سنة ١٨٢٨ بتحقيق المستشرق فرايتاغ ، ثم في مصر بمطبعة بولاق بعناية الشيخ محمد قاسم . وبعد ذلك طبع في القاهرة أيضاً بمطبعة السعادة سنة ١٩١٣ في جزءين يبلغان نحو ٩٠٠ صفحة . وأخيراً صدر في مصر بتحقيق محي الدين عبد الحميد سنة ١٩٣٨ في أربعة أجزاء تنطوي على فهاس وتعليقات حسنة .

أما شرح المرزوقي فلم ينشر الا متأخراً خلال ١٩٥١ - ١٩٥٣ وكان ذلك في أربعة أجزاء تستغرق نحواً من ٢٠٠٠صفحة. وهذه الطبعة جيدة تمتاز بتعليقات وفهارس وافية ، وقد صدرت بعناية أحمد أمين وعبد السلام هارون .

(١) انظر مقدمة الوحشيات بقلم العلامة الهندي عبد العزيز الميمني الراجكوتي ص ٦ .

والثابت أن أبا تمام صنف الوحشيات بعد تصنيفه الحماسة ، وأن الأمد بينهما كان قصيراً . ويورد أبو زكريا التبريزي شارح حماسة أبي تمام في مقدمة شرحه قصة تنطوي على الطرافة حول تأليف هاتين الحماستين . وخلاصتها أن أبا تمام قصد إلى خراسان وفيها عبد الله بن طاهر فمدحه وحظي بعطفه ، ثم قفل راجعاً إلى العراق . وفي طريقه اليها مر بهمذان فاستضافه أبو الوفاء بن سلمة فبات عنده . وعندما أفاق يروم متابعة سيره وجد أن ثلجاً عظيماً قد قطع عليه الطريق ومنع السابلة ، فاغتم ، على حين سر بذلك مضيفه فأبلغ شاعره أن وطن نفسك على هذا المقام فان الثلج لا ينحسر إلا بعد زمان . ثم أحضر عبد الله بن سلمة أبا تمام خزانة كتبه ، فطالعها واشتغل بها ، « وصنف خمسة كتب في الشعر ، منها كتاب الحماسة ، والوحشيات وهي قصائد طوال[1] » وهكذا كانت المصادفة ـ إن صحت على هذا النحو ـ باعثاً على تأليف هذين الكتابين ، ورب ضارة نافعة .

ومما جاء في صدر كتيب الوحشيات أيضاً مقدمة صغيرة للناسخ نصها : « اختاره أبو تمام حبيب بن أوس الطائي رحمه الله

---

(١) العبارة للتبريزي في مقدمة شرحه للحماسة .

بعد اختياره كتاب الحماسة الكبرى . ولم يروه ، ولكن وجد بعده مكتوباً في مسودة بخطه مترجماً بكتاب الوحشيات » .

أما الكتب الأخرى الباقية من الخمسة والتي ينطوي عليها ذلك الخبر فمنها ـ فيما نقدّر ـ كتاب « نحول الشعر » وهو ما يزال مخطوطاً ، و « مختار أشعار القبائل » ولا نعلم عنه شيئاً . ولا ندري أيضاً ما اسم الكتاب الأخير .

وتبويب الحماسة الصغرى يكاد يطابق التبويب الذي ابتدعه أبو تمام في الحماسة الكبرى . فقد جعل فيه الأشعار أيضاً في عشرة أقسام هي : الحماسة والمراثي والأدب والنسيب . . . عدا باب واحدٍ جديد أسماه « المشيب » وقد جعله بدلاً من « السير والنعاس » الذي كان في الحماسة الكبرى .

وأشعار الوحشيات في مجموعها أقل من أشعار الحماسة . والقسم الأول فيها وهو باب الحماسة يشتمل على ٢٠٠ مقطوعة ، أي على نحو من ثلث الكتاب ، وذلك على غرار نظيره في كتاب الحماسة أيضاً . على حين كان القسم الأخير وهو « مذمة النساء » غاية في الاقتضاب ولم يشتمل إلا على أربع مقطوعات لا تعدو تسعة أبيات .

والأشعار المختارة في الوحشيات يغلب عليها القصر فقد لا تتجاوز في كثير من الأحيان البيتين أو الثلاثة أو الأربعة عدداً، وقلما بلغت بضعة عشر بيتاً . فهي بذلك مقطعات دون أشعار الحماسة في الطول .

ومما لا ريب فيه أن الوحشيات لا ترقى إلى شهرة الحماسة، وقلما حفل بها الاقدمون أو ذكروها [1] . ويبدو أن التبريزي الذي ذكرها في مقدمة شرحه لحماسة أبي تمام لم يعرفها من كثب بدليل قوله عنها : « وهي قصائد طوال » . وإنما هي ديوان مقطعات .

وقد نشرت « الوحشيات » في مصر في طبعة علمية جيدة سنة ١٩٦٣ [2] .

---

(١) ذكرها القاضي الباقلاني في كتابه : إعجاز القرآن .

(٢) صدرت « الوحشيات » في القاهرة عن دار المعارف سنة ١٩٦٣ في طبعة علمية محققة بعناية عبد العزيز الميمني ومحمود شاكر .وهي غنية بالتعليقات . غير أنها تفتقر إلى شروح وافية على غرار الحماسة وسائر كتب المختارات الشعرية .

حماسة البحتري

لا ريب في أن أبا تمام رائد من ألفوا وصنفوا في هـذا النمط من المختارات الشعرية ونعني بها الكتب التي جعل تبويبها على حسب أغراض الشعر وموضوعاته ومعانيه ، والتي عرفت بكتب الحماسة . « وهذه التسمية صارت شهرة لكتب الاختيار التي بوبت لمعاني الشعر . وان هـذة قديمة جداً ولا سيما انها قـد أطلقت على حماسة البحتري وهو قريب العهد والمعاصرة لأبي تمام »[١] .

وواضح أن استفاضة شهرة الحماسة التي صنفها أبو تمام قد أغرت الطائي الآخر بأن ينسج على منوال صنوه وأستاذه ، وجعلته يؤلف كتاباً آخر في مختارات الشعر القديم استعار له أيضاً اسم الحماسة وعرف بحماسة البحتري . على أن البحتري لم يكن إلا أول المعارضين لأبي تمام في حماسته ، فقد أعقبه كثيرون آثروا تأليف كتب الحماسة على هـذا الغرار ، ومنهم الشاعران

(١) انظر مقدمة الحماسة لأبي تمام ، بقلم عبد السلام هارون ، ص ٨ .

الاخوان الخالديان وابن الشجري وأحمد بن فارس وأبو هلال العسكري الذي عُرف كتابه بالحماسة العسكرية ، والأعلم الشنتمري الأندلسي وأبو الحجاج البياسي الأندلسي وأبو الحسن البصري الذي أسمى كتابه « الحماسة البصرية » ... وغيرها من كتب الحماسة [١] .

وقد اختار البحتري أشعار حماسته للفتح بن خاقان وزير المتوكل [٢] . والبحترى أيضاً شاعر رقيق الطبع حسن الذوق كثير المحفوظ ، وهذا أيضاً ما رفع من شأن حماسته . كذلك كاد البحتري يقصر اهتمامه على الشعر القديم شأنه في ذلك شأن سلفه أبي تمام وسائر من صنفوا في هذا اللون من التأليف ، وثمة قلة من الشعراء المحدثين اختار لهم البحتري في مجموعته ، من مثل بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس ..

---

(١) انظر تفصيل ذلك في مقدمة حماسة البحتري بقلم لويس شيخو ، وانظر أيضاً ما كتبة محققو حماسة أبي تمام . وانظر أخيراً كشف الظنون لحاجي خليفة .

(٢) حماسة البحتري رواها أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن أبي خالد الأحول عن أبيه عن البحتري .

وتختلف حماسة البحتري فيما عدا ذلك عن حماسة أبي تمام من وجوه ، أهمها تبويبها الخاص الذي يقوم على مبدأ الموضوعات التفصيلية لا على مبدأ الأغراض الشعرية العامة الذي كان عليه كتاب أبي تمام . فقد فصّل البحتري في أبوابه تفصيلاً زائداً وجعل لكل معنى أو موضوع عنواناً جزئياً خاصاً ، فكان مجموع هذه الأبواب ١٧٤ باباً . وطبيعي أن تكون هذه المعاني الجزئية متفرعة من الأغراض الكبيرة أو الموضوعات العامة ؛ فموضوع الحماسة لم يفرد له البحتري باباً خاصاً به على الرغم من أنه أسمى مجموعته الشعرية بالحماسة . ولكننا إذا استعرضنا الأبواب الأولى في المجموعة وجدناها تنطوي في الواقع على المعاني التفصيلية التي تتفرع من موضوع الحماسة الشامل من مثل : باب فيما قيل في حمل النفس على المكروه ، وباب فيما قيل في الفتك ، وفي ركوب الموت خشية العار ، وفي ذم الفرار والتعيير به ، وفي نبو السيف، وفي إغاثة الملهوف ... الخ وتمضي أبواب الحماسة على هذا النحو حتى تبلغ الثلاثين من الأبواب ، وكأن البحتري يورد من الشعر في نسق مفصل ما أورده سلفه في شكل مجمل .

وهـذا التفريع في الابواب في حمـاسة البحتري استتبع

اجتزاء الأبيات من قصائدها في كثير من الأحيان في نحو « ما قيل في إخلاف الوعـد » أو « في كتمان السر » أو « في فراق الإخوان » أو « في الشباب والشيب » .. لان مثل هذه الموضوعات تنضوي في الغالب تحت مقطعات الشعر ولاتستغرقها القصائد الطويلة . ومن هنا اضطر المؤلف إلى تفتيت القصيدة الواحدة إلى مقطوعات متعددة تنـاثرت اجزاؤهـا وتباعدت . فقصيدة أبي ذؤيب الهذلي في رثاء أولاده نجد بعضاً منهـا في مواضع متعددة؛ فثمة بيتـان في الباب التاسع والأربعين : « فيما قيل في غلبة الزمان وإفنائه الأمم » ثم بيتان آخران من العينية نفسها في الباب الثاني والخمسين : « فيما قيل في اليأس من البقاء وحذر الموت وترقبه وقلة الحيل فيـه » ، ثم بيتان آخران في موضع ثالث هو الباب الخامس والسبعون : « فيما قيل في الصبر على المصائب والتجلد للشامتين وترك الاستكانة » ...

وقد تتقاصر المقطعات حتى لا تعدو بيتاً واحداً يدل على معنى جزئي مكتف بنفسه من حكمة أو نحوها . كل هذا يتيح للقارىء الفائدة ويوفر عليه كثيراً من الجهد ، إلا أنه في نظر الكثيرين قد يسيء إلى وحدة القصيدة ويذهب برونقها . ومما

لا شك فيه ان هـذا التبويب المفصل استغرق كثيراً من جهد البحتري وهو ينم على منحى تنظيمي لدى مؤلف الحماسة . وهـذا أيضاً ما جنح ببعض الباحثين إلى ان يشكّوا في نسبة هـذه الحماسة الى البحتري مستندين إلى أن القرن الثالث ذلك القرن المبكر نسبياً لم يكن قد عرف مثل هذه النزعة التنظيمية والدقة في مناهج التأليف . كما علق بعض القدماء على هذا الموضوع بقوله [1] « ولم نسمع ان للبحتري حماسة » .

وكان طبيعياً ـ تبعاً لهذا التقسيم التفصيلي لأشعار المجموعة ـ أن تتكاثر مقطوعات الحماسة فتبلغ ١٤٥٤ مقطوعة ، أي ما يقارب ضعف المقطوعات عند أبي تمام ، وأن يكثر أيضاً الشعراء في حماسة البحتري فيبلغوا ٦٠٠ شاعر .

وقد تتفق حماستا أبي تمام والبحتري في بعض المروي من الشعر من نحو ما ورد لقطري بن الفجاءة والحارث بن هشام والفند الزماني ... وهذا لا يضير البحتري في شيء لأنه وأبا تمام

(١) العبارة لعبد القادر البغدادي في كتابه : خزانة الادب ٣ : ٥٩١ وكان يعقب على عبارة العيني : « ذكره في حماسته » .

وأمثالهما إنما يروون ما أخذوه عن شيوخهم من الشعر الموروث وقد يقع الحافر على الحافر .

على أن ما يدعو إلى التساؤل إغفال البحتري في حماسته أشعار الغزل والنسيب . والنسيب غرض رئيسي في شعر العرب وقد جعل له أبو تمام باباً خاصاً ضمن أبوابه العشرة . ولعل ما يزيدنا استغراباً ان البحتري نفسه شاعر رقيق أجاد طرق موضوع الغزل وتصوير الطيف وحلاوة الحب ومرارته . وأغلب الظن ان البحتري عندما ألف حماسته كان قد تقدم في السن فعزف عن مثل هذا اللون من الشعر ، ولعله أخرج حماسته بعد مقتل الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان الذى صنفت من أجله هذه المختارات في الأصل . وقد نجد في اتشاح بعض أبواب حماسة البحتري باللون القاتم ما يؤيد هذا الرأي من مثل ما يدور حول : « صحة المودة وحفظ الإخاء وغلبة الزمان والتبرم بالحياة ، وعتاب الدهر وذل من اغترب ، وما يلحق الرجل من الضيم اذا ضيم مولاه أو قريبه ، وترك ما نبا بك من المنازل والبلدان ، وفي تنقل الدول وتغير الأحوال ، وتعاقب اليسر والعسر ، والصبر على المصائب ، والغدر والخيانة ، وتقلب الدهر بأهله ورفعه قوماً

وخفضه آخرين ، وتوقع الموت والحذر منه ، والاعداد للمعاد ، وخذلان بني العم عند الشدائد ، ونسيان ما مضى ، والجفاء بعد الصلة ، والمخافة والارتياع ... الخ » كل ذلك لا يعكس المرحلة التي كان البحتري يحياها في رغد آمنا من تقلب الدهر وهو في بلاط الخليفة ومجالس الأمراء .

ولا نعرف أحداً من القدما تصدى لشرح حماسة البحتري كما فعلوا في حماسة أبي تمام . وهذا يؤكد أن منزلتها على رفعتها لا تبلغ شأو حماسة أبي تمام .

وقد طبعت حماسة البحتري في بيروت أول الأمر سنة ١٩١٠ [١] ثم في مصر سنة ١٩٢٩ .

حماسة ابن الشجري

ابن الشجري هبة الله بن علي من رجال القرن السادس

---

(١) صدرت هذه الطبعة بعناية الأب لويس شيخو في مطبعة الآباء اليسوعيين عن مخطوطة نادرة في مكتبة ليدن . وهي تمتاز بالضبط ولكنها تفتقر الى الشرح والمزيد من التحقيق .

الهجري . كان شيخ وقته في معرفة النحو واللغـة والأدب . والأمالي اكبر تآليفه .

وكتابه « الحماسة » الذي نحا فيه منحى أبي تمام والبحتري ينطوي على خصائص ذينك الكتابين معاً ، فقد جعل جانباً من أبوابه على حسب الأغراض الشعرية أي : باب الحماسة والمراثي والهجاء والمديح والأدب والنسيب... على حين كان سائر أبوابه على حسب معـاني الشعر وموضوعاته الجزئية كأبواب الطيف والخيال ، وصف النار ، الليل والنجوم ، الشيب ... الخ . وبلغ مجموع هذه الأبواب المتفاوتة في حماسة ابن الشجري ٣٦ باباً .

والأشعار المختارة في هذه الحماسة مقطعات قلما بلغت حدود القصيد ، ومن هنا كثر عدد شعرائها على الرغم من أنها في حجمها لا تبلغ غزارة الشعر في حماستي أبي تمام والبحتري . وقد بلغ هؤلاء الشعراء نحو ٣٣٥ شاعراً عدا الأشعار التي أوردها ابن الشجري في مجموعته ، ولم ينسبها إلى قائل معين .

ولعل أهم ما تمتاز به هذه الحماسة فضلاً عن تبويبها أنهـا تشارك ما سبقها من المجموعات الشعرية في احتوائها الشعر القديم

وتحتفل أكثر منها بالشعر المحدث أو شعر المولدين ، فهي تنطوي على شطر ذي بال من شعر العصر العباسي لبشار وأبي نواس وأبي العتاهية وأبي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز ودعبل وأبي دلامة وديك الجن وعلي بن الجهم والسري الرفاء والصنوبري وأبي فراس والشريف والرضي ... وقد راق المصنف فيما يبدو ما بلغه الشعر المولد في ذلك العصر العباسي من رقة وعذوبة فأفرد بالإضافة إلى ذلك للمحدثين باباً أسماه : « مقطعات من غزل شعر جماعة من المحدثين » .

وقد نشرت حماسة ابن الشجري في الهند في طبعة تفتقر إلى مزيد من العناية والضبط والتحقيق [1] .

مختارات ابن الشجري

وهي مجموعة ثانية من الشعر الذي اختاره أيضاً ابن الشجري. وتعرف كذلك باسم « مختارات شعراء العرب » .

---

(١) عني باصدار هذه الطبعة التي صدرت في حيدر باد سنة ١٣٤٥ هـ المستشرق الالماني فريتس كرنكو معتمداً على أصول مخطوطة في لندن وباريس والمتحف البريطاني . وقد خلت الطبعة من الشرح وقل فيها الشكل . غير أنها احتوت ترجمة لحياة ابن الشجري .

وتختلف هذه « المختارات » عن سابقتها « الحماسة » من وجوه ؛ فهي تقتصر على الشعر القديم الجاهلي دون أن تفسح في ثناياها مجالاً للشعر المحدث . ويبدو أن المؤلف قصد الى هـذا التمييز بين المجموعتين على هـذا النحو كيلا يقع في التكرار ولتكون الواحدة منهما مكملة للأخرى . والوجه الآخر أن أشعار هذه المختارات قصائد تامة في الغالب ولذلك اتسمت بالطول، فهي بذلك أشبه بالمفضليات أو الأصمعيات . ومن هنا قل عدد القصائد في مختارات ابن الشجري فكانت خمسين قصيدة يتخللها عدد من المقطعات ، كما قل بالتالي عدد الشعراء الذين انطوت عليهم المجموعة فلم يزيدوا على ١٤ شاعراً من شعراء الجاهلية ، ومنهم : لقيط بن يعمر ، حاتم الطائي ، الشنفرى ، المتلمس ، طرفة ... الخ وقد حظي زهير بن أبي سلمى والحطيئة باهتمام ابن الشجري فأكثر من الاختيار لهما .

ولعل ما تمتاز به هـذه المجموعة أخيراً أنها لم تقتصر على إيراد القصائد وحدها كما ألفنا فيما تقدم من كتب الاختيار بل عُني فيها صاحبها بذكر مقدمات نثرية وافية لتلك القصائد تنطوي على اخبار قائليها وتلقى ضوءاً حول مناسباتها . ومما يلاحظ على

هذه المختارات عدم إخضاعها إلى تبويب معلوم ، فقد اكتفى ابن الشجري بإيراد جميل الشعر على نحو يذكرنا بالمفضليات أيضاً .

وهذه المختارات معتدلة الحجم لا تتسم بالغزارة . وقد جعلها مؤلفها في ثلاثة أجزاء صغيرة مترابطة أشبه ما تكون بفصول متلاحقة في كتاب واحد .

وقد نشرت مختارات ابن الشجري في مصر في طبعة مناسبة عام ١٩٢٥ (١) .

الحماسة البصرية

ظهرت هذه الحماسة حوالي منتصف القرن السابع أي بعد حماسة ابن الشجري بأكثر من قرن . وقد صنفها صدر الدين ابن الحسن البصري وأطلق عليها اسمه لتعرف به وتتميز عن الحماسات الأخرى .

(١) مطبعة الاعتماد . وقد ضبطها وشرحها محمود حسن زناتي . وكانت قد طبعت قبل ذلك في مصر أيضاً سنة ١٣٠٦ هـ ولكنها طبعة رديئة .

استمد البصري نصوص حماسته من مصادر عديدة تقدمته وفي جملتها حماسات أبي تمام والبحتري والخالديين[1] وابن الشجري ودواوين العديد من الشعراء وجانب من كتب الأدب المتقدمة كذلك جمع البصري في مختاراته بين القدماء والمحدثين .

ويمكن القول إن البصري لم يأت بجديد في تبويب حماسته حين جعلها تتكىء في ذلك على تبويب أبي تمام . فقد صنفها على حسب أغراض الشعر وبلغت لديه ١٤ باباً ، أولها الحماسة وهو أطول الأبواب ثم المديح والتقريظ ، فالتأبين والرثاء ، فالأدب فالنسيب والغزل ، فالأضياف ، فالإنابة والزهد ... الخ ، ولعل هذا هو الباب الجديد الذي أضافه البصري في حماسته بعد أن أصبح شعر الزهد غرضاً ذا شأن في ذلك العصر .

وتضم الحماسة البصرية نحو ٦ آلاف بيت لـ ٥٠٠ شاعر تقريباً ، صنع لها المصنف خطبة موجزة في مستهل كتابه أشاد فيها بفضل الاختيار في الشعر .

---

(١) صنفها الشاعران الأخوان الخالديان من شعراء بلاط سيف الدولة واسمها في الأصل «الأشباه والنظائر في المتقدمين والجاهلية والمخضرمين» انظر الحماسة البصرية ص ٢٥ .

على أن هذه الحماسة البصرية تفتقر في نظرنا إلى الأصالة ، لأنها تستمد جانباً وفيراً من الشعر من بطون دواوين الشعراء المتداولة ، وليس في هذا كبير جدوى ، ولأنها أيضاً تستقي من معين كتب الاختيار السالفة كالأصمعيات وحماسة أبي تمام وحماسة البحتري ، وليس في هذا أيضاً كبير غناء . ونحن قد نقع على قصائد أو مقطعات سبق أن أطلعنا عليها في كتب المتقدمين ، حتى إن الأمر بلغ بالبصري حداً جعله يبدأ حماسته بأبيات عمرو بن الإطنابة نفسها التي استهل بها البحتري حماسته .

وقد نشرت الحماسة البصرية في الهند عام ١٩٦٤ في مجلدين وذيلت بفهارس عديدة [١] .

مختارات البارودي

لعل هذا الكتاب آخر حلقة يعتد بها في سلسلة مجموعات

(١) صدر الكتاب في حيدر أباد بعناية محقق هندي اسمه مختار الدين أحمد . غير أن المحقق برغم جهده القيم غير متمرس بالعربية ولا متمكن في عبارتها ، فضلاً عن أنه أباح لنفسه حذف القصائد التي يمكن الوقوع عليها في دواوين الشعراء متذرعاً في ذلك بالاختصار .

الشعر المختار . وعلى الرغم من أن مؤلفها محمود سامي البارودي من رجال هذا العصر الحديث فانها تشابه نظائرها في أنها حوت جانباً كبيراً من شعر العصور العربية السابقة . وما من شك في أن البارودي وهو الشاعر كان يطمح الى أن يصنع كتاباً ينسج فيه على منوال شاعرين ندّين من الفحول القدماء هما أبو تمام والبحتري ، فكانت مختاراته هذه .

جعل البارودي مختاراته في سبعة أبواب هي : الأدب ، المديح ، الرثاء ، الصفات ، النسيب ، الهجاء ، الزهد . ولعل أبرز ما انفرد به البارودي في مجموعته أنه قصر اختياره فيها على شعر المولدين اعتقاداً منه بأن فيما صنفه سابقوه ما يغني فلا يدع زيادة لمستزيد . أما الشعراء الذين آثرهم بالاختيار فكانوا ثلاثين شاعراً جعلهم في كتابه على حسب ترتيبهم الزمني ، وهم بشار ابن برد ، العباس بن الأحنف ، أبو نواس ، مسلم بن الوليد ، أبو العتاهية .. وفيهم المتنبي وأبو العلاء وابن هانيء .. إلى جانب لفيف من شعراء عصر الانحدار من مثل الأرّجاني والأبيوردي والطغرائي . .

وقد نهج البارودي في مختاراته نهجاً خاصاً ؛ فكان في

كل باب من الأبواب السبعة يختار شعراً لكلٍ من هؤلاء الشعراء على التوالي ، فاذا ما استوفاهم انتقل الى الباب الذي يليه ليعيد سيرته مع الشعراء أنفسهم . وقد يصادف ألاّ يقع لدى شاعر على شعر في الغرض الذي هو بصدده فيدعه إلى شاعر آخر ، وبذلك قد يقل الشعراء في بعض الأبواب عن ثلاثين شاعراً . وقد حرص المؤلف خلال ذلك على مراعاة ترتيب أشعار كل شاعر على حسب حروف المعجم ، فيستهل مثلاً ما اختاره لبشار في باب الرثاء بقصيدة على حرف الباء ثم يُتبعها قصيدة مماثلة في هذا الموضوع على حرف الراء وهكذ دواليك .

والأشعار المختارة قد تقصر فلا تعدو البيت أو البيتين وقد تطول فتبلغ بضع عشرات من الأبيات . وتبلغ في جملتها زهاء ٤٠ ألف بيت ، وهذه كمية كبيرة قل أن بلغها أحد ممن صنفوا في هذا الضرب ، ولهذا غدا حجم الكتاب كبيراً وكان في أربعة مجلدات ، واستغرق ذلك من البارودي ثلاث سنين .

على أن لنا مآخذ على مختارات البارودي من وجوه . واذا كان فيما صنفه الأقدمون في هذا المجال ما يضم شتات تراثنا المفرق ويلم شعثه المبدد ويحفظه من الضياع ، فان ما صنعه

البارودي ليس فيه كبير غناء بعد أن غدت مجموعات الشعر ودواوين الشعراء متداولة بين الأيدي وبعد أن ظهرت الطباعة وانتشرت المصنفات السالفة بين الملأ .

أما تبويب الكتاب فليس موفقاً ، وذلك أيضاً من وجوه؛ فقد اتبع البارودي تقسيماً يشبه تقسيم أبي تمام اي على حسب الأغراض الشعرية بل جعله أعم منه أي سبعة أبواب بدلاً من عشرة . وفي هذا ما يذهب بجدوى التصنيف بالنسبة إلى مجموعة ضخمة حوت هذا الشعر الغزير . وكان يجدر بالبارودي أن يزيد عدد الأبواب وأن يكون أدنى إلى تصنيف البحتري في حماسته وبذلك يغدو أقرب إلى روح عصرنا هذا . والغريب في الأمر أن البارودي وهو المعروف بشاعر السيف والقلم والذي نظم كثيراً من الشعر الحماسي الجزل قد شذ عمن سبقه في إغفاله باب الحماسة من مختاراته وهو أحوج ما تفتقر الى مثله أمة مكافحة كأمته . والأغرب من ذلك أنه أحل محل الحماسة الذي كان أهم الابواب عند متقدميه باباً للمديح وباباً للزهد وباباً للهجاء .. وهذه الأبواب أبعد ما تكون عن روح هذا العصر الحديث ، حتى ان البارودي خص باب المديح بما يقرب من نصف مختاراته

أي بنحو ٢٠ ألف بيت . ومن هنا لم يكتب لمختارات البارودي الحياة .

ولم يقيض للبارودي أن ينشر مختاراته في أثناء حياته فنشرت بعد مماته وقد خلت من مقدمة وافية بقلمه ، فسد الناشر هذا الفراغ بخطبة موجزة من عنده [١] .

---

(١) طبع الكتاب في أربعة مجلدات من القطع الكبير خلال السنوات ١٣٢٧ - ١٣٢٩ هـ أي بعد وفاة مؤلفه . والنصوص فيه ضئيلة الشكل قليلة الشرح .

الفصل الثاني

* * *

كتب الأدب

تمهيد :

تشغل كتب الأدب حيزاً كبيراً في المكتبة العربيـة . والأدب كلمة واسعة الدلالة عند العرب في القديم وفي الحديث على السواء . فهي تفيد فن القول الذي تبدعه القريحة من شعر ونثر ، كما تفيد من جهة أخرى التهذيب والخلق الحسن من نحو قول محمد عليه السلام : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » . ولايخفى ما بين هذين المفهومين من تداخل حين ينظر إلى الـكلمة الجميلة الطيبة على أنها باعث على الفضيلة تهذب النفس وتصقل الطبع وتجلو الذهن وتغذي الروح . ومن هنا أفرد كثير من مصنفي المجموعات الشعرية ومؤلفي الكتب الأدبية باباً للأدب ووجدوا فيه رسالة خير في الحياة .

على أن الأدب في مفهومه الاصطلاحي وحده يبقى واسع الدلالة لانطوائه على عناصر كثيرة تشمل الشعر والنثر وما يتبع ذلك من خطابة وكتابة ورسائل ومقامات وحكم ووصايا وأخبار ونوادر وطرائف وأمثال وقصص وسير . . . وهذا هو المفهوم

السائد الذي صدر عنه كثير من العرب المتقدمين وما زال غالباً حتى يومنا هذا . غير أن معنى الأدب كان ذا مدلول أوسع عند جانب آخر من رجال العلم ، إذ يشمل فضلاً عما تقدم معارف أخرى تتصل بشؤون الفكر وتنطوي على التاريخ والجغرافيا والاجتماع الخ . . . حتي إن بعض القدماء عرفوا الأدب بأنه الأخذ من كل فن بطرف ، أي أن الأدب في عرف أولئك الأقدمين يقارب مدلول الثقافة في مفهومنا الحديث . بل إن كلمة الأدب أو الآداب في عصرنا هذا ما زالت تعني عندنا وعند سائر الأمم تلك المعارف الانسانية التي ترتبط بالفكر المجرد أو الخيال وذلك في مقابل كلمة العلم أو العلوم ولغرض التمييز بين لونين بارزين من ألوان النشاط الفكري لدى الإنسان .

ومهما يكن من أمر فقد تميز كثير من المعارف عن سواه عند المؤلفين العرب في القديم وراحوا يؤلفون في موضوع الأدب باعتباره فناً من فنون التعبير أساسه الكلمة وقوامه الجمال وغايته الإمتاع .

كتاب الحيوان

يعد كتاب الحيوان للجاحظ في طليعة كتب الأدب التي تزدان بها المكتبة العربية . وهو كتاب طريف في موضوعه ، وتتجلى أهميته في أنه أول مصنف عربي جامع يتناول موضوع الحيوان على الرغم من أنه كان ثمة كتب أخرى قبيل حياة الجاحظ أو في أثنائها تعرضت لشؤون الحيوان ، ولكنها كانت كتباً جزئية الطابع أشبه بالمعاجم الخاصة التي تُعنى بالتصنيف اللغوي للألفاظ المتعلقة بأوصاف الحيوانات وأعضائها وما إلى ذلك . . من نحو ما ألفه أبو عبيدة والأصمعي والنضر بن شميل وأبو زيد الانصاري وأبو حاتم السجستاني وابن الأعرابي وغيرهم من كتب في الإبل وفي الخيل وفي الغنم والشاء وفي الوحوش وفي الطير . . . فقد كان الجاحظ علماً متفرداً بين معاصريه وإماما فذاً من أئمة البيان العربي لايدانيه أحد في اتقاد ذهنه واتساع ثقافته . وقد جاء في الفهرست لابن النديم « أنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان ، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين » .

ولم يكن هم الجاحظ في التأليف أن يقتصر على الجمع والرواية والحفظ ، وإنما كان همه أن يبتكر وان يقدم للناس الطريف من ألوان الثقافة والمعرفة . والكتاب اضخم كتب الجاحظ إطلاقاً ولعله أجلها شأناً . ويعد دائرة معارف واسعة الأفق كما يعد صورة بارزة لثقافة العصر العباسي المتشعبة الأطراف ؛ فقد حوى طائفه صالحة من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية ، كما تحدث في سياسة الأقوام والأفراد وتكلم في نزاع أهل الكلام وسائر الطوائف الدينية . وتحدث الجاحظ في هذا الكتاب أيضاً في كثير من المسائل الجغرافية وفي خصائص كثير من البلدان ، وفي تأثير البيئة في الحيوان والانسان والشجر وتكلم على الطب وعلى الأمراض في الحيوان وفي الإنسان وذكر كثيراً من المفردات الطبية النباتية والحيوانية والمعدنية . . وغير ذلك من الشؤون والمعارف . وفي خلال ذلك كله أورد الصفوة المختارة من الشعر العربي النادر ومن الأمثال السائرة والنوادر الطريفة . .

فالكتاب ذو شقين ؛ أدبي وعامي وان لم تكن الحدود بين العلم والأدب متميزة لدى الجاحظ في أكثر جوانب كتابه ؛ إذ لم يكن العقل المستنير عند العرب وعند سائر الأمم في

تلك العصور قد بلغ في الدقة والتمييز مدى أبعد من ذلك لأن المعارف الإنسانية لم يستقل بعضها عن بعضها الآخر إلا في عهد متأخر . فالجاحظ كان يمزج العلم بالأدب في تلاحم شديد في بعض الأحيان كما هو شأنه في قصة قاضي البصرة التي ساقها في قالب أدبي شائق وأراد في الوقت نفسه أن يصور خاصية الإلحاح في الذباب . على حين نجده في مواضع أخرى من كتابه عالماً باحثاً يعتمد على التجربة والمعاينة معتمداً على أبرز ما يعتمد عليه علماء هذا العصر . فقد يعمد إلى قطع أذناب بعض الضباب ليرى إلى ما تستطيعه من حركة دون سائر الجسم ، أو يكسر بيض الحيات ليقف بنفسه على ما فيه ، أو يسكر بعض البهائم بالخمرة ويلاحظ ما تصدر عنه من تصرفات وأحوال . وربما دحض ما يُتناقل عن بعض الحيوان مما لا يقبله العقل فيرده بالحجة القوية والمنطق السديد على غرار ما كان منه تجاه قصة الحية ذات الرأسين . .

وقد فطن الجاحظ إلى طابع كتابه الشامل من هذه الزاوية العالمية فقال في خطبة الحيوان : « وهذا كتاب تستوي فيه رغبة الأمم وتتشابه فيه العرب والعجم . لأنه وإن كان عربياً

اعرابياً وإسلامياً جماعياً فقد أخذ من طرف الفلسفة وجمع معرفة السماع وعلم التجربة » .

ولا يكاد يوجد حيوان في عصر الجاحظ وبيئته الا ذكره، من الفيل والتمساح والنسر إلى النمل والعنكبوت والصؤاب ، غير أنه لم يول السمك اهتمامه الكبير لأن العرب لم تحفل به كثيراً ، ولأنه من جهة أخرى كان بعيداً عن بيئة الجاحظ ومتناول يده .

ويمكننا أن نرجع مادة الجاحظ الغزيرة في كتابه الحيوان إلى مصادر عديدة منها : القرآن والحديث ، والشعر العربي الذي أكثر من روايته وبخاصة ما يتعلق بما نظمه البداة حول عالم الحيوان أنيسه ووحشيه ، وكتاب الحيوان لأرسطو الذي كان قد نقله إلى العربية ابن البطريق في عصر الجاحظ ، ثم علم الكلام الذي يتجلى فيه مذهب الجاحظ في الاعتزال ومنحاه في المناقشة والجدال والإثبات والنفي والجنوح الى المناظرات في بعض الأحيان كالمناظرة بين صاحب الكلب وصاحب الديك وما يتصل من ذلك بالنزعة الشعوبية التي استفحلت في ذلك العصر . . وأخيراً ما استمده الجاحظ من خبرته الطويلة في الحياة وممارسته لظروفها

وأحوالها مما اكتسبه بنفسه أو سمعه من الأعراب . . الخ . . كل هذه العناصر تلاحمت وتعانقت وانصهرت في بوتقة شخصية الجاحظ البارزة وصيغت بأسلوبه المرسل الشائق .

غير أن الكتاب ضم موضوعات شتى قـد لا تمت إلى عالم الحيوان بصلة ، من مثل الـكلام على الشعر وترجمته أو على النار والضيف أو على حفظ السر أو على صدق الظن وجودة الفراسة.. وفي هذا ما ينافي وحدة الموضوع التي جعلها المؤلف في عنوان كتابه . حتى إن الجاحظ نفسه يستطرد داخل موضوعه نفسه فيبتعد عنه كثيراً حتى يصعب على القارىء تتبعه . والجاحظ نفسه الذي ألف كتابه هذا وهو مسن ومصاب بمرض مزمن من النقرس والفالج اعتذر عن ظاهرة الاستطراد في كتابه فقال :

« وقـد صادف هذا الكتاب مني حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه ؛ أول ذلك العلة الشديدة ، والثانية قلة الأعوان ، والثالثة طول الكتاب » .

على أن الجاحظ فيما يبدو لا يرى في هذه الطريقة مأثماً بدليل أنه يسعى بنفسه إلى هذا الاستطراد ويتعمد الخروج عن

موضوعه بغية إمتاع القارىء كما يقول ، ولهذا نراه دائم التقدير للملل القارىء وغلبة السآمة عليه فيلتمس له ما ينشطه :

« وإن كنا قد أمللناك بالجد وبالاحتجاجات الصحيحة لتكثر الخواطر وتشحذ العقول فاننا سننشطك ببعض البطالات وبذكر العلل الطريفة والاحتجاجات الغريبة » .

ومن هنا يخيب أمل القارىء في أن يقف على بحث شامل مستقصى في هذا الكتاب لأن مؤلفه قلما كان يتقيد بموضوعه ويستقر فيه على حال . وقد غدا هذا الاستطراد سنة غير حميدة ابتدعها الجاحظ وسار عليها من أتوا بعده حتى كأنهم لم يعودوا يستطيعون منها فكاكا .

وجملة القول ان كتاب الحيوان عالم زاخر يضطرب بمختلف صور الحياة وتتمثل فيه ألوان الفكر المختلفة في ذلك العصر وتعرض فيه نزعات المجتمع الاسلامي ويظهر فيه عقل الجاحظ الدقيق النافذ وبيانه الادبي الرفيع وذوقه الفني المرهف .

وقد طبع الحيوان في مصر بعناية عبد السلام هارون

في سبعة أجزاء سنة ١٩٣٨ وصنعت له فهارس قيمة تيسر الانتفاع منه [١] .

البيان والتبيين

هذا ثاني كتب الجاحظ القيمة ، وقد ألفه بعد كتاب « الحيوان » لأنه يشير من خلاله إلى الحيوان ، ومن الجائز أنه كان يعمل فيه في أثناء وضعه لكتاب الحيوان . وقد أعجب به القدماء وقدموه ، وفيه قال المسعودي « وللجاحظ كتب حسان ، منها كتاب البيان والتبيين وهو أشرفها لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم وغرر الأشعار ومستحسن الأخبار وبليغ الخطب . . » كما جعله بعضهم في طليعة كتب الأدب . وقد جاء في مقدمة

(١) كان الحيوان قد طبع في مصر بمطبعة التقدم والسعادة أي الساسي في ٧ أجزاء في نحو ثلث حجم صفحات الطبعة الأخيرة وذلك خلال ١٩٠٥ - ١٩٠٧ .

ولعل من أشهر كتب الحيوان بعد الجاحظ « حياة الحيوان » للدميري وقد جعل مؤلفه الحيوانات فيه مرتبة وفقاً لترتيب حروف أسمائها فهو يذكر مثلاً الأرضة فالأرقم فالأرنب والاوز . . وهو كثير النقل عن الجاحظ . ويبرز فيه عيب الاستطراد إلى حد كبير حتى ليختلط التاريخ بالأدب ...

ابن خلدون قوله : « سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه — يعني الأدب — أربعة دواوين وهي أدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها » .

والبيان والتبيين كما ينم عليه عنوانه كتاب أدبي صرف وهو يكشف عن الجاحظ الأديب في نثره الفني الرفيع كما يكشف كتاب الحيوان عن نزعة الجاحظ العلمية واتساع ثقافته وقوة فكره . فالكتاب عربي في موضوعه وفي عناصره وفي مصادره وفي مراميه . وقد حوى جانباً هاماً وعزيزاً من تراث العرب القديم في الشعر والنثر والخطب والوصايا والحكم والأمثال والطرائف والأخبار . وقلما داخله شيء من الثقافة الأجنبية الوافدة . وأغلب الظن أن أثر أرسطو في الكتاب كان ضئيلاً لأن كتابه «الخطابة» لم يكن فيما يبدو قد عرف ونقل إلى العربية ، كذلك لم يترجم كتابه « الشعر » إلا بعد حين . وعلة ذلك فيما نرى أن العرب لم يشعروا أول الأمر بحاجة ماسة إلى ترجمة هذين الكتابين لأن ما بين أيديهم من موارد الشعر والنثر وبلاغة القول كان جديراً

بأن يبعث فيهم روح الاعتداد أو الاكتفاء بما عندهم على الاقل، على حين كانت حاجتهم إلى منطق ارسطو وفلسفته أمس فبادروا إلى ترجمة ما عن لهم من هذا الجانب . ومع ذلك نقع في البيان والتبيين على شذور من آثار هذه الثقافات من مثل ايراد بعض الآراء عن مفهوم البلاغة عند كل من الفارسي واليوناني والرومي ووشل من أخبار أرسطو وأنه غير موصوف بالبيان، وذكر لبعض أخبار جالينوس ومقاطع من رثاء الحكماء للاسكندر وما إلى ذلك .

وقد عني الجاحظ في كتابه بفن القول والأداء ، وأفاض في كلامه على الفصاحة والبلاغة والألفاظ ومخارج الحروف وعيوب النطق عند بعض الناس من لثغة أو لكنة أو حصر وعي . وقد استهل كتابه بالتعوذ من شر الحصر والعي وأن الصمت خير منهما ، وأشاد من خلال آيات قرآنية كثيرة وأشعار غزيرة بفضل الفصاحة والبيان . كما عرض في كتابه إلى الكلام على اللحن في الاداء وإيراد جانب من أخبار اللاحنين من البلغاء .

وكان للخطابة حيز كبير في كتاب البيان والتبيين لأنها في عصر الجاحظ كانت عنوان الفصاحة والبلاغة وأداة الجدال

وعلم الكلام ، فكان الوراقون يعنون بجمع الخطب وتدوينها وإذاعتها استجابة لروح العصر . وأصبح للخطابة في كتاب الجاحظ أصول وقواعد وطرق وأساتذة كذلك كان فيها عيوب يجدر بالمرء تجنبها كما فعل شيخه المعتزلي واصل بن عطاء الذي راض نفسه على تجنب النطق بالراء للثغة كانت فيه . وثمة حروف متنافرة لا ينبغي اجتماعها في قول الخطيب كالجيم مع الظاء والقاف مع الطاء والغين .. الخ .. ويبدو أن الجاحظ كان يعد الخطابة صفة مميزة للعرب وأنهم تفردوا بها بين الأمم وعرفوا فيها بالبداهة والارتجال .

ومن خلال هذه المادة الأدبية الغزيرة في الشعر والنثر كان الجاحظ ينطلق كلما سنحت له الفرصة إلى الخوض في النزعة التي استفحلت في عصره وهي الشعوبية وما كان يردده غلاتها من الطعن على العرب والازراء بهم . فكان الجاحظ يشيد بالعرب وفصاحتهم وبعاداتهم وتقاليدهم ويتصدى للرد على مزاعم أولئك الشعوبية وسمومهم ، ولعل هذا من أهم مرامي الكتاب برغم أن الجاحظ لم يدخر وسعاً خلال كتاب الحيوان أيضاً في الرد على تلك الجماعة التي كانت تكيد للعرب وتتحلى باسم أهل التسوية .

وما يؤكد أن هذا الموضوع كان يستأثر باهتمام الجاحظ ويشغل فكره أنه بالاضافة إلى تعرضه لأصحاب هذا المذهب في خلال الكتاب قد بادر في مستهل الجزءين الثاني والثالث إلى الوقوف عند هذا الموضوع وإيلائه الاهتمام الأول فيهما . حتى إن كلام الجاحظ في أولئك الشعوبيين مشحون أحياناً بالغضب وينم على مرارة وانفعال كشأنه حيث يقول (١) :

« اعلم أنك لم تر قوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ، ولا أعدى على دينه ، ولا أشد استهلاكاً لعرضه ، ولا أطول نصبا ، ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة . وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم وتوقد نار الشنآن في قلوبهم ، وغليان تلك المراجل الفائرة ، وتسعر تلك النيران المضطرمة . . . » .

أما منهج الجاحظ في البيان والتبيين فلا نكاد نتبين له حدوداً واضحة شأنه في ذلك شأن كتابه « الحيوان » من حيث غلبة الاستطراد والخروج عن جادة الموضوع عن عمد أو من

---

(١) البيان والتبيين ٣ : ٢٨ طبعة السندوبي .

دون قصد ، ومن هنا كان الكتاب أيضاً أشبه بمنجم غني من المعادن الثمينة التي تناثرت وتداخل بعضها في بعض ، فعز على ناشدها الاهتداء بيسر إليها .

طبع البيان والتبيين عدة مرات في مصر أفضلها ما أصدره عبد السلام هارون في أربعة مجلدات محققة ومذيلة بفهارس قيمة[1] .

كتاب الكامل

أبو العباس المبرد في طليعة علماء القرن الثالث الهجري . عرف بتمكنه في اللغة والنحو والتصريف ، وملك ناصية الكتابة كما قرض الشعر . وقد وصف بأنه « كان حسن المحاضرة فصيحاً بليغاً مليح الأخبار ثقة فيما يرويه كثير النوادر ، فيه ظرافة ولباقة » تتلمذ على شيوخ عصره من اللغويين والنحاة كأبي عمر الجرمي وأبي حاتم السجستاني وأبي عثمان المازني . ثم صار إمام مذهب

---

(١) صدرت الطبعة الأخيرة لهذا المحقق خلال ١٩٤٨ - ١٩٥٠ . وثمة طبعات أخرى بتحقيق حسن السندوبي آخرها طبعة رابعة في ثلاثة مجلدات صدرت سنة ١٩٥٦ .

البصريين في بغداد ، وكان معاصراً لنده أبي العباس ثعلب الكوفي. وله مصنفات كثيرة في النحو والتصريف واللغة والأدب أبرزها الكامل [1].

وكان من ألمع تلاميذ المبرد الأخفش الأصغر الذي كان له فيما يبدو مشاركة وافية في رواية كتاب الكامل وجمعه وتبويبه [2]، ومن ألمعهم أيضاً أبو إسحق الزجاج الذي انفض عن ثعلب ولازمه. وقد روى ابن خلدون في مقدمته — كما سبق أن علمنا — أنه كان في عداد الكتب الأربعة المتقدمة عند العرب.

وكتاب الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف. وقد تحدث مؤلفه عن محتواه في مستهل الخطبة فقال: « هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب ، ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة

(١) من كتبه القيمة : المقتضب ، وهو في النحو ، المدخل إلى النحو ، معنى كتاب سيبويه ، الرد على سيبويه ، شرح شواهد الكتاب ، التصريف ، الاشتقاق ، اعراب القرآن ، المذكر والمؤنث ، المقصور والممدود ، القوافي ، العروض ، البلاغة ، طبقات النحاة البصريين وأخبارهم .. الخ .

(٢) انظر : تراث الانسانية ، المجلد ٦ العدد ١ .

شريفة ورسالة بليغة . والنيـة أن نفسر كل ما وقع في هـذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق ، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً وافياً ، حتي يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً » .

والواقع أن الكتاب في جملته ينطوي على مجموعة من الكتب في قضايا اللغة وفي مسائل النحو ويحوي جانباً غزيراً من منثور العرب ومنظومهم بالاضافة إلى ما بين دفتيه من أخبار المتقدمين في الحرب والسياسة والأدب . فهو يشبه البيان والتبيين في اهتمامه بشؤون الأدب وايراد نصوصه ولكنه يفترق عنه في غلبة قضايا النحو عليه على حين لم يول الجاحظ هذا الجانب اهتمامه . ومن هنا ساد الكتاب بعض الجفاف العلمي خلافاً لما نراه عند الجاحظ من خفة روح وميل إلى الدعابة ، وما ذلك إلا لأن المبرد عني بدقائق النحو واللغة من خلال من كان يورده من نصوص . ومن هنا فان قراءة هذا الكتاب تحتاج إلى تدبر وإمعان نظر فهو كتاب مفيد ولكنه قل أن يمتع . وواضح أن ثقافة المبرد عربية صرف لم يكد ينفذ منها شيء من روافد الثقافات الدخيلة التي كان يزخر بها العصر العباسي الذهبي .

وفي كتاب الكامل ما في كتب الجاحظ من غلبة الاستطراد عليه . وعلى الرغم من أنه يجعل مادة كتابه المتنوعة في مجموعة كبيرة من الأبواب فاننا لا نكاد نتبين طبيعة كل باب من هذه الأبواب وما هي إلا مسائل متفرقة في النحو أو التاريخ كان يعرض لها المؤلف وسرعان ما يقفز منها إلى سواها دونما منهج ثابت معلوم .

على أن الكتاب يبقى برغم عيب الاستطراد الذي فشا في أكثر المؤلفين القدامى من خير ما ورثناه عن السلف في موضوعه وذلك لخوضه في كثير من مسائل النحو والتصريف من خلال مجموعة أدبية مختارة من عيون الشعر والنثر .

طبع الكامل مرات ، أولاها في لايبزيغ بألمانيا وهي ذات فهارس قيمة ، ثم طبع في استامبول وبعد ذلك في مصر حيث تكررت طباعته . وقد عني بشرحه والتعليق عليه سيد المرصفي فأسماه : « رغبة الآمل من كتاب الكامل » جمع فيه بين المتن والشرح على صعيد واحد ، وبلغ الكتاب ثمانية مجلدات (١)

(١) تولى المرصفي تدريس الكامل على هذا النحو في جامعة الأزهر عدداً من السنين وهذه الشروح والتعليقات المستفيضة زادته =

صدرت عام ١٩٢٧ . ثم طبع متن الكتاب في ثلاثة أجزاء وألحق بها جزء رابع خاص بمجموعة قيمة من الفهارس . وقد عمد بعض الباحثين المعاصرين إلى اختصاره [١] .

= نفعاً وأربت في غزارتها على متن الكتاب .

وتعد طبعة لايبزيغ الجيدة أساساً لما بعدها فقد ظهرت سنة ١٨٧٤ بعناية المستشرق رايت الانكليزي الذي أمضى في هذه المهمة ٨ سنوات وهي طبعة متقنة مشكولة صدرت في مجلدين كبيرين ، ومجلد ثالث ألحق بها يحتوي استدراكات وتعليقات وفهارس ، وقد ظهر سنة ١٨٩٢ . وكان نشر الكتاب من قبل جمعية الاستشراق الالمانية عن المخطوطات الموجودة في ليدن وبطرسبرج وبرلين . كما طبع بعد ذلك في الأستانة سنة ١٨٧٠ .

أما الطبعات المصرية فلم يوفق أكثرها مثل طبعة المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨ هـ في جزأين وطبعة التقدم سنة ١٣٢٣ هـ وبهامشها كتاب الفصول المختارة للجاحظ .

ثم صدرت طبعة البابي الحلبي سنة ١٩٣٦ بعناية زكي مبارك وأحمد محمد شاكر وهي حسنة في ثلاثة أجزاء . ثم ألحق بها فهارس صنعها محمد سيد الكيلاني في جزء رابع صدر سنة ١٩٥٦ .

(١) اختصره حسين نصار في نحو ربع حجمه وصدر في مصر عن وزارة الثقافة باسم « المختار من كتاب الكامل » .

عيون الاخبار

ابن قتيبة عالم أديب من أبرز رجال القرن الثالث الهجري. كان حسن الأسلوب متمكناً في اللغة والتصريف وعلوم القرآن والحديث ، ويعد من رواد النقد الأدبي . وهو من أصل فارسي. تلمذ على شيوخ بغداد ومنهم أبو حاتم السجستاني استاذ المبرد وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي . قيل فيه : « هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة ، فانه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة » وقد عرف بتنوع ثقافته وغزارة مؤلفاته التي منها : أدب الكاتب وهو معدود أحد الكتب الأربعة المتقدمة بين كتب الأدب ، والشعر والشعراء وهو في مقدمته القيمة من أجلّ ما كتبه الأوائل في النقد الأدبي ، وعيون الأخبار وسواها [(١)] .

---

(١) من كتبه أيضاً : غريب القرآن ، معاني القرآن ، القراءات ، الرد على القائل بخلق القرآن ، غريب الحديث ، معاني الشعر الكبير ، المعارف ، الميسر والقداح ، فضل العرب على العجم ، الشراب ، الشعر ، الخيل ، الأنواء ...

والكتاب غزير المادة ، وطابعه أدبي صرف لا يتعرض فيه مؤلفه لمسائل اللغة والنحو والصرف . وهو كتاب ممتع لما حواه من روائع النصوص وعيون الاخبار . وبوسعنا أن نستنتج من خلال ما أورده ابن قتيبة في خطبة كتابه أن أمداً طويلاً انقضى عليه وكان في خلاله يتلقط مادة كتابه ويدونها ويجمعها ثم يعمد إلى تصنيفها حتى خرج على هذه الصورة .

وعيون الاخبار في جوهره لا يختلف عن أكثر كتب الادب القديمة من غزارة المادة الشعرية والنثرية والاخبارية وغلبة ظاهرة الجمع والرواية ؛ إذ قلما كان ابن قتيبة يدلي بدلوه بين الدلاء . ولعل هذا من قبيل التواضع والرغبة عن الادعاء مما نراه سائداً لدى كثير من العلماء .

فابن قتيبة يبدو لنا من خلال خطبة كتابه مؤلفاً كبيراً وعالماً جليلاً يتسم بقوة الشخصية واستقلال التفكير والجرأة في الحق . ومما قاله في مستهل كتابه « إن هـذا الكتاب وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعـلم الحلال والحرام ، دال على معالي الأمور ، مرشد لكريم الأخلاق ؛ زاجر عن الدناءة ناه عن القبح باعث على صواب التدبير وحسن التقدير

ورفق السياسة وعمارة الأرض . وليس الطريق إلى الله واحداً ، ولا كل الخير مجتمعاً في تهجد الليل وسرد الصيام وعلم الحلال والحرام » .

وخطبة الكتاب تنطوي على نزعة واقعية جديرة بالتقدير كما تنم على فكر ناقد متحرر . وقد عرف ابن قتيبة بمقدماته القيمة.

ولعل أهم ما يميز ابن قتيبة في هذا الكتاب على أقرانه ومعاصريه نزعته إلى التنظيم والتبويب ، هذه النزعة التي نفتقدها في كتب الجاحظ والمبرد وثعلب . . فقد حرص المؤلف منذ البداية أن يرسم لنفسه طريقاً يسلكه في كتابه ، وفي ذلك يقول في خطبته : « . . وهذه عيون الأخبار صنفتها أبواباً ، وقرنت الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها وعلى الناشد طلبها . . » .

أما هذه الأبواب التي أشار اليها فقد فصل فيها القول في مقدمة كتابه ورأى أن تكون عشرة أبواب أو عشرة كتب كما آثر ان يسميها . والحق أن كلاً منها يصلح أن يكون كتاباً قائماً بنفسه مستقلاً بموضوعه . غير أن ابن قتيبة جمع بينها لأن خيطاً من الادب ينظمها على حين أفرد لبعض المعارف الاخرى

كتباً خاصة بها من نحو كتاب أدب الكاتب في اللغة وكتاب الشعر والشعراء في النقد وفي التراجم الخ . . وهذه الأبواب العشرة هي :

١ ـ كتاب السلطان ، أي ما يتعلق بأمور الراعي تجاه رعيته ، واختيار عماله وآداب صحبته ، ثم المشاورة والرأي ، والقضاء بين الناس ، والعدل والظلم ... ومثل هذا الموضوع أصبح ذا شأن في العصر العباسي منذ استقر نظام الدولة . ويعد ابن المقفع أول من عالج شؤون الحكم وآدابه وما يتعلق بحقوق الحاكم وواجباته في كتابه « الأدب الكبير » .

٢ ـ كتاب الحرب ، وما يتصل بآداب الحروب ومعاملة النساء والأطفال ، وفي الخدع والمكايد ، وفي العدة والسلاح ، وفي أخبار الجبناء والشجعان . . الخ ويتخلل ذلك نصوص أدبية وافية من أشعار وخطب ووصايا . .

٣ ـ كتاب السؤدد ، أي الشرف والمجد وما يتصل بذلك من الحلم والغضب ، والعز والذل ، والمروءة والحياء والعقل والتحلي بأخلاق السادة والاعتدال في كل شيء .

٤ ـ كتاب الطبائع والأخلاق ، ويضم هذا الباب كثيراً من العادات الذميمة التي لا تحمد في المرء من حسد وسعاية ، ثم ما ينطوى عليه بعض الحيوان من طباع كالأسد وغيره .

٥ ـ كتاب العلم والبيان . يتكلم فيه المؤلف على منزلة العلم والمعرفة وفضل الكتب وأهمية الحفظ ، ثم قيمة القرآن ، ومكانة الشعر والخطابة ، وعنصر التشبيه . . والفصاحة والبداهة والارتجال . .

٦ ـ كتاب الزهد ، وينطوي على عناصر الدعاء والمناجاة والتهجد والوعظ والكبر والمشيب والموت ، وفيه جانب من كلام النساك والزهاد وأخبارهم وأشعارهم .

٧ ـ كتاب الإخوان ، ويتعرض فيه للعلاقات الاجتماعية بين الناس من مثل الحث على المحبة والمعاتبة والوداع والهدايا والتعازي . .

٨ ـ كتاب الحوائج ، أي فيما يحتاج إليه المرء ، وما ينبغي عليه ان يتلطف من أجله المسؤول عند السؤال ، ومايتصل بذلك من الشكر والثناء .

٩ ـ كتاب الطعام ، ويورد فيه ابن قتيبة صنوف الأطعمة وأنواع الفاكهة ، ويتكلم في خلاله على الجوع والصيام والحمية والدواء ...

١٠ ـ كتاب النساء ، ويبحث في أخلاق المرأة وصفاتها ، وما تتسم به من حسن وجمال أو دمامة وقبح وتفصيل ما يكون مستحباً فيها من سواد العيون وطول القامة وحسن الحديث، أو ما يقابل ذلك من العيوب كالبخر والنتن والعرج ، ثم المهور والزواج والطلاق والولادة والعشق ...

وهذا التقسيم مبني — كما هو واضح — على مبدأ الموضوعات الاساسية ويذكرنا من جهة أخرى بالتقسيم المقابل الذي اصطنعه أبو تمام في الشعر حين اعتمد أيضاً على مبدأ الأغراض الشعرية البارزة وجعلها كذلك في عشرة أبواب . حتى إننا نجد تشابهاً بين بعض الأبواب من حيث المضمون ؛ فكتاب الحرب يقابل باب الحماسة ، وكتاب النساء يقابل باب مذمة النساء، الخ ..

على أننا برغم تقديرنا لهذه الخطوة التي خطاها ابن قتيبة في مضمار التنهيج والتنسيق لا بد لنا من أن نتحفظ في هذا

الأمر فلا نذهب فيه إلى مداه . فابن قتيبة يظل أبدا ابن عصره فلا يستطيع فكاكا من الاستطراد لأنه أصبح لدى المؤلفين بمثابة مذهب يصدرون عنه ويلزمون أنفسهم به . وابن قتيبة نفسه بعد أن يتكلم على ميزة التبويب في كتابه لا يلبث أن يقول : « ولم أخلِ الكتاب مع ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة معجبة وأخرى مضحكة ، لأروح بذلك على القارىء من كد الجِد وإتعاب الحق ؛ فان الاذن مجاجة وللنفس حمضة . وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين .. » .

عني المستشرق الكبير كارل بروكلمان بنشر هذا الكتاب وتحقيقه في ألمانيا . ثم طبع في مصر أكثر من مرة آخرها طبعة دار الكتب المصرية في أربعة أجزاء [1] .

---

(١) طبع من عيون الأخبار الأجزاء الأربعة الأولى في « غوتنجن » بألمانيا خلال ١٨٩٩ - ١٩٠٨ بعناية « بروكلمان » وهي طبعة محققة متقنة . وهي كتب السلطان - الحرب - السؤدد - الطبائع - الأخلاق .

ثم أعيد طبع الجزء الاول أي كتاب السلطان عام ١٩٠٧ في مصر .

=

العقد الفريد

يعد العقد الفريد في الطليعة من كتب الأدب ويقرن مع البيان والتبيين وعيون الأخبار وكامل المبرد وأمالي القالي . . ومؤلفه أحمد بن عبد ربه أندلسي نشأ في قرطبة وعاش في العصر الذهبي الذي بلغت فيه الأندلس أوج ازدهارها ، وأدرك حقبة من حكم الخليفة الناصر في ضحى القرن الرابع .

ويشترك الكتاب مع سائر كتب الأدب في الخصائص التي سادت المؤلفات في ذلك العصر . فهو ذو طابع أدبي موسوعي تتسم مادته بالغزارة والتنوع ؛ وحوى جانباً وافياً من نصوص الشعر

= وأخيراً صدر عن دار الكتب المصرية في ٤ مجلدات تباعاً في الأعوام ١٩٢٤ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣٠ . وهي طبعة علمية تمتاز بجودة حرفها وحسن ضبطها وإتقان تحقيقها وغنى فهارسها . وقد أعيد نشر هذه الطبعة بطريقة التصوير من قبل وزارة الثقافة في مصر عام ١٩٦٣ .

وعمد أحمد البردوني في مصر إلى اختصار الكتاب فأسماه « المختار من عيون الأخبار » وقد صدر عن وزارة الثقافة .

والنثر والخطب والوصايا والرسائل ، كما حوى معارف في الفقه والحديث والتاريخ والعروض واللغة والأخبار . وقد تكلم على ذلك في خطبة كتابه فقال :

« وقد ألفت هذا الكتاب ، وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب . وإنما لي فيه تأليف الاختيار ، وحسن الاختصار » .

غير أن لكل كتاب طعماً ومذاقاً ، ولم يكن صاحب العقد جامعاً أو مصنفاً فحسب ، فشخصيته في كتابه كانت أكثر بروزاً ووضوحاً مما عهدنا لدى كثير من المؤلفين أمثاله . ويتجلى لنا ذلك من وجوه ، منها انعكاس ثقافته الخاصة وميوله المتميزة في كتابه من شغف بالموسيقى والغناء والملاحة والحسن ، وميل إلى وصف مجالس اللهو والطرب والشراب . وهذه ملامح اتسم بها أهل الأندلس وعرفوا بها بين أهل المشرق .

ومما يتميز به الكتاب أيضاً أن صاحبه كان شاعراً مبدعاً وكاتباً بليغاً فلم يشأ أن يهدر هذه الموهبة الخلاقة دون ان يجري مع فحول الشعر وفرسان الادب . ويبدو أن اعلام المؤلفين في

المشرق كانوا يتحرجون على إدخال منثورهم ومنظومهم في كتبهم ويقتصرون على ما يروونه عن شيوخهم من نتاج المتقدمين في تواضع جم . غير أن ابن عبد ربه كان معتداً بنفسه وأدبه ولا تربطه وشائج التلمذة بكثير ممن تعرض لادبهم في عقده، ولهذا كان يدلي بدلوه بين الدلاء ، فيورد شيئاً من شعره كلما وجد إلى ذلك سبيلاً كأن يقول بعد أن يورد افيفاً من كلام النبي وبعض خلفائه ومن أقوال عدد من الشعراء : « ومن قولنا في هـذا المعنى وغيره من مكارم الاخلاق :

المـال إن أصلحته يصلح وإن أفسدت يفسد
والعـلم ماوعت الصدو ر وليس ما في الكتب يخلد

وقـد أعلن المؤلف في خطبة كتابه هذا العزم فقال : « وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الاخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها . وقرنت بها غرائب شعري ، ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته ، وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور » .

وقـد دأب ابن عبد ربه في عقده أيضاً على ايراد شذور

من نثره المتأنق ، فكان يستهل كل باب من أبواب كتابه بتمهيد من إنشائه لطيف الأسلوب جيد المعاني يسميه « الفرش » يجعله بمثابة مدخل إلى موضوعه . وبذلك كان صاحب العقد مختاراً ومنشئاً معاً .

والظاهرة الأخرى التي انفرد بها ابن عبد ربه أنه عمد إلى حذف الأسانيد من متن كتابه مكتفياً بنسبة القول إلى صاحبه دون أن يورد سلسلة الرواة التقليدية التي درج عليه المؤلفون . وهذه خطوة جريئة من المؤلف لم يقدم عليها كثير من المؤلفين تحرجاً من مخالفة الأئمة في هذه السنة وتفاديا لما قد يكون من طعن على أمانة المؤلف وصدقه . أما دافع ابن عبد ربه إلى ذلك فكان طلبا للاستخفاف والإيجاز . والحق أن إغفال الأسانيد بات ضرورياً بعد أن غزر النتاج الأدبي وبات مثقلاً بها . كما أن أسباب وجوده نفسها قد زالت بعد أن دوّن التراث القديم وأثبت في بطون الكتب . يضاف إلى ذلك أن الحاجة إلى الأسانيد في مجال الفقه التشريع والحديث أمسّ منها في الشعر والنثر .

كل ذلك ينم على أن شخصية ابن عبد ربه في كتابه

لا تختفي وراء ركام ما جمعه من نتاج العرب الغزير في المشرق والمغرب .

على أن هذا الكتاب على جلال قدره لم يصادف هوى في نفوس بعض أهل المشرق لأن ابن عبد ربه وهو المؤلف الأندلسي القرطبي قصر مادة كتابه أو كاد على أدب المشارقة وحدهم ، فكان يورد أقوالاً وأخباراً عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي عمرو الشيباني وابن الاعرابي والمبرد والجاحظ . . حتى لنخاله لم يبرح بغداد أو البصرة وهو يعكف على تصنيف كتابه ، على حين أنه لم يرحل إلى الشرق قط . والمشارقة كانوا يتلهفون على كل ما يرشح إليهم من نتاج فرعهم الزاكي من وراء البحر . ومن هنا عبر الصاحب بن عباد عن شعور الخيبة تجاه العقد في قولته الشهيرة : « هذه بضاعتنا ردت الينا » .

وأغلب الظن أن ابن عبد ربه بشخصيته النامية ومواهبه المتعددة كان يرى بأسى ومرارة إلى ما كان عليه قومه في الاندلس من إقبال مسرف على أدب المشارقة وإغفال مجحف لادب رجال الاندلس والمغرب ، فقصد من كتابه إلى غاية مزدوجة ؛ أن يثبت لقومه أن في الاندلس من مثله أناساً يضارعون أعلام

الأدب من المشارقة ، كما حرص في الوقت نفسه على أن يرضي فيهم تعطشهم إلى ما كان يصدر عن أبناء أرومتهم في الشرق من أقوال وأخبار وأحوال ..

ان ابن عبد ربه نفسه على بروز شخصيته بروزاً محدوداً في كتابه لم يستطع ان يخرج عن فلك المشارقة في رواية أدبهم فكان شأنه أيضاً شأن سائر أهل الأندلس . بل إنه أيضاً كان عالة عليهم في منهج كتابه نفسه . فقد قسم كتابه أبواباً بينها وبين أبواب كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة شبه كبير ؛ فالباب الأول عنده في السلطان والثاني في الحروب على غرار نظيريهما في عيون الاخبار. كما أن أبواب العلم والادب ، المواعظ والزهد ، الطبائع ، الطعام ، النساء ، سبق أيضاً أن رأيناها في كتاب ابن قتيبة . كما أسمى ابن عبد ربه كل باب كتاباً على غرار ما فعل سلفه في عيون الاخبار . حتى إننا نجد ملامح هذا التأثر في فقرات من خطبة العقد نفسها وفي بعض ما تضمنه صلب الكتاب . والحق ان شهرة ابن قتيبة في الاندلس كانت واسعة حتى لتعاب كل مكتبة لا تحوي بعضاً من مصنفاته بأنها لا خير فيها . ومن الغريب أن ابن عبد ربه برغم اتكائه على عيون الاخبار إلى هذا المدى أغفل الاشارة إلى سلفه فلم يذكر في ذلك فضل المتقدم ، وهكذا غمطه حقه .

على أن منهج ابن عبد ربه في العقد الفريد يمتاز في الوقت نفسه بطرافة عرف بها أهل الأندلس وتنم على ميلهم إلى الزخرفة والتلوين وجنوحهم إلى التنظيم والتناظر . فقد تصور كتابه عقداً كما آثر ان يسميه ، فجعله مؤلفاً من خمس وعشرين جوهرة كريمة ، اثنتا عشرة في جانب ، وهي : اللؤلؤة ، الفريدة ، الزبرجدة ، الجمانة ، المرجانة ، الياقوتة ، الجوهرة ، الزمردة ، الدرة ، اليتيمة ، العسجدة ، المجنبة . واثنتا عشرة أخرى تقابلها في جانب العقد الآخر ، تناظر فيه كل حبة مثيلتها في الجانب الاول وتحمل اسمها نفسه . وثمة حبة تتوسط طرفي العقد أسماها « الواسطة » وهي عادة أنفس جواهر العقد .

وهكذا كان الباب الاول في الكتاب : « اللؤلؤة » في السلطان والباب الثاني : « الفريدة » في الحروب . . وبعد ذلك الباب الثاني عشر : « المجنبة » في الأجوبة فباب « الواسطة » في الخطب . وبعد ذلك تبدأ أبواب الجانب الآخر بباب : « المجنبة الثانية » « فالعسجدة الثانية » حتى تنتهي أبواب الكتاب كما ابتدأت بباب : « اللؤلؤة الثانية » في الفكاهات والملح . وبذلك يكتمل العقد .

وقد طبع كتاب العقد الفريد طبعات كثيرة معظمها رديء، حتى قيض له أن ينشر نشراً علمياً . ففي عام ١٩٤٠ ظهرت له طبعتان جيدتان الاولى بتحقيق محمد سعيد العريان في ثمانية أجزاء، والاخرى بتحقيق أحمد أمين ورفيقيه ، وهي في سبعة أجزاء يقتصر الاخير منها على فهارس كثيرة قيمة (١) .

كتاب الامالي

الأمالي جمع إملاء على غير قياس أو أنها جمع املية كأغنية وأحجية وأثفية وأمسية . قال حاجي خليفة صاحب « كشف

---

(١) سبق للعقد الفريد أن طبع في مصر ببولاق سنة ١٢٩٣ هـ ثم في ١٣٠٢ هـ ثم في ١٣٠٥ هـ ثم في ١٣١٦ هـ ثم في ١٣٢١ هـ ثم في ١٣٣١ هـ ثم في ١٣٥٣ هـ واكثرها غير محقق ولا مضبوط .

وقد ظهرت طبعة العريان سنة ١٩٤٠ عن مطبعة الاستقامة ثم أعيد نشرها سنة ١٩٥٣ . والطبعة الأخرى للعقد كانت بعناية أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري وصدرت عن لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ثم اعيد نشرها ثانية ، ثم ثالثة سنة ١٩٦٥ . وتمتاز طبعة أحمد أمين بفهارسها الوافية وتبلغ اثنى عشر فهرساً ، وهي أفضل الطبعات .

الظنون » يصف التأليف في هـذا الفن : « هو أن يقعد عالم وحوله تلاميذه بالمحابر والقراطيس ، فيتكلم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه ، ويكتبه التلاميذ فيصير كتاباً ، ويسمونه الإملاء والأمالي . وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربيـة » .

فالأمالي كل ما يمليه شيخ على طلابه في العلوم والمعـارف المختلفة من فقه وتفسير وحديث نبوي ولغـة ونحو وأدب . وهي في رأينـا تطابق في مدلولها كلمة « المحاضرة » في العصر الحديث . وليس من فارق بين الأمالي وبين المحاضرات سوى أن الامالي تملى في الغالب من الذاكرة وارتجالاً عن ظهر قلب، على حين تتـلى المحاضرة من أوراق أعدت من قبل . وبتعبـير آخر ان المحاضرة صورة جديدة ومتطورة للاملاء تتسم بالتركيز ووحدة الموضوع .

وكثيراً ما كان المؤلفون في القديم يستعيضون عن كلمـة أملية أو إملاء بكلمة « مجلس » وثمـة كتب تحمل هذا الاسم أهمها « مجالس ثعلب » وتعرف أيضاً بأمالي ثعلب .

ومن هنا كثرت الكتب التي تحمل اسم الامالي كثرة بالغة في تراثنا العربي . ولا يعنينا من هذه الكتب الا ما كان في اللغة والأدب وهو أيضاً كثير يتعذر عده[1] .

أما كتاب الامالي لأبي علي القالي البغدادي فلعله أشهر كتب الأمالى قاطبة . ولذلك يمكننا أن نتخذه نموذجاً ينم على سائر الكتب في الموضوع . وكثيراً ما يطلق على أمالي القالي اسم « النوادر » ولعل هذه التسمية من قبيل إطلاق الجزء على الكل ؛ فالمعروف أن جزءاً من الكتاب يلي الامالي كان مؤلفه قد ألحقه به وأسماه « النوادر » كما أن الكتاب يعرف أيضاً باسم « النوادر والامالي » .

وقد عرف القدماء فضل الامالي وقدموه فجعلوه كما يروي

---

(١) من هذه الكتب : أمالي ثعلب – ٢٩١ هـ ، أمالي اليزيدي – ٣١٠، أمالي ابن دريد – ٣٢١ ، أمالي أبي بكر بن الأنباري – ٣٢٨ ، أمالي الزجاج – ٣١٦ ، أمالي الزجاجي – ٣٤٠ ، أمالي القالي – ٣٥٦ ، أمالي بديع الزمان الهمذاني – ٣٩٨ ، أمالي المرزوقي – ٤٣١ ، أمالي المرتضى – ٤٤٦ ، أمالي أبي العلاء – ٤٤٩ ، أمالي ابن الشجري – ٥٤٢ ، أمالي الزمخشري – ٥٣٨ ، أمالي ابن الحاجب – ٦٧٢ ..

ابن خلدون أحد الكتب الاربعة المتقدمة إلى جانب الكامل والبيان والتبيين وأدب الكاتب .

ألف أبو علي البغدادي كتابه الامالي في قرطبة بعد أن رحل إلى الاندلس ملبياً دعوة خليفتها الناصر ثم أهداه إلى ابنه الحكم الاموي .

والكتاب ليس أدبياً محضاً ، فقد غلب عنصر اللغة على كثير من جوانبه ؛ فهو أقرب ما يكون إلى كامل المبرد ومجالس ثعلب . قال ابن حزم : « كتاب نوادر أبي علي مبار لكتاب الكامل الذي جمعه المبرد . ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً فان كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً »[1] . والقالي نفسه يتكلم على محتوى كتابه فيقول في خطبته : « .. وأودعته فنوناً من الأخبار وضروباً من الأشعار وأنواعاً من الأمثال وغرائب اللغات . على أني لم أذكر فيه بابا من اللغة إلا اشبعته ولا ضربا من الشعر إلا اخترته ولا فناً من الخبر إلا انتخلته ولا نوعاً من المعاني والمثل إلا استجدته . ثم لم أخله من غريب القرآن وحديث الرسول » .

---

(١) معجم الأدباء ٧ : ٢٨ .

فمادة الأمالي كما أرادها أبو علي أمشاج من الاخبار والأشعار والأمثال يتخللها شي من تفسير القرآن وحديث الرسول . ويغلب على ذلك كله الطابع اللغوي الذي يميز الكتاب .

ان غزارة المادة في أمالي القالي سمة بارزة فيه ، فهو غني بنصوص الشعر والنثر مما يعز وجوده في كثير من الكتب . ولكننا إذا تساءلنا عن المنهج الذي آثره القالي في كتابه القيم هـذا خاب أملنا . انه أشبه بمنجم من المعادن الثمينة تناثرت كنوزه وتوعرت اليه الدروب . وهذه السنة في التأليف ابتدعها الجاحظ وقلما استطاع المؤلفون بعده ان يتحرروا منها . وكان جديراً بالقالي وقد عاش في القرن الرابع أي بعد المرحلة الجاحظية بأكثر من قرن أن يعمد إلى شيء من تنسيق الأشباه والنظائر في كتابه . فقد رأينا عدداً ممن عاصروه بل سبقوه كابن قتيبة وابن عبد ربه يعمدون إلى نوع من التبويب في مصنفاتهم الكبيرة برغم بقاء ظاهرة الاستطراد فيها . ولعل من أسباب ضعف التبويب وقلة التنظيم في كتاب الامالي ان مؤلفه كان يعتمد على طريقة الإلقاء والإملاء من محفوظه وعن ظهر قلبه . وقد كان جمع ما صدر عن شيوخ العلم المتقدمين شاغله الأول . ومما قاله أبو علي في ذلك :

« .. فأمللت هذا الكتاب من حفظي في الأخمسة بقرطبة وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة » ثم يقول : « لما رأيت العلم أنفس بضاعة أعملت نفسي في جمعه ، وشغلت ذهني بحفظه، حتى حويت خطيره ، وأحرزت رفيعه ، ورويت جليله ، وعقلت شارده ، ورويت نادره . . » وهذا النص واضح الدلالة على حرص أبي علي على الجمع والاستيعاب ، شأنه في ذلك شأن أكثر المؤلفين القدامى . وقد ذكر ابن بسام أن أبا علي كان يقول لأهل الاندلس : « ان علمي علم رواية وليس بعلم دراية ، فخذوا عني ما نقلت » وفي هـذا القول أيضاً ما يكشف عن طابع كتاب أبي علي فضلاً عن أنه ينم على تواضعه وهو ماهو بين العلماء في عصره. وقلما نقع خلال الامالي على فقرة لا تبدأ باحدى العبارات التقليدية المألوفة : حدثنا أو أنشدنا أو قرأت على فلان . .

وأغلب الظن ان أبا علي كان يأنس من أهل الاندلس وجمهور قرطبة شغفاً بأخبار المشارقة وإقبالاً على علمهم وأدبهم فيعمد من جهته إلى إرضاء هذا التطلع في نفوسهم ويحرص على أن يبهرهم بسعة محفوظه وغزارة علمه ، وكأنه يضع بين يديهم

حصيلة ما حواه شيوخه وما آل اليه منهم . ومما يؤيد هذه الرغبة في نفسه أنه وهو المعدود على مذهب البصريين كان لا يتردد في النقل عن الكوفيين وأحياناً عن بعض الكوفيين غير الموثقين .

على اننا قد نظلم القالي إذا عددناه في كتابه جامعاً حافظاً للنصوص فحسب ، فالحق انه فقيه لغوي قل نظيره ، مقتدر على شرح العويص من معاني الألفاظ ، بل انه فوق ذلك ذواقة للنصوص ، بصير بجميل الشعر والنثر . ولعل قيمة كتابه الحقيقية انما تكمن في هذه الناحية . إن كتاب الأمالي قبل كل شيء مختارات أدبية رفيعة تمتاز في الغالب بالأصالة والندرة وتنطوي في الوقت نفسه على الفائدة والمتعة .

وقد نشر كتاب الأمالي أول مرة في مصر بمطبعة بولاق سنة ١٣٢٤ هـ ثم طبع في دار الكتب المصرية عام ١٩٢٦ وتكررت بعد ذلك طبعاته [١] .

---

(١) طبعة دار الكتب تتألف من جزءين يليهما جزء ثالث هو ذيل الأمالي والنوادر . ثم جزء رابع صغير هو كتاب النوادر . =

كتاب الاغاني

أبو الفرج علي بن الحسين عالم أديب من أصبهان قرشي الأصل بغدادي المنشأ . كان عالماً بأيام العرب وأنسابهم وسيرهم وأخبارهم ومغازيهم ، حافظاً للشعر والحديث ، ملماً بالطب والفلك والموسيقا ، وكان شاعراً كاتباً ناقداً . وقد عاش إبان القرن الرابع الهجري ، وتوفي سنة ٣٥٦ هـ سنة وفاة القالي وسيف الدولة وكافور . .

ومؤلفات أبي الفرج كثيرة [1] ، وكان يؤلفها سراً لأمراء الأندلس ويبعث بها اليهم ، فيبعثون اليه بالجوائز ، غير أن أعظمها

= وكان من اصداء شهرة الأمالي أن أبا عبيد البكري الأندلسي نشط لشرحه وتفسير نوادره في كتابين يحمل احدهما اسم « اللآلي في شرح أمالي القالي » ، والثاني « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » .

(١) من هذه الكتب : كتاب القيان ، الاماء الشواعر ، الديارات ، الحانات ، مقاتل الطالبيين ، نسب بني عبد شمس ، أيام العرب ، نسب المهالبة ، نسب بني تغلب ، كتاب الغلمان المغنين .

كتاب الأغاني . وقد قدمه إلى سيف الدولة فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه لقلة المبلغ [1] . ويروى أن الصاحب بن عباد كان يستصحب حمل ثلاثين جملاً من الكتب فاستغنى عنها . فهو مكتبة في كتاب ، ويقال أنه جمعه في خمسين سنة .

وكتاب الأغاني لا يدانى في منزلته وغزارة مادته ، فقد اجتمع فيه مالم يجتمع لسواه من تراث العرب الأدبي . وقد استوعب ثقافة عصره وحصيلة معارفه وحوى عيون النثر والشعر والقصص والأخبار والتاريخ والاجتماع والمجون والجد والغناء وتراجم الأدباء . .

والأغاني فضلاً عن ذلك كله يعد في مادته مصدراً ثميناً لدراسة الحياة الاجتماعية في عصره . وهنا تكمن قيمته الحقيقية برغم أن أبا الفرج نفسه لم يفطن إلى أهمية هذا الجانب عندما كان يؤلف كتابه . فنحن بعد ألف عام نرى من خلاله كيف

---

(١) كان الحكم الأندلسي يبعث في شراء الكتب الى الأقطار رجالاً من التجار ، وبعث في كتاب الأغاني الى مصنفه أبي الفرج الاصفهاني بألف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخة منه قبل أن يخرجه الى العراق .

كانت الكتاتيب في تلك الأيام وكيف كان الطلاب يختلفون إلى المساجد . كما نلمس فيه أيضاً تقاليد الناس وعاداتهم وما كانت عليه مجالس طربهم وأجناس شرابهم وأنواع زينتهم ومآكلهم وأزيائهم ، وهو ينطوي على وصف حي للجواري والفتيان وآلات الطرب ، وفيه تصوير طريف لحياة القصور وانماط بنائها وأثاثها وحياة الترف في جنباتها . ومن خلال الأغاني أيضاً نقف على حال المرأة وما كان يعتري حياة الناس من مظاهر الحرية والعبودية والترف والبذخ والنعيم والشقاء .

« جمع أبو الفرج في كتابه — كما يقول ابن خلدون — أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم . وجعل مبناه على الغناء في مئة الصوت التي اختارها المغنون للرشيد . . » وقد استهل المؤلف كتابه الكبير بالكلام على الأصوات التي بنى عليها كتابه ، فأورد ما ذكره اسحق بن إبراهيم الموصلي من أن الرشيد أمر أباه إبراهيم باختيار أصوات من الغناء القديم فاختار له من غناء أهل كل عصر ما اجتمع علماؤهم على براعته وإحكام صنعته ونسبته الى من شدا به ، ثم أتى الى المحدثين وأخذ يورد لهم ما يطابق هذه الأصوات . وبعد أن اختار إبراهيم

وابن جامع الأصوات المائة أمرهم باختيار عشرة فاختاروها ، ثم ان يختاروا ثلاثة ، ومنها لحن المغنى معبد في شعر أبي قطيفة الشاعر القرشي الذي نفاه عبد الله بن الزبير ، ثم لحن ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة ، ثم لحن ابن محرز في شعر نُصيب ...

ولنستمع إلى أبي الفرج نفسه يتكلم على منهجه في كتابه فيقول : « هذا كتاب ألفه أبو الفرج . . وجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية قديمها وحديثها ، ونسب كل ما ذكره منها إلى قائل شعره وصانع لحنه وطريقته من إيقاعه، وإصبعه التي ينسب إليها من طريقته .. وأتى في كل فصل من ذلك بنتف تشاكله ولمع تليق به ، وفقر إذا تأملها قارئها لم يزل متنقلاً بها من فائدة إلى مثلها ومتصرفاً فيها بين جد وهزل وآثار وأخبار وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة » .

ونستنتج من خطبة أبي الفرج في كتابه ان الباعث الأول على تأليفه الكتاب وعلى تبويبه إنما هو جمع الأغاني وأنه اضطر الى اتباع المنهج الخاص لأنه كان عليه أن يبدأ بذكر الاصوات الثلاثة المختارة وما استتبع ذلك من ارتباطها بشعراء متأخرين في

الزمان وليسوا من المشهورين او المعدودين في المتقدمين . ومن هنا فاننا لا نجد للأغاني باعتباره كتاباً أدبياً بين أيدينا منهجاً معلوماً تندرج فيه المادة الغزيرة تحت أبواب أو تتسلسل على حسب أزمان أو نحو ذلك من نظام . ومن هنا تدفقت المادة في الكتاب أخلاطاً كما كان شأنها في سائر كتب الادب القديم، وكان يلفها الاستطراد أيضاً في كثير من الاحيان .

حتى ان ما سبق ان أورده الجاحظ في هذا الصدد نسمعه ثانية من أبي الفرج وهو يقول : « وفي طباع البشر محبة الانتقال من شيء الى شيء ، والاستراحة من معهود إلى مستجد ، وكل منتقل اليه أشهى الى النفس من المنتقل عنه . فما رتبناه أحلى وأحسن ليكون القارىء له بانتقاله من خبر إلى غيره ومن قصة إلى سواها ومليك إلى سوقة وجد إلى هزل أنشط لقراءته وأشهى لتصفح فنونه » .

ولا شك أن ما رآه أبو الفرج مزية نراه نحن اليوم عيباً لأن في ذلك الاستطراد والتنقل ما يخل باتساق البحث ووحدة الموضوع . ويبقى كتاب الاغاني في الذروة من كتب الادب ليس بوسع باحث أن يستغني عنه .

وقد طبع الأغاني عدداً من المرات بعضها لم يتم وأشهرها طبعة الساسي في مصر وهي في ٢١ جزءاً عدا جزءي الفهارس، ثم طبعة دار الكتب المصرية وهي أجود الطبعات غير أنه لم يصدر منها سوى ١٦ جزءاً [1].

وقد عني القدماء والمحدثون بهذا الكتاب فعملوا على تلخيصه أو إعادة ترتيبه، وكانت حصيلة ذلك كتباً كثيرة [2].

زهر الآداب

أبو إسحق الحصري القيرواني أديب من المغرب العربي عاش في القيروان خلال النصف الأول من القرن الخامس. كان شاعراً وناثراً [3].

---

(١) صدرت طبعة محمد الساسي سنة ١٣٢٣ هـ، وطبعة دار الكتب سنة ١٩٢٧ م ثم صدرت في بيروت طبعات أخرى.

(٢) من هؤلاء في القديم ابن واصل الحموي في «تجريد الأغاني من ذكر المثالث والمثاني». وابن منظور في كتابه «مختار الاغاني في الأخبار والتهاني» ومنهم في الحديث انطون الصالحاني في «رنات المثالث والمثاني في روايات الاغاني» ثم محمد الخضري في «مهذب الاغاني».

(٣) أبو اسحق هـذا ابراهيم بن علي المتوفي ٤٥٣ غير أبي الحسن =

واسم كتابه « زهر الآداب وثمر الألباب » وهو كتاب أدبي محض لم يعن فيه صاحبه بالنحو والتصريف واللغة ، وإنما قصر فيه الكلام على فن القول من شعر ونثر وما يتصل بذلك من ضروب البلاغة وجمال الصياغة واصابة التشبيه وحسن الانشاء وجودة الخطابة .

وتتجلى ظاهرة الجمع بارزة في كتابه حيث يعمد في غالب الأحيان الى سرد النصوص وايراد الأخبار دون أن تبدو له مشاركة من رأي أو تعليق . كما ان كتابه يفتقر الى شيء من نظام أو تنسيق ، فهو مثلاً يتكلم في مستهل كتابه على الزبرقان بن بدر ثم على علية بنت المهدي ثم على الشعر والبيان عامة ثم على الرسول وبعض أقواله وبعد ذلك يتكلم في زهير وشعره . . وهكذا يمضي دون التقيد بعصر أو بموضوع . وقد وصفه بعض القدماء بأنه « جمع كل غريبة » وهذا الوصف مطابق لحال الكتاب .

= علي بن عبد الغني القيرواني وان كانت بينهما قرابة . وأبو الحسن القيرواني المتوفى ٤٨٨ شاعر عرف بقصيدته التي مطلعها :

يا ليل الصب متى غده   اقيام الساعة موعده

يغلب الجد على كتاب أبي إسحق فيحرص على أن يكون في دائرة الخلق والدين بعيداً عن العبث والمجون [1] ، ويعني بأخبار الصحابة والتابعين وبأقوالهم تديناً منه وورعاً .

ومما يعلنه المؤلف في خطبة كتابه قوله : « وبعد فهذا كتاب اخترت فيه قطعة كافية من البلاغات في الشعر والخبر والفصول والفقر مما حسن لفظه ومعناه . . . وليس لي في تأليفه من الافتخار أكثر من حسن الاختيار ، واختيار المرء قطعة من عقله » .

وقد عنى أبو إسحق بموضوع الوصف عناية خاصة فأكثر من ايراد النصوص في وصف الليل ووصف البلاغة ووصف الماء ووصف الرعد والبرق ووصف الحسن ووصف المشيب .. وقد غلب السجع على عبارته بعد أن أصبح ذلك ظاهرة فنية من أسلوب هذا العصر ، فكان مما ذكره واصفاً محاسن المرأة : « بدر التم يضيء تحت نقابها ، ونبت الدر من فمها ، وملقط الورد من

(١) أبو إسحق هذا ابراهيم الحصري ألف كتابا خاصاً في الملح والنوادر أسماه « جمع الجواهر في الملح والنوادر » ويعرف أيضاً باسم ذيل زهر الآداب . وقد نشر في جزء واحد في طبعة علمية جيدة .

خدها ، ومنبع السحر من طرفها ، ومبادي الليل من شعرها ، ومغرس الغصن من قدها . . »

وقد طبع مرات في مصر آخرها طبعة مشروحة مضبوطة صدرت عام ١٩٥٣ بعناية محي الدين عبد الحميد [1] .

نهاية الأرب

منذ أن اجتاح التتار بغداد سنة ٦٥٦ هـ دالت دولة العباسيين وابتدأ عهد من الضعف والركود في الفكر والأدب ، عرف بعصر الانحدار أو الانحطاط . غير أن هذا العصر شهد في مصر والشام نشاطاً ملحوظاً في تأليف المصنفات الواسعة في اللغة والأدب والتاريخ والاجتماع . وكان طابع هذه المصنفات موسوعياً مسهباً .

---

(١) طبع زهر الآداب أول الأمر في مصر على هامش العقد الفريد . ثم طبع على انفراد طبعة رديئة . وفي عام ١٩٢٥ صدر بعناية زكي مبارك بشروح موجزة في أربعة أجزاء ثم تكررت طباعته عام ١٩٢٩ . وأخيراً كانت طبعة محي الدين عبد الحميد وهي من أجود الطبعات عام ١٩٥٣ ، وطبعة علي البجاوي في العام نفسه وهي متقنة ذات فهارس .

وكتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » نموذج بارز لهذا اللون من التأليف . فقد ألفه شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري المصري المتوفى سنة ٧٣٣ واستغرق اثنين وثلاثين مجلداً. وهو يضم مادة وافية مطولة في معارف شتى ، منها الأدب والتاريخ والجغرافيا والفلك وتقويم البلدان والحيوان والنبات . . الخ ولم يعن فيه صاحبه بالنحو واللغة .

والكتاب وان كان شأنه شأن أكثر المصنفات في عصره من حيث افتقاره إلى الأصالة والابتكار لكنه يمتاز بحسن تأليفه وإحكام تبويبه، فقد بلغ فن التأليف آنئذ مرحلة متقدمة .

جعل النويري كتابه خمسة فنون كبرى ، وكل فن يحتوي خمسة أقسام ، وكل قسم يتضمن عدداً من الأبواب تقل أو تكثر وذلك على النحو التالي :

الفن الأول : في السماء والآثار العلوية والارض والمعالم السفلية .

القسم الأول : في السماء وما فيها (خلق السماء ، الملائكة، الكواكب . .)

القسم الثاني : في الآثار العلوية (السحاب ، الثلج ، الهواء ، النار ..)

القسم الثالث : في الليالي والأيام والشهور والاعوام ..

القسم الرابع : في خلق الأرض والجبال والبحار والأنهار..

القسم الخامس : في طبائع البلاد وأخلاق سكانها .

الفن الثاني : في الانسان وما يتعلق به ، وهو أيضاً في خمسة أقسام والاقسام تتفرع بدورها الى فصول على غرار ما سبق .

الفن الثالث : في الحيوان .

الفن الرابع : في النبات .

الفن الخامس : في التاريخ وهو أطول الفنون ، يبدأ فيه القول مذ عهد آدم حتى عهد السلاجقة والتتار .

وقد طبعته دار الكتب المصرية طباعة جيدة ولكنها لم تنجزه كاملاً [1] .

---

(١) لم تنجز دار الكتب المصرية نشر الكتاب فبقي ناقصاً كالأغاني . =

صبح الأعشى

أبو العباس القلقشندي مصنف مصري آخر من مخضرمي القرنين الثامن والتاسع . كان فقيها وكاتباً لديوان المماليك . وبرع في الإنشاء على مذهب عصره في ايثار المحسنات البديعية والتزام السجع وهو ما عرف به أيضاً القاضي الفاضل في نثره المقيد . وهذا واضح من عنوان كتابه «صبح الأعشى في صناعة الإنشا».

والكتاب ذو طابع موسوعي مسهب شأن نهاية الأرب قبله وإن يكن دون حجمه . وموضوعه يدور في فلك أضيق من كتاب النويري ويقتصر على تناول صناعة النثر الفني وكتابة الإنشاء ، وما يتطلبه الكاتب من معرفة اللغة والنحو والتصريف والبيان والبديع وحفظ القرآن والأمثال والأنساب وأنماط الخطوط. ويعرض فيه للمكاتبات وأصولها والدواوين ومصطلحاتها ،وأحوال

= فقد أصدرت ١٨ جزءاً منه يقف الجزء الثامن عشر منها عند تاريخ الخلفاء الراشدين على حين ما زال باقي الكتاب ـ ويستغرق نحو ١٤ جزءاً ـ مخطوطاً .

المماليك الاسلامية والولايات والعهود والمواثيق ومبايعة الملوك والخلفـاء ، والسنة الشمسية والقمرية ثم نظام البريد والرسائل والحمـام الزاجل . . والإجازات التي يمنحها العلمـاء طلابهم في الفتيا والتدريس . .

وللمؤلف في خلال كتابه عناية بذكر الأوائل في مختلف المجالات ؛ ففي موضوع الحرب وآلاته يذكر أن أول من ركب الخيل إسماعيل وأول من اتخذ الدروع داود وأول من اتخـذ المنجنيق وادرأ بالحصون الاسكندر ، وأول حرب في الاسلام صفين وأول لواء في الاسلام عقده النبي لحمزة . كذلك أول من قصد القصائد مهلهل وكانت قبله مقطعات وأول من أطال الرجز العجّاج وكان قبله شطوراً وأجزاء . وقد تخلل ذلك كله نصوصاً وافية من الشعر والنثر والرسائل والخطب والأخبار ...

أما المنهج الذي اصطنعه صاحب صبح الأعشى فهو شبيه بمنهج نهاية الارب . وقد أوضح القلقشندي ذلك في خطبة كتابه فقال : « وقـد رتبته على مقدمة وعشر مقالات وخاتمـة » . والمقدمة عنده مسهبة تنطوي على عدد من الابواب وكل باب

يضم عدداً من الفصول يتناول فيها بالتفصيل فضل الكتابة وترجيح النثر على الشعر ونشوء ديوان الانشاء في الاسلام وتطوره .

وأما المقالات — وهي تقابل الفنون في نهاية الارب — فعددها عشر ، وكل مقالة تضم عدداً من الابواب الكبيرة ، وكل باب يتفرع بدوره الى عدد من الفصول .

صدر صبح الاعشى في مصر في ١٤ جزءاً (١) .

نفح الطيب

يعد أبو العباس المقّري خاتمة المؤلفين الكبار من السلف . له بضعة عشر مصنفاً ، أهمها « نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب » . ولد في

(١) استغرق صدوره عشر سنين من ١٩١٠ - ١٩٢٠ ثم أعيدت طباعته تصويراً في سنة ١٩٦٣ في سلسلة « تراثنا » عن وزارة الثقافة والارشاد القومي .

ولصبح الأعشى مختصر للمؤلف نفسه اسمه « ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر» . طبع الجزء الاول منه في مصر ١٣٢٤.

تلمسان بالجزائر وانتقل إلى فاس في أقصى المغرب ثم قصد إلى الحج واستقر في مصر وراح يدرّس في الازهر الى أن توفي سنة ١٠٤١ هـ .

والكتاب من المؤلفات المسهبة القليلة التي قصرت مادتها الادبية على الاندلس . وكانت نية المؤلف أن يكتفي في كتابه بالتعريف بلسان الدين بن الخطيب أديب الاندلس ومؤرخها ووزيرها ، لأنه كان معجباً به أشد الإعجاب . ولكنه — كما ذكر في خطبة كتابه — رأى أن يوسع نطاق بحثه ليشمل سائر الحياة الأدبية في الأندلس . ولعل هذا الانتقال من زاوية الى أخرى في البحث مثال بارز أيضاً على ظاهرة الاستطراد التي لازمت مصادر التراث العربي وتجلت بوجه خاص في نفح الطيب. ففي الكتاب عدا ذلك استطرادات جمة وتنقل عابر ضمن الموضوع الواحد ، وتكرار في مواضع متعددة .

وطابع الكتاب أدبي حوى نصوصاً وافية من الشعر والنثر وطائفة كبيرة من شؤون التاريخ والاجتماع . وهو في الوقت نفسه كتاب في التراجم تكلم فيه على كثير من أعلام الاندلس

في مقدمتهم لسان الدين بن الخطيب . وهـذه العناصر كلهـا متداخلة لا تخضع لنسق معين . أما الاسلوب فيغلب عليه التأنق اللفظي والتزام السجع الى حد التكلف أحياناً .

وقد وضع المقري لكتابه الكبير مقدمة مسهبة تحدث فيها باسهاب عن ارتحاله من المغرب قاصداً الى ربوع المشرق . وفي نهايتها يوضح منهجه في كتابه . أما سائر الكتاب فقد جعله في قسمين كبيرين في كل قسم عدد من الابواب :

القسم الاول : في الاندلس ووصفها وجغرافيتها ومناخها وفتح العرب لها ، وذكر بلدانها وأحوال سكانها ومن رحل عنها الى المشرق ومن وفـد اليها من المشرق ، وأخـيراً سقوط الاندلس . وهذا القسم يستغرق أكثر من نصف الكتاب ويفوق القسم الثاني في أهميته .

القسم الثاني : في التعريف بلسان الدين بن الخطيب . وتتضمن أبوابه كل ما يتصل بهذا الوزير الاديب باسهاب من حيث نسبه وبيئته وأسرته ثم حياته الأدبية والسياسية ومشايخه وتلامذته ونثره ونظمه وموشحاته ومؤلفاته .

وقد طبع الكتاب طبعات متعددة في مصر آخرها بتحقيق محي الدين عبد الحميد[1] وصدرت عام ١٩٤٩ .

---

(١) طبع نفح الطيب في مصر بمطبعة بولاق سنة ١٢٧٩ هـ . ثم طبع في المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢ وهي تكرار للأولى وأكثر أخطاء منها.

وفي ليدن طبع القسم الاول من الكتاب وهو القسم الخاص بالاندلس ويشكل أكثر من نصف الكتاب وذلك سنة ١٨٥٥ .

وقد عمدت دار المأمون في مصر الى طبع الكتاب ولكنها لم تنجز منه سوى ٩ أجزاء تشكل أقل من ربع الكتاب . وهذه الطبعة جيدة مشكولة .

أما الطبعة الاخيرة لمحي الدين عبد الحميد فلا بأس بها وتحتاج الى مزيد من الضبط والاتقان والشرح والتعليق .

الفصل الثالث

* * *

كتب التراجم

تمهيد :

ان وراء كل نتاج في العلم والأدب والفن اناساً مبدعين وأعلاماً نابهين كانوا مصدر هذه المعرفة الإنسانية .

وإن التأريخ لهؤلاء الأعلام فن قائم بذاته يعرف باسم « التراجم » . وقد اهتم العرب اهتماماً بالغاً بالتراجم حتى ليمكن اعتبارهم في طليعة الأمم في هذا المضمار . ولعل المكتبة العربية من أحفل ما عرفته الشعوب بهذا النوع من الكتب . وكما أن طريقة جمع الحديث واسناده وتسجيله كانت منطلق العلماء العرب في حركة التدوين الشاملة كانت تراجم الصحابة والتابعين وسائر حفاظ الحديث النموذج الذي احتذاه سائر المصنفين ونسجوا على منواله . فلم يلبث العرب أن ألفوا في التراجم وفي الطبقات ؛ فكان الى جانب تراجم الصحابة والتابعين وطبقات الفقهاء والمحدثين تراجم للادباء والشعراء وتراجم للنحاة واللغويين وتراجم للأطباء والحكماء ولسائر العلماء . .

ولعل أول رائد في هذا المجال أبو بكر بن إسحق الذي وضع سيرة النبي ثم ابن هشام الذي ألف أيضاً في سيرة النبي معتمداً على ابن إسحق . وبعد ذلك ألف ابن سعد كتاباً في طبقات المحدثين وألف ابن سلام كتاباً آخر في طبقات الشعراء ثم تتابعت بعد ذلك هذه الكتب .

ولكتب التراجم أهمية تعدو كونها فى أخبار رجال العلوم والآداب وفي رسم معالم حياتهم ؛ فهي من خلال ذلك تنطوي على كثير من المعارف والحقائق التي ينشدها الباحث في موضوعه .

غير أن الحقائق في هـذه الكتب كثيراً ما تختفي وراء ظاهرة الاسراف في إطراء المترجم لهم والمبالغة في الثناء عليهم والغلو في تقديرهم وقد نجـد بعض المصنفين العرب في هـذا المضمار يتأرجحون بين الثنـاء المسرف والتجريح المجحف ، وما ذلك إلا لأنهم حريصون على نقل الخصال والنعوت كما استقوها ممن قبلهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر دون أن يكلفوا أنفسهم عناء التمحيص والمقارنة والاستنتاج . غير أن جهدهم في ذلك كله يبقى جليلا ينتزع الإعجاب لما ينطوي عليه أولئك العلماء من تتبع ودأب بهمة لا هوادة فيها .

١ - تراجم الشعراء والأدباء

كانت عناية المؤلفين بتراجم الشعراء صدى لاهتمام العرب بفن الشعر . وقد كثر هذا اللون من الكتب وغدا يحمل اسماء عديدة تنم على طابعها من مثل كتاب أخبار الشعراء للمدائني[١] وكتاب من نسب إلى أمه من الشعراء . غير أن كثيراً من هذه الكتب عرف باسم كتب الطبقات برغم أنه قد لا يتبع التصنيف الطبقي ، وفي طليعة هذه الكتب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام الجمحي وكتاب « طبقات الشعراء بالأندلس[٢] » .

طبقات الشعراء

يعرف الكتاب تارة باسم طبقات الشعراء وتارة أخرى

---

(١) توفي المدائني سنة ٢٢٥ فهو أسبق من ابن قتيبة ومعاصريه ، وقد عاش ٩٣ سنة .

(٢) ألفه عثمان بن ربيعة مات حوالي سنة ٣١٠ هـ والكتاب فيما يبدو مخطوط ولعله مفقود .

باسم طبقات فحول الشعراء وتارة ثالثة باسم طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين . ومؤلفه محمد بن سلام الجمحي معاصر للجيل الجليل الذي انبثق منه الأصمعي والمفضل الضبي، فقد اتيح له أن يتتلمذ عليهما ، وان يكون بدوره استاذ جيل آخر في رأسه ثعلب اللغوي والمازني النحوي وأحمد بن حنبل الفقيه .

ويعد طبقات الشعراء أقدم كتاب بين أيدينا في موضوعه فهو كتاب في تراجم الشعراء وفي طبقاتهم معاً . أي ان مؤلفه يحرص على ان يعرف بالشاعر وبشعره وان يصنفه في الوقت نفسه في الدرجة التي يستأهلها مع أقرانه ومعاصريه على غرار ماذأب عليه المصنفون في علم الحديث حين صنفوا رواته طبقات على حسب أقدارهم أو أزمانهم . وما من شك في أن مبدأ الطبقات نفسه يعني ضمنا ان المؤلف يقوّم الشعراء ويجعلهم زمراً متفاوتة تبعاً لمواهبهم . وليس هذا الأمر في الحقيقة إلا جانباً من جوانب النقد الأدبي .

وقد امتاز هذا الكتاب بمنهجه الدقيق المحكم برغم تقدمه في عصره ، كما عرف بوضوح الخطة وحسن التقسيم . فهو في قسمين كبيرين : مشاهير الشعراء الجاهليين ، مشاهير الشعراء

الإسلاميين . أي ان ابن سلام جعل ظهور الاسلام حداً فاصلاً بين عهدين ، أو نهاية مرحلة وبداية مرحلة أخرى . ولم يفرد المؤلف للمخضرمين قسماً في كتابه لأنهم لا يستقلون بمرحلة خاصة ، بل جعل بعضهم في عداد الجاهليين وبعضهم الآخر في عداد الإسلاميين .

ثم صنف ابن سلام مشاهير الشعراء الجاهليين في ١٠ طبقات، وفي كل طبقة أربعة من الشعراء . وعلى هذا الغرار سار المؤلف في قسمه الثاني الخاص بالشعراء الاسلاميين مصنفاً إياهم في الطبقات نفسها مراعاة منه لمبدأ التناظر بين شطري كتابه . وهكذا انطوى طبقات الشعراء على ١٠ طبقات تتضمن ثمانين شاعراً ، اختص كل شاعر في الغالب بترجمة موجزة يعقبها قطوف من شعره وأخباره .

على أن المؤلف ألحق بطبقاته العشر زمراً أخرى من الشعراء لم يخضعهم لمبدأ الطبقات بل رأى أن ثمة ما يجمعهم في الموضوع أو في المكان دون أن يتقيد في ذلك بأن يحدد عددهم بأربعة شعراء . وهؤلاء هم أصحاب المراثي ومنهم الخنساء ،

وشعراء مكة ، وشعراء الطائف والمدينة . . الخ . . فكان مجموع من تناولهم ابن سلام في كتابه ١١٤ شاعراً .

ومع اعترافنا بفضل ابن سلام في كتابه هذا وتقديرنا لذوقه في تقويم شعراء العرب وتصنيفهم فان لنا ملاحظات في هذا الأمر ؛ منها أن المؤلف يصنف الشعراء وفقاً لمقاييسه الذوقية التي ارتضاها دون أن يبين لنا بصورة معللة أسباب التفاضل والتفاوت بين هؤلاء الشعراء ، فلا ندري مثلاً السبب في كون طرفة وعبيد ابن الأبرص في الطبقة الجاهلية الرابعة ، وكون عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنترة في الطبقة السادسة . كذلك نجد كثيراً في الطبقة الإسلامية الثانية على حين نجد جميلاً في السادسة . وان في جعل امرئ القيس والنابغة وزهير والأعشى في الطبقة الأولى من فحول الجاهلية أمراً مقبولاً . ويقابل هذه الطبقة عنده من الإسلاميين جرير والفرزدق والأخطل وعبيد الراعي . والثلاثة الأوائل في منزلة رفيعة أجمع عليها النقاد على حين حشر الراعي مع أولئك الثلاثة وهو دونهم لا يرقى الى منزلتهم . وأغلب الظن أن ابن سلام اضطر الى حشره بينهم استكمالاً للعدد ٤ أربعة في كل طبقة .

ومن هنا يبدو مدى افتعال هـذا التقسيم الصارم الذي قيد به ابن سلام نفسه منطلقاً فيما يبدو من كون فحول الجاهليين المتقدمين أربعة شعراء ، فسحب سائر شعرائه على هـذا النسق ، وإلا فما معنى كون الطبقة دائماً أربعة من الشعراء لا يزيدون ولا ينقصون ..

وينطوي طبقات الشعراء على مقدمة جليلة في قواعد النقد الأدبي لعلها أقدم ما كتبه باحث عربي في هذا المجال . انها خطوة علمية رائدة نحو تقعيد النقد وتركيزه ومحاولة الخروج به من فلك النزعة التأثرية . وهي تنم على حس نقدي مرهف وأصالة في الذوق تزيد الكتاب قيمة وشأناً .

وقد نشر الكتاب في طبعة علمية محققة سنة ١٩٥٢ [1] .

---

(١) طبع أول مرة في ليدن سنة ١٩١٣ - ١٩١٦ ونشره يوسف هل وقدم له بالالمانية . ثم طبع في مصر بالاعتماد على طبعة ليدن بطبعة السعادة بعناية حامد عجان الحديد الحلبي سنة ١٩٢٠ وهي طبعة حسنة . وطبع بعد ذلك طبعات أخرى لا تبلغ منزلة الطبعتين السابقتين . أما الطبعة الاخيرة فهي الطبعة المحققة بعناية محمود محمد شاكر وقد صدرت في سلسلة ذخائر العرب سنة ١٩٥٢ وهي تنطوي على تعليقات وافية وفهارس قيمة .

الشعر والشعراء

هـذا الكتاب يشبه في مادته كتاب « طبقات الشعراء » لابن سلام الجمحي . أما مؤلفه ابن قتيبة فهو من أئمـة القرن الثالث الهجري ويعد في طبقة الجاحظ ، وقل أن نجد له نظيراً في تعدد جوانبه ، وتشهد بذلك مؤلفاته الكثيرة المتنوعة .

وكتاب « الشعر والشعراء » من أقدم الكتب في تراجم الشعراء . وهو مثل كتاب ابن سلام في أنه لم يحرص على استيفاء الشعراء وتقصيهم وحصرهم بل اقتصر على مشاهيرهم ، كما يشبه كتاب ابن سلام في أنه يمتـاز بمقدمة نقدية قيمة تعد من بواكير النقد الأدبي المعلل . ويختلف ابن قتيبة عن ابن سلام في ان كتابه هذا ليس في الطبقات وإنما في التراجم . كما أنه يترجم لبعض المحدثين مثل أبي العتاهية ومسلم بن الوليد ودعبل الخزاعي والعباس بن الأحنف مراعياً في الغالب مبدأ الترتيب الزمني في تناوله الشعراء ومعظمهم كان من القدماء .

والكتاب كثير الشعراء غزير النصوص يفوق في ذلك كتاب طبقات الشعراء . ويمكن أن يعد كتاباً في المختارات الشعرية فضلاً عن كونه كتاباً في التراجم ، وكثيراً ما يورد ابن قتيبة في كتابه نبذة من حياة الشاعر ونسبه وأخباره ثم يُتبع ذلك جانباً من أدبه فيأتي ببعض ما يستجاد من قوله ، وقد يأتي أيضاً ببعض ما يعاب عليه في شعره . . ويتخلل ذلك كله من حين إلى حين أحكام نقدية تساعد على فهم مذهب الشاعر ومنزلتـه .

أما منهج الكتاب فيبادر ابن قتيبة الى عرضه في مستهل مقدمته النقدية فيقول : « هذا كتاب ألفته في الشعر ، أخبرت فيه عن الشعراء ، وأزمانهم ، وأقدارهم ، وأحوالهم في أشعارهم ، وقبائلهم ، وأسماء آبائهم ، ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم ، وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره ، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم أو معانيهم . وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون . . » ثم يقول ابن قتيبة :

« وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين

يعرفهم جل أهل الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب ، وفي النحو ، وفي كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله . . . »

وأول شاعر ترجم له ابن قتيبة امرؤ القيس وقد أطال فيه القول ، ويليه زهير بن أبي سلمى فابنه كعب فالنابغة فالمسيّب ابن علس فالمتلمس فطرفة[1] . .

---

(١) طبع « الشعر والشعراء » أول مرة في ليـــدن سنة ١٨٧٥ م ، ثم طبع فيها ثانية سنة ١٩٠٢ م ، وهـــذه الطبعة قليلة نادرة والأولى أقل منها وأشد ندرة ، وكلتاهما بعناية دي غويا ، الذي وضع لها مقدمة جيدة باللاتينية .

ثم طبع في مصر سنة ١٩٠٤ مع بعض تعليقات من قبل بدر الدين النعساني الحلبي ، وبعد ذلك تعددت طبعاته وأكثرها يفتقر الى التحقيق العلمي .

وأخيراً صدر الشعر والشعراء في جزءين كبيرين سنة ١٩٦٦، ١٩٦٧ بتحقيق العلامة أحمد محمد شاكر ، وهي طبعة تمتاز بوفرة تعليقاتها على المتن وحسن تنسيقها وسلامة ضبطها للنصوص . وقد صدّر المحقق الكتاب بمقدمة بقلمه ، وأتبعها ترجمة لمقدمة المستشرق دو غويا ، ثم تعريفاً بابن قتيبة مؤلف الكتاب . والكتاب مذيل بمجموعة قيمة من الفهارس المتنوعة .

المؤتلف والمختلف

هـذا الكتاب جعله مؤلفه الآمدي « في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم » . والآمدي من أبرز أعلام اللغة والنقد في القرن الرابع الهجري ، وقد اشتهر في كتابه « الموازنة بين الطائيين » .

وغرض الآمدي في كتابه أن يورد تراجم فئات من الشعراء الذين تماثلت أسماؤهم أو تشابهت ، أي الذين أتلفت أسماؤهم واختلفت أشخاصهم . وهذا التمييز الدقيق يجلو كثيراً من اللبس الذي قد يعرض للباحث فيزيله ، من مثل من سمى بالأعشى من الشعراء أو من عرف بالنابغة . .

وواضح أن هـذا الكتاب وان يكن في تراجم الشعراء فانه يختلف عن كتاب ابن سلام وعن كتاب ابن قتيبة وذلك في وجوه عديدة :

آ ـ انه ليس في مشاهير الشعراء ولكنه في الشعراء عامة أو

في الذين اتفقت أسماؤهم بوجه خاص ، وقد حرص الآمدي تبعاً لذلك على أن يتقصى أولئك الشعراء ويحصرهم ، وبذلك أدخل المغمورين وجعلهم مع المشهورين على صعيد الأسماء المتماثلة . ولعل هـذا ما يميز الكتاب لأنه احتوى كثيراً من الشعراء المغمورين ممن لم يعرض لهم ابن سلام وابن قتيبة وسواهما .. وكأن « المؤتلف والمختلف » متمم لطبقات الشعراء وللشعر والشعراء .

ب ـ ان الآمدي اتخذ لتراجمه الترتيب المعجمي ، ولكنه لم يكن دقيقاً دائماً في التزام هذا الترتيب ؛ فهو يورد أولاً امرأ القيس وبعده الأعشى وبعدهما الأخطل .

حـ ـ يغلب الإيجاز على مادة الكتاب ؛ فالمؤلف يسرد باقتضاب شديد الأسماء المتشابهة أو المتفقة ويورد في أعقاب كل منها مقطعات شعريه قليلة . ومن هنا اجتمع في الكتاب عدد كبير من تراجم الشعراء الموجزة وقدره ٦٤٥ شاعراً ، وبذلك كانت الفائدة منه محدودة ، ولعلها تنحصر في الكشف عن الشعراء المغمورين ممن أغفلتهم الكتب الأخرى .

وقد أوضح الآمدي منهجه ومقصده في خطبة كتابه فقال :

« هذا كتاب ذكرت فيه المؤتلف والمختلف والمتقارب في اللفظ والمعنى ، والمتشابه الحروف في الكتابة من أسماء الشعراء . . وجعلته على حروف المعجم ليقرب على متناوله ويسهل على الملتمس طلبه . . وجعلت الاسمين إذا كانا على صورة واحدة وحروفها مختلفة في باب واحد ليعرفا ويفرق بينهما بالنقط والشكل . . وجعلت الباب للأشهر منهما .. »

ومعنى ذلك أنه يجعل الاسم بُريد مع الاسم يزيد ولكنه يصنفهما تحت عنوان باب الياء أي يزيد لأنه أشهر . وهو يبدأ تراجمه بباب الألف فيذكر امرأ القيس ويعدد عشرة من الشعراء عرفوا بهذا الاسم ثم ينتقل الى الأعشى فيذكر سبعة عشر شاعراً وينتقل بعد ذلك الى من عرف باسم بشر حتى ينتهي إلى يزيد . وقد طبع الكتاب في مصر (١) .

---

(١) طبع المؤتلف والمختلف سنة ١٣٥٤ هـ في مجلد واحد مع كتاب « معجم الشعراء » للمرزباني ، وكلاهما كان باشراف المستشرق كرنكو . وهو يحتاج إلى أن يطبع مستقلاً وبمزيد من التحقيق والتعليق .

معجم الشعراء

يشبه هـذا الكتاب في منهجه كتاب المؤتلف والمختلف للآمدي ؛ فكلاهما مرتب ترتيباً معجمياً . غـير أن مجاله أوسع وأعم ، فالمرزباني لم يكتف بالمشهورين من الشعراء كما هو شأن كتابي ابن سلام وابن قتيبة ، كما لم يقتصر على الذين يتشابهون في أسمائهم دون سائر الشعراء ، بل جعل كتابه شاملاً المشهورين والمغمورين دون تمييز في ذلك .

وواضح أن المرزباني حاول في كتابه استقصاء الشعراء العرب وحصرهم على غرار ما كان يفعله اللغويون واصحاب المعاجم في السعي الى جمع اللغة واستيعاب الفاظها . وكان طبيعياً أن يضخم مثل هذا الكتاب في تصديه لهذه الغاية ، ولذلك عمد المرزباني الى اقتضاب تراجمه توخيا للاستيفاء والحصر .

والمرزباني شأنه في ترتيب تراجمه كشأن معاصره الآمدي من حيث عدم مراعاته الدقة في ذلك ، فهو مثلاً يذكر اسم عمرو ثم عدي ثم عثمان ثم العباس ثم عصام . . مكتفياً بكون

هذه الأسماء تبدأ بحرف العين دون النظر الى ترتيبها فيما بينها تبعاً لثواني الحروف فيها بعد أوائلها . . ويبدو أن التزام هـذه الدقة خطوة لم يحرص عليها المؤلفون إلا بعد القرن الرابع قرن الآمدي والمرزباني .

وكتاب « الموشح » كشأن « المؤتلف والمختلف » ينطوي على عيب ينبغي أن تخلو منه كتب التراجم . فكلا الكتابين لا يعنى بذكر تاريخ المولد والوفاة والسنين ، ولذلك كانت الفائدة منهما محدودة .

على أن ما يؤسف له ان الكتاب نفسه لم يصل إلينا كاملا، ويبدو أن أجزاء منه قد ضاعت . وهو يحتوي في الأصل ترجمة نحو خمسة آلاف شاعر كما يذكر ابن النديم . أما القسم المتبقي بين أيدينا من الكتاب فيبدأ بحرف العين ، وأوله باب فيمن اسمه عمرو ، وهو يذكر عشرات من الشعراء يحملون هـذا الاسم ، ثم يورد تراجم من سموا باسم عمير ثم عدي .. وهكذا حتى ينتهي بالياء . وكثيراً ما يتبع كل ترجمة مقطعات شعرية قليلة لصاحبها . طبع الكتاب مستقلاً في مصر سنة ١٩٦٠ [١] .

---

(١) وهذه الطبعة محققة بعناية عبد الستار فراج .

يتيمة الدهر

أبو منصور الثعالبي من الأدباء البارزين بين القرنين الرابع والخامس ، كان متمكنا في اللغة وفقهها كما كان في الوقت نفسه أديباً ذواقة وناثراً بليغ البيان .

أما كتابه « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » فيتمتع بمنزله خاصة بين كتب الأدب والتراجم . وما ذلك إلا لتميزه عن سائر الكتب في موضوعه في عدد من الخصائص التي انفرد بها .

وأول ما يمتاز به الثعالبي في يتيمة الدهر أنه ابتدع منهجاً جديداً لم يسبقه اليه أحد من قبل . فقد رأى أن يتناول الشعراء على حسب أقاليمهم ومناطق بلادهم . وهذا التناول في الحقيقة أقرب الى روح الأدب نفسه من تصنيف الشعراء تبعاً لترتيب أسمائهم أو غير ذلك ، لأن صاحب اليتيمة استطاع في كتابه أن يربط بين الأديب وبيئته ، وهذا ما يجنح اليه كثير من المؤلفين والنقاد فى عصرنا هذا .

قسم الثعالبي كتابه أربعة أقسام :

القسم الأول : في شعراء الشام ومصر والمغرب والأندلس .

القسم الثاني : في شعراء العراق .

القسم الثالث : في شعراء فارس وجرجان وطبرستان وأصفهان.

القسم الرابع : في شعراء خراسان وما وراء النهر كبخارى ونيسابور .

والمؤلف يعنى عناية واضحة بشعراء الشام ويفضلهم على سائر الأمصار من نحو شعراء العراق الذين كانوا متاخمين لبلاد الفرس ، فتأثرت لغتهم بالأعاجم . كما أنه يتناول باسهاب شعراء الدولة الحمدانية في حلب ، فيفيض القول في أبي فراس والمتنبي ويورد أشعاراً لسيف الدولة وأبي العشائر وسواهم ...

والميزة الأخرى التي اتسم بها كتاب يتيمة الدهر أنه الى جانب كتاب « طبقات الشعراء المحدثين » لابن المعتز من أوائل الكتب التي قصرت مادتها على الشعراء المحدثين دون القدماء . وقد بقي الثعالبي في نطاق الشعراء الذين عاشوا خلال القرنين الرابع وأوائل الخامس ممن عاصرهم المؤلف أو كانوا قريبي العهد منه ، وكان قصده من ذلك تبيان محاسن أهل العصر كما ينم على ذلك عنوان كتابه .

ولهذه العناية بالشعر المحدث دلالتها من حيث الخروج على الطوق الذي أطال المؤلفون المكث في داخله وهو اقتصارهم على الشعر القديم وحده ، كما يدل ذلك على اهتمام متزايد بنتاج الجيل الجديد من الشعراء . وفي رأينا أن الخطوة الأولى في هذا السبيل كانت في مبادرة ابن قتيبة الى الإعلان أن الجودة المقياس الأول في اختيار الشعر وتفضيل الشاعر لأن الله في رأيه لم يقصر العلم على قوم دون قوم وعصر دون عصر ، وان القدم والحداثة نسبيان .

والمؤلف يشعر في مقدمة كتابه بشيء من الزهو والغبطة لما لاقاه كتابه من استحسان معاصريه ، وان هذا حفزه على الزيادة فيه واستكمال بعض جوانبه والإسهاب في مادته بصورة عامة حتى ارتضاه على هذه الصورة . فهو يبين للقارىء في خطبة كتابه ان المؤلفين الذين سبقوه اهتموا في مصنفاتهم بالشعراء المتقدمين والمتأخرين وذكر طبقاتهم وأشعارهم على حين بقيت محاسن أهل العصر التي معها رواء الحداثة ولذة الجدة وحلاوة قرب العهد غير محصورة في كتاب يضمها .

على أن الكتاب يختلف عن سائر كتب التراجم في أمور :

آ ـ انه حدد موضوعه بفئة محدودة من شعراء عصره وبخاصة شعراء القرن الرابع كالمتنبي وأبي فراس والشريف الرضي والخالديين والصنوبري والسري الرفاء ثم عدد من شعراء الاندلس في العصر نفسه ومنهم ابن عبد ربه وابن دراج وابن شُهيد .

ب ـ انه تناول الكتّاب والناثرين بالإضافة إلى الشعراء ، من مثل الصاحب بن عباد وبديع الزمان والخوارزمي وابن العميد .. على ان المادة الشعرية كانت هي الغالبة على الكتاب فهو اذن في تراجم الأدباء . وكان يُتبع كل شاعر بعضاً من شعره وان كان مقلاً ، كما فعل في سيف الدولة . وربما نظر في ذلك الى مكانة القائل وشهرته في عالم السياسة أو غير ذلك مما لا يتصل بقوة بالأدب ، ولهذا قد يأتي جانب من نصوصه متفاوتاً في مستواه .

حـ ـ انه كتاب أدبي في المختارات الشعريه وتصوير الحياة الأدبية في القرن الرابع الهجري قبل أن يكون كتاب تراجم بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، لأن المادة الادبية كانت تهم الثعالبي قبل الأديب . وهو شبيه من هذه الزاوية

بكتاب الأغاني الذي هو كتاب في الأدب والأخبار والتراجم معاً ، وتعنى اليتيمة بالمختارات الشعرية عناية بالغة تجعلها غنية بالنصوص ، حتى إن الثعالبي كثيراً ما يقتضب الترجمة في سبيل هذه الغاية .

وهكذا تنطوي اليتيمة على مادة أدبية وافية في امبراطورية عربية واسعة الأرجاء تعد على ما فيها من اضطراب سياسي حافلة بالآداب والعلوم والفنون .

وقد استفاضت شهرة يتيمة الدهر منذ حياة المؤلف كما بدا لنا ذلك من خلال خطبة كتابه ثم بعد وفاته . فحاول الكثيرون أن يحذوا حذوه وينسجوا على منواله . ومن هذه الكتب التي تعد متممه له ودائرة في فلكه :

دمية القصر وعصرة أهـل العصر ، للباخرزي من القرن الخامس .

زينة الدهر في لطائف شعراء العصر ، للحظيري من القرن السادس .

خريدة القصر وجريدة العصر ، للعماد الاصفهاني من القرن السادس .

كما امتد تأثير يتيمة الدهر الى الاندلس فكان كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » لابن بسام ، ولعله أبرز كتاب بين هذه المجموعة .

وقد طبع يتيمة الدهر عدداً من المرات في مصر آخرها بتحقيق محي الدين عبد الحميد سنة ١٩٥٦ [١] .

الذخيرة

ألف هذا الكتاب علي بن بسام الأندلسي من رجال القرن السادس الهجري وأسماه « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ويقصد بالجزيرة الأندلس [٢] . والذخيرة من أهم المصادر التى تتناول تراجم شعراء الأندلس ونتاجهم الأدبي .

---

(١) هي طبعة مناسبة تقع في أربعة أجزاء . ولكنها تفتقر الى مزيد من الجهد في ضبط النصوص وشرحها والتعليق عليها ، وفي فهرسة الكتاب فهرسة علمية جيدة تتناسب مع قيمته .

(٢) يطلق العرب اسم الجزيرة على كل أرض تحيط بها المياه من معظم جهاتها أو جميعها .

ويبدو أن ما دفع ابن عبد ربه الى تأليف كتابه العقد الفريد في القرن الرابع هو أيضاً ما دفع ابن بسام إلى تأليف الذخيرة . فقد كانت معارضة المشارقة والتشبه بهم شغل كثير من أهل الأندلس . وكما نسج ابن عبد ربه كتابه على منوال عيون الأخبار حذا ابن بسام في الذخيرة حذو يتيمة الدهر . وقد جهر ابن بسام بهذا العزم في خطبة كتابه ولم يجد في هذا غضاضة لأن الأصالة لا يضيرها مثل هذا التأثر ، وفي ذلك يقول : « .. وإنما ذكرت هؤلاء ائتساء بأبي منصور في تأليفه المشهور المترجم بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » .

ويبدو أن ابن بسام كان يرمي في كتابه أيضاً الى أن يوضح مدى اقتداره على التأليف بما لا يقل عن أمثاله في المشرق وأن يعرض في الوقت نفسه تفوق قومه الأندلسيين في فنون القول .

وابن بسام يتبنى منهج الثعالبي فيجعل كتابه أيضاً في أربعة أقسام متبعاً في ذلك مبدأ الأقاليم :

القسم الأول : في قرطبة وما حولها في وسط الأندلس .

القسم الثاني : في اشبيلية وما يصاقبها من غرب الأندلس .

القسم الثالث : في بلنسية وما يليها من شرق الأندلس .

القسم الرابع : في الملمين بالأندلس والطارئين عليها من أفريقيا والمشرق .

والذخيرة تشبه اليتيمة من وجوه أخرى ؛ منها غلبة السجع والتأنق اللفظي على عبارة المؤلف في التعريف بالشعراء والترجمة لهم وذكر أخبارهم ونقدهم . ومن هذه الوجوه أيضاً عنايته بالملوك والأمراء والرؤساء ومأثور كلامهم ، وما يكون من تأثيرهم في الأدب . غير أن ابن بسام كما يرى طه حسين أبعد نظراً من الثعالبي وأنفذ بصيرة وأعمق تفكيراً وأدق منه ملاحظة لما يكون من الصلة القوية بين طبيعة البيئة وبين النتاج الأدبي .

وقد قصر ابن بسام ذخيرته على أدباء عصره على غرار ما فعل الثعالبي في يتيمته . والكتاب يتسم بغزارة النصوص ويشتمل على كثير من منظوم القول ومنثوره ، فهو من هذه الزاوية ينطوي على مختارات أدبية وافرة ، كما أنه ينطوي في الوقت نفسه على تراجم كثيرة لأدباء القرن الخامس الهجري من الأندلسيين ويبلغ عددهم ١٥٤ ترجمة أكثرها يتناول باسهاب أعيان الأدب والسياسة ممن عاصرهم ابن بسام أو تقدموه قليلاً .

ويفصح ابن بسام عن منهجه في خطبة كتابه فيقول بأسلوب أهل عصرة المتأنق : « .. ولا تعديت أهل عصري ممن شاهدته بعمري أو لحقه بعض أهل دهري ، اذ كل مردد ثقيل وكل متكرر مملول . وقد مجّت الأسماع (يادار مية بالعلياء فالسند) وملّت الطباع (لخولة أطلال ببرقة ثهمد) ومحّت (قفا نبك) في يد المتعلمين .. وليس الفضل على زمن بمقصور .. »

ثم يقول ابن بسام في زهو : « وضمنت كتابي هذا من أخبار أهل الأفق ما لعلي سأربي به على أهل المشرق » .

وكتاب الذخيرة كبير الحجم ويقارب في ذلك العقد الفريد ، ولكن مما يؤسف له أنه لم يطبع منه في مصر سوى بعض أجزائه برغم تضافر جهود كثير من العلماء العرب والمستشرقين في سبيل نشره [1] .

---

(١) نشر من الكتاب ٣ مجلدات ، ويقدر الأصل بـ ٨ مجلدات ، وذلك في سنة ١٩٣٩ بجهود كلية آداب القاهرة بتحقيق علمي جيد اسهم فيه ليفي بروفنسال ثم طه حسين وعدد من الباحثين .

معجم الادباء

اشتهر ياقوت الحموي الرومي بكتابيه العظيمين : معجم الأدباء ومعجم البلدان . وثمة كتب كثيره صنفها في الأدب والتاريخ والتراجم وهو من مخضرمي القرنين السادس والسابع . أما كتابه الذي يعنينا فهو معجم الأدباء ، ويعرف أيضاً باسم « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » و « إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء » .

والكتاب مجهود كبير في تراجم الأدباء خاصة ، ولكن مؤلفه توسع على عادة العرب في مفهوم الأدب والأدباء فترجم أيضاً لكثير من الشعراء واللغويين والنحويين والمؤرخين والقراء . . وبخاصة من عرفوا من هؤلاء بالتأليف والتصنيف . ففي تراجم الشعراء مثلاً يقتصر على ذوي المصنفات كأبي العلاء والبحتري جاعلاً إياهم في عداد الأدباء ، لأن ياقوت قد عالج هذا الموضوع في كتاب مستقل لم يصل إلينا وهو « معجم الشعراء » .

ويمتاز « معجم الأدباء » بحسن تبويبه ويسر الاستفادة منه ، فهو كما ينم عليه عنوانه مرتب على حروف المعجم وفقاً للنسق الألفبائي . ويعد من أوثق المصادر في موضوعه وأكثرها اسهاباً وأوسعها انتشاراً . وتتضح دقة ياقوت ونزعته إلى التنظيم في مقدمة كتابه . فهو يعرب عن شغفه منذ صغره بالأدب والعلم واهتمامه بأخبار الأدباء والعلماء وأحوالهم وأنه لم يجد في هذا الموضوع ما يشفي الغليل من كتب التراجم . ثم يستعرض كتب المصنفين قبله وينقد أكثرها ويشيد ببعضها . وفي ذلك يقول موضحاً مضمون كتابه وخطته فيه :

« جمعت في هذا الكتاب ما وقع إليّ من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتّاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة .. وكل من صنّف في الأدب تصنيفاً » .

وقد توافرت في « معجم الأدباء » مزايا لم نقف عليها في الكتب السالفة مثل معجم الشعراء ، والمؤتلف والمختلف . وفي ذلك يقول ياقوت :

« ولم آل جهداً في إثبات الوفيات وتبيين المواليد والأوقات، وذكر تصانيفهم » .

كما توخى ياقوت التركيز في مادته بعد أن غدت متسعة بين يديه وامتدت حتى نهاية القرن السادس . فكان مما عمد اليه في سبيل هذه الغاية حذف الاسانيد مع المحافظة على الامانة العلمية:

« .. وحذفت الاسانيد إلا ما قل رجاله وقرب مناله .. إلا انني قصدت صغر الحجم وكبر النفع ، وأثبت مواضع نقلي ومواطن أخذي من كتب العلماء المعول عليهم في هذا الشأن».

وإمعاناً من ياقوت في التزام الدقة والإتقان فقد أحكم ترتيب كتابه فقال : « وجعلت ترتيبه على حروف المعجم .. وألتزم ذلك في أول حرف من الاسم وثانيه وثالثه ورابعه .. فأبدأ بذكر من اسمه آدم ثم من اسمه ابراهيم .. وألتزم في ذلك الآباء أيضاً » .

نشر « معجم الادباء » نشراً علمياً محققاً في مصر بعد أن توافر على العمل فيه نخبة من العلماء والمستشرقين ، وهو في ٢٠ جزءاً [١] .

(١) المستشرق د . ص مرجوليوت الانكليزي أول من تصدى لنشر=

٢ - تراجم اللغويين والنحويين

كان لنحو العرب ولغتهم حيز كبير في معارفهم خلال عصور مديدة . وقد كانت أولى بوادر هـذا الاهتمام في صدر الاسلام على يد أبي الأسود الدؤلي ، حين كبر عليه فشو اللحن بين بعض العرب . ونحن نقع في كتب الأدب القديمـة على أخبار تتصل باللاحنين في عهد مبكر منذ أيام عمر بن الخطاب بل منذ عهد الرسول عليه السلام من قبل بعض الموالي والمتعربين وأحياناً من العرب أنفسهم . ثم اقبل العلماء في العصر العباسي

= معجم الأدباء . وقد أخرجه في ٧ أجزاء خلال ١٩٠٧–١٩٢٥ . ثم اعيدت طباعته سنة ١٩٣٢ .

أما طبعة دار المأمون المصرية فتمتاز باضافات وزيادات لم تكن في الطبعة السابقة ، وبحواش وتعليقات قيمـة ، وبفهارس وافيـة للأعلام والبلدان والكتب ، بالاضافة الى اتقـان الحرف وضبطه . وكان من العلماء العرب الذين تعاونوا في تحقيقه بالاضافـــة الى مرجليوت ورفاقـه الشيخ ابراهيم اليـازجي ، قسطاكي الحمصي ، جرجي زيدان ، عبد العزيز جاويش ، محمد حسنين الغمراوي ، انستاس الكرملي ، أحمد زكي باشا ..

على التأليف في النحو العربي إقبالاً منقطع النظير ، حتى ليخال المرء ان علماء العربية صبوا جهدهم ونبوغهم في هذا العلم . وكان ظهور مدرستي الكوفـة والبصرة وانشطار العلمـاء بينهما مظهراً بارزاً لهذه الظاهرة [1] .

---

(١) كان على المذهب البصري من العلماء : عيسى بن عمر ، أبو عمرو ابن العلاء ، يونس بن حبيب ، الخليل بن أحمد ، سيبويه ، النضر ابن شميل ، قطرب ، أبو عبيدة ، أبو زيد الانصاري ، الاصمعي الأخفش الاكبر ، الاوسط ، الأصغر ، ابن سلام الجمحي ، أبو حاتم السجستاني ، أبو عمر الجرمي ، أبو عثمان المازني ، أبواسحق الزيادي ، أبو الفضل الرياشي ، أبو سعيد السكري ، أبو العباس المبرد ، الزجاج ، الزجاجي ، الآمدي ، ابن دريد ، ، ابن درستويه أبو علي الفارسي ، أبو علي القالي .

وكان على المذهب الكوفي : أبو جعفر الرؤاسي ، الكسائي، الفراء ، الهروي ، أبو عمرو الشيباني ، ابن الأعرابي ، أبو عكرمة الضبي ، ابن السكيت ، ثعلب ، المفضل بن سلمـة بن عاصم ، أبو بكر بن الانباري ، أبو بكر السجستاني ، أبو عمر الزهد ، نفطويه . .

وكانت جماعة ثالثة من النحويين واللغويين على المذهب البغدادي حصيلة المدرستين ومنها : ابن قتيبة الدينوري ، ابن خالويه ، أبو الطيب اللغوي ابن جني ، أبو هلال العسكري ...

ولم يكن الاهتمام بدراسة النحو منفصلاً عن الاهتمام بدراسة اللغة والتصريف لأن هذه المعارف لم تتمايز بصورة واضحة في اذهان العلماء الأوائل أنفسهم ، كما أن أولئك العلماء كانوا في الغالب يصدرون عن ميل الى اللغة والنحو في آن ، فكانوا بالإجمال نحويين ولغويين معاً . وتبعاً لذلك رأينا أكثر الكتب التي اختصت بالترجمة لهؤلاء العلماء تشتمل في مضمونها على النحويين واللغويين .

وثمة كتب عديدة ألفت في وقت مبكر نسبياً حول هذا الموضوع ، ولكن أكثرها لم يصل إلينا أو بقي بعضها مخطوطا. ولعل من أوائل ما يذكره المؤلفون من كتب التراجم هذه كتاب « طبقات النحويين البصريين » لأبي العباس المبرد وكتاب آخر في الموضوع نفسه لأبي العباس ثعلب . وكان ممن ألفوا في هذا الجانب أيضاً بعد ذلك كثيرون فكان لابن درستويه كتاب « أخبار النحويين » ولأبي سعيد السيرافي كتاب « طبقات النحويين البصريين » أو « أخبار النحويين البصريين » (١) وكتب أخرى نقتصر على أهمها .

---

(١) نشره المستشرق كرنكو سنة ١٩٣٥ . ثم نشر ثانية في مصر سنة ١٩٥٥ بعناية طه الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي .

مراتب النحويين

ألف هذا الكتاب أبو الطيب اللغوي من رجال القرن الرابع . وقد جذبه بلاط سيف الدولة وكانت بينه وبين ابن خالويه منافسة وخصومة . وكانت له كتب كثيرة ، ضاع بعضها وبقي بعضها الآخر [1] .

ويعد كتاب « مراتب النحويين » لأبي الطيب اللغوي وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي من الكتب الأساسية الرائدة في تراجم علماء اللغة والنحو برغم اعتدال حجمهما . غير أنهما يختلفان منهجاً وان اتفقا موضوعاً .

---

(١) مما بقي من آثاره بعد أن استباح الدمستق حلب وقتل أبا الطيب فيمن قتل : شجر الدر ، كتاب الفرق وقد أخذ عنه السيوطي ، كتاب الابدال ، الأضداد وقد ذكره الزبيدي في مقدمة معجمه « تاج العروس » المثنى ، كتاب الاتباع وقد نشر في دمشق بتحقيق عز الدين التنوخي في سلسلة مطبوعات المجمع العلمي العربي سنة ١٩٦١ ، مراتب النحويين . وهو الذي يعنينا هنا وقد صدر في القاهرة سنة ١٩٥٥ بتحقيق أبي الفضل ابراهيم مذيلاً بفهارس حسنة . والكتاب صغير الحجم لا يتجاوز ١٠٠ صفحة .

ويقوم منهج أبي الطيب كما ينم عليه عنوان كتابه على ذكر مراتب النحاة ومنازلهم من العلم ، ويحرص في الوقت نفسه على عقد الصله بين الشيوخ وبين التلاميذ . فهو يقول مثلاً في صدد ترجمة أبي زيد الأنصاري : « وقد أخذ عنه اللغة أكابر الناس منهم سيبويه وحسبك . . » ثم يضيف إلى ذلك قوله : ان سيبويه عندما كان يقول « وحدثني من أثق بعربيته » فانما يعني أبا زيد .

غير أن هذه الطريقة التي آثرها أبو الطيب لم تكن كبيرة الجدوى برغم فضلها في محاولة الربط بين جماعات العلماء وإبراز صلات الأخذ والقراءة فيما بينهم . فهو يعمد إلى ذكر العالم ثم تلميذه فتلميذ تلميذه من بعده ، ثم يعود مجدداً إلى عالم آخر ليمسك برأس سلسلة جديدة ، ويمضي في تتبع حلقاتها وهكذا .. وقد نجم عن هذا المنحى الخاص اضطراب المنهج في الكتاب وافتقاره الى نوع من النظام ودقة التبويب . فليس الكتاب على حسب الترتيب الزمني ولا الترتيب المعجمي ولا على المدارس ولا الأقاليم .

وقدم أبو الطيب لمراتب النحويين بخطبة تتصل بموضوع

كتابه تكلم فيها على أدعياء العلم والمتطفلين على العلماء ممن يتصدون لذلك دون ان يفقهوا شيئاً ، حتى إنهم يخلطون بين الرجال ، وهو ينعتهم بأنهم وبال على العلم ووباء على العلماء . ثم يتكلم على أول ظهور اللحن .

أما التراجم فيستهلها في كتابه بأبي الأسود الدؤلي أول النحويين ثم يُتبعه أبا عمرو بن العلاء فعيسى بن عمر . . . وقد استقى منها عدد من المؤلفين الذين أتوا بعد ذلك وصنفوا في هذا الموضوع كالسيوطي وغيره .

وصدر الكتاب محققاً ومذيلا بالفهارس في القاهرة سنة ١٩٥٥ .

طبقات النحويين واللغويين

أبو بكر الزبيدي أندلسي اشبيلي من رجال القرن الرابع الهجري ، كان عالماً كبيراً في اللغة والأدب وشاعراً ذاع شأنه في اشبيلية . وقد سمع على أبي علي القالي ولازمه . وكما ألف القالي كتابه « الأمالي » للخليفة الأموي الحكم بن الناصر ألف الزبيدي كتابه « طبقات النحويين واللغويين » للحكم أيضاً .

وألف كتباً عديدة منها « مختصر كتاب العين » وهو خلاصة « العين » الذي ألفه الخليل الفراهيدي [١] .

وكتاب الزبيدي مصدر أصيل لتراجم النحاة واللغويين والمتأدبين من عهد أبي الأسود الدؤلي في القرن الأول الهجري حتى منتصف القرن الرابع . ويستهل المؤلف كتابه بمقدمة يتحدث خلالها بايجاز عن اللغة العربية وكيف ان أهلها كانوا ينطقون بها على سجيتهم ، ثم فشا فيها اللحن والفساد بدخول الأمم في دين الإسلام أفواجاً . ثم يجعل أبا الأسود الدؤلي في طليعة من وضعوا أصول النحو وأسسه فكان له فضل السبق وشرف التقدم .

امتاز كتاب طبقات النحويين واللغويين من سائر المصنفات في هذا الموضوع بحسن منهجه . ويتجلى ذلك في الخصائص التالية :

١ ـ فرز الزبيدي النحاة واللغويين تبعاً لمراكز ازدهار علومهم وعلى حسب مواطنهم أو أقاليمهم ، وذلك على نحو يذكرنا

---

(١) من كتبه أيضاً : لحن العوام ، الواضح في النحو ، ابنية الاسماء. وهي ما تزال مخطوطة .

بتقسيم شعراء « يتيمة الدهر » للثعالبي . فقد صنف الزبيدي علماءه خمس فئات :

فئة البصريين فالكوفيين فالمصريين فالقرويين (أي الافريقين) وأخيراً فئة الاندلسيين .

وهذا تقسيم موفق في مضمار علوم اللغة والنحو والتصريف لأنه في الحقيقة يراعي التميز بين المذاهب والمدارس وفرز علماء كل إقليم في مجموعة متجانسة .

٢ ـ رتب الزبيدي علماء كل بلد أو إقليم ترتيباً زمنياً مصنفاً إياهم في طبقات أو في أجيال ، أي أن كل طبقة تتلوها طبقة ، وذلك على حسب تعاقب أفرادها خلال العصور وليس على حسب منزلتهم في العلم كما قد يبدو من عنوان الكتاب أو مفهوم الطبقات الشائع . والطبقة عند الزبيدي تشتمل على عدد من العلماء في النحو أو اللغة يقلون أو يكثرون تبعاً للجيل الذي عاشوا فيه . فقد تقتصر على عالم واحد أو عالمين وقد تتجاوز الثلاثين من العلماء .

٣ ـ فصل الزبيدي في كتابه بين علماء النحو ، وتناول

كل فئة منهم في باب خاص . غير أن المؤلف اكتفى بتطبيق هذا المبدأ على فئتين من العلماء هما البصريون والكوفيون جاعلاً كل مجموعة منهم في باب . على حين لم يعمد الى هذا التمييز بين علماء سائر الامصار . ويبدو أن المؤلف وجد صعوبة في التزام هذا الفرز والتمييز بين كل من علماء اللغة وعلماء النحو لما بين هذين العلمين من اتصال وترابط ، اذ قلما وجدنا عالماً انفرد بأحد العلمين ولم تكن له مشاركة في الآخر . ولهذا لاحظنا ان المؤلف نفسه اضطر مثلاً في صدد ترجمته لعلماء البصرة والكوفة الى ان يتناول بعض أعلام التأليف مرتين ، مرة في باب النحويين والأخرى في باب اللغويين ، على نحو ما فعل بالنسبة إلى أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وثعلب وسواهم .. كما أنه من جهة أخرى اقتصر على جعل الخليل الفراهيدي في عداد النحاة ولم يضعه بين اللغويين مع أن الاهتمام باللغة غلب عليه وكان صاحب معجم « العين » أول معجم في العربية .

والزبيدي يتسم في كتابه بروح موضوعية متجردة ، فهو ينصف العلماء ويذكر ما لهم وما عليهم . وهذا لم يمنعه من ان يصرح في خطبة كتابه بأنه بدأ طبقاته بالترجمة لعلماء البصرة

البصرة قبل علماء الكوفة لتقدمهم في علم العربية وسبقهم إلى التأليف فيها .

ويبلغ عدد من ترجم لهم الزبيدي في كتابه زهاء ٣٠٠من أئمة اللغه والنحو وأعلامهم ، كان نحو ثلثهم من الأندلسيين . وفي رأينا ان الكتاب يكتسب أهمية أكبر في احتوائه هـذا العدد الوفير من تراجم علماء الأندلس ، وهذا قل أن نحظى به في مصنفاف مماثلة .

والزبيدي يؤثر الإيجاز والتركيز فيما يعرض له من تراجم العلماء، وينفي عنها كثيراً من الحشو الذي لا طائل منه إلا من اقتضى منه الإسهاب ، وهو لحسن الحظ يعنى بتراجم الأندلسيين ويوفيهم حقهم من القول .

وقد نشر « طبقات النحويين واللغويين في مصر عام ١٩٥٤ في طبعة علمية محققة ومذيلة بفهارس (١) .

---

(١) نشر المستشرق فريتز كرنكو مختصراً للكتاب أول مرة سنة ١٩١٩. وقد صدرت الطبعة المصرية بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

نزهة الألباء

صاحب هذا الكتاب الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ، من كبار علماء النحو في القرن السادس الهجري . وقد أسمى كتابه « نزهة الألباء في طبقات الأدباء »[1] .

فنزهة الألباء كتاب آخر في تراجم النحاة واللغويين ظهر بعد نحو قرنين من ظهور كتاب الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين . وقد استهل الأنباري كتابه بمقدمة عرض فيها نشأة علم النحو ، ونسب فيها الفضل الى علي بن أبي طالب والى أبي الأسود الدؤلي ، ثم تكلم على مبادرة أبي الأسود الى تشكيل القرآن وابتداعه نظام الحركات أول مرة في العربية .

وينطوي الكتاب على الصفات التالية :

---

(١) للأنباري كتاب قيم اسمه « الانصاف في مسائل الخلاف » تناول فيه بروح متجردة الخلافات النحوية بين مدرستي الكوفة والبصرة وعرضها بتفهم وحاول التوفق بينها في بعض الأحيان .

١ ـ انه يصنف العلماء على حسب ترتيبهم الزمني ، شأنه في ذلك شأن كتاب الزبيدي ، فيبدأ بذكر النحويين واللغويين الأوائل . ويمكن أن نعد كتاب الأنباري هذا بحكم تأخره الزمني مكملاً لكتاب الزبيدي ، فهو يورد تراجم من القرنين الخامس والسادس أي حتى عصره .

٢ ـ يتخلل تراجم النحويين واللغويين في الكتاب تراجم أخرى لعدد من الشعراء والكتاب مثل أبي نواس وأبي تمام والجاحظ والصاحب بن عباد والمتنبي وأبي العلاء . . والأنباري ينطلق في ذلك من أخذه بالمفهوم الواسع للأدب ولكلمة الأدباء التي جعلها في عنوان كتابه .

ونحن نأخذ على المؤلف اضطراب منهجه وعدم تحديده مجال موضوعه حين حشر عدداً من الشعراء والكتاب بين النحاة واللغويين برغم تمكنهم في النحو واللغة لأن سمة الادب غالبة عليهم . وكان الاقتصار على تراجم النحويين واللغويين أجدى للعلم وأدل على التخصص ، كما أن تناول الادباء من شعراء وكتاب يحتاج الى مصنف مستقل لغزارة المادة في كلا الموضوعين . وهكذا لم يستطع الانباري ان يوفيّ أحد الموضوعين حقه .

٣ ـ الكتاب وجيز لا يتجاوز فيه عدد التراجم المئتين ٢٠٠ وليسوا جميعاً من النحويين واللغويين . ومن مقارنة هذا العدد بما أورده الزبيدي يتضح لنا ان الأنباري لم يستوف موضوعه ويتقص تراجمه لأن الفترة التي تناولها تقارب ستة قرون وتزيد بنحو قرنين من الزمان عن الحقبة التي تناولها سلفه . وكنا نتمنى لو ابتدأ الانباري في كتابه من حيث انتهى سلفه الزبيدي ، وبذلك كان بوسعه ان يتجنب التكرار وان يركز اهتمامه في مقابل ذلك على علماء القرنين الخامس والسادس .

على أننا لا نريد أن نظلم الأنباري ؛ لأن محتوى الكتاب لا يتضمن ترجمة للزبيدي في عداد النحويين وليس فيه ما يدل على ان مؤلفه قد اطلع على كتاب سلفه برغم انقضاء امد طويل على صدوره . وهذا أمر يحدث ، وبخاصة اذا عرفنا أن ثمة مصاعب كانت تحول دون تداول الكتب وانتشارها على نطاق واسع في تلك العصور القديمة ، يضاف الى ذلك أن كتاب الزبيدي صدر في الاندلس فكان أبعد عن أيدي المشارقة .

٤ ـ ومع أن عنوان الكتاب في الطبقات فهو ككتاب الزبيدي لا ينطوي على شيء من التصنيف الطبقي الاصطلاحي . فقد أصبحت

كلمة الطبقات في كتب التراجم لا تعني أكثر من مفهوم الترجمة لحياة الأعلام في كل فن . فالكتاب يورد تراجمه على حسب التسلسل الزمني لأصحابها بادئاً بأبي الأسود ومنتهياً بابن الشجري . ولا ينطوي فيما عدا ذلك على أي تبويب آخر خاص به . وهذا ما يرجح أن الأنباري لم يقف على كتاب الزبيدي ولم يستفد من منهجه .

طبع الكتاب في مصر طبعة علمية محققة [١] .

انباه الرواة

جمال الدين علي بن يوسف القفطي عالم جليل عاش في القرن السابع الهجري . وكان ناثراً بليغاً غلبت على كتابته طريقة

---

(١) عني بتحقيق نزهة الألباء أبو الفضل ابراهيم سنة ١٩٦٦ . وقد صدر عن دار « نهضة مصر » .

وكان قد طبع قبل ذلك مرتين ؛ الأولى طبعة حجرية مصرية وهي قليلة الجدوى صدرت في القاهرة سنة ١٢٩٤ هـ ، والثانية عراقية نشرها ابراهيم السامرائي في بغداد سنة ١٩٥٩ م وحرص فيها على الضبط وتحقيق الاسماء المتشابهة. انظر مجلة الكتاب العربي ، العدد ٢٤ ـ أيار (مايو) ١٩٦٦ ، ص ٩٤ .

القاضي الفاضل في الزخرفة والتنميق . وكتابه « إنباه الرواة على أنباه النحاة » أشهر مؤلفاته التي ضاع الكثير منها [1] . ويمتاز بسداد المنهج وجودة التأليف .

وإنباه الرواة معجم شامل لتراجم أعلام اللغة والنحو منذ عصر أبي الأسود حتى القرن السابع عصر المؤلف . وهو كتاب كبير شامل يتناول اللغويين والنحويين في العالم الاسلامي في أرجاء المشرق والمغرب . ويحتوي قرابة ألف ترجمة . وهو يتعدى النحويين واللغويين الى كل من كانت له مشاركة في اللغة والنحو من الشعراء والكتّاب والعروضيين والمؤرخين والمحدثين .

بوّب القفطي كتابه على حسب الترتيب المعجمي ، فهو معجم لأعلام النحو واللغة . وهذا المنهج ييسر على الباحث الرجوع إليه والإفادة منه ، برغم أن هذا الترتيب لا يلتزم الدقة في ثواني الأسماء . وقد رأينا مثل هذا العيب من قبل في

(١) تبلغ مؤلفاته نحو ثلاثين كتاباً ضاع أكثرها ومنها : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، أخبار المتيمين ، أخبار مصر من ابتدائها الى أيام صلاح الدين أو تاريخ مصر ، إصلاح خلل الصحاح .

بعض كتب تراجم الشعراء كالمؤتلف والمختلف للآمدي ومعجم الشعراء للمرزباني .

ويصدّر القفطي كتابه بمقدمة تتناول بواكير المحاولات النحوية مما أصبح ذكره أمراً مألوفاً في هذه الكتب .

وإنباه الرواة في مادته الغزيرة حصيلة كتب عديدة وثقافة واسعة آلت الى القفطي في عصر ازدهار التأليف ، فهو يغني عن مصنفات كثيرة في هذا الموضوع .

صدر « انباه الرواة » في ٣ أجزاء عن دار الكتب المصرية خلال ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ . وقد حققه تحقيقاً علمياً ممتازاً أبو الفضل ابراهيم ، كما ذيله بتعليقات وحواش مفيدة ، وألحق به فهارس جيدة .

بغية الوعاة

يعد جلال الدين السيوطي من العلماء الأفذاذ في عهود العرب المتأخرة عاش خلال النصف الثاني من القرن التاسع وأوائل العاشر . وقد عرف بغزارة نتاجه وكثرة مؤلفاته ، حتى بلغت

كتبه نحواً من ٥٠٠ كتاب من أشهرها كتابه في فقه اللغة واسمه « المزهر » .

أما كتابه هذا « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » فيعد في مقدمة المصنفات المسهبة التي ترجمت لعلماء النحو واللغة . ومن خلال خطبة الكتاب يتضح لنا مقدار الجهد الذي بذله السيوطي في جمع مادته ومدى الإحاطة في استيعاب مصنفات أسلافه . وقد عرض لبعض من ألفوا في هذا الموضوع وقوم كتبهم وذكر ما لها وما عليها ، وأشاد بكتاب الزبيدي من بينها ، وسرد في هذا الصدد كتباً عديدة لم تصل إلينا وأفاد منها في كتابه .

ولما كان السيوطي في جيل المتأخرين تراكم بين يديه ما اجتمع من تراجم الرجال خلال ما يزيد عن ثمانية قرون . ومثل هذه المادة الوافرة فرضت على المؤلف فيما يبدو ان يعمد إلى الايجاز الشديد في كثير من تراجمه ، حتى إنه احيانا لا يتعدى ذكر اسم العالم مع شذرات من اخباره ومصنفاته لا تكاد تغني الباحث . وقد احتوى كتابه تبعاً لذلك عدداً كبيراً من التراجم بلغ ٢٢٠٩ ، وهو أكبر مجموع نقع عليه فيما صنف من الكتب في تراجم اللغويين والنحويين .

وقـد آثر السيوطي لكتابه اتباع المنهج المعجمي فرتب اسماءه على الحروف ، ومثل هذه الطريقة تغدو مفضلة على سواها حين تغزر المادة وتكثر الأسماء كثرة بالغة . ولكن السيوطي عمد الى استهلال أبواب كتابه بذكر اسماء المحمدين والأحمدين إجلالاً للرسول العربي الذي سمي بهذين الاسمين ، وبعد ذلك شرع في ذكر الأسماء المبدوءه بحرف الهمزة فالباء .. الخ ..

وقد ألحق السيوطي في كتابه عدداً من الأبواب في تراجم أخرى اخضعها لنسق آخر مثل باب الكنى والألقاب ، وباب النسب والإضافات وباب المتفق والمفترق من الأسماء.. الخ .

ولا شك أن أهميـة الكتاب تتجلى في استيعابه واحتوائه غالبية النحويين واللغويين الذين عرفتهم العربـية . غير أن الفائدة منه أجدى في الوقوف على تراجم العلماء المتأخرين بحيث يعد بغية الوعاة مكملاً في ذلك مصنفات أسلافه .

وقد صدر بغية الوعاة في مصر محققاً ومذيلاً بفهارس قيمة (١) .

(١) صدرت هذه الطبعة في مصر عام ١٩٦٦ م بعناية محمد أبو الفضل ابراهيم ودلك في مجلدين . وكان قد صدر قبل ذلك في مطبعة السعادة في مصر أيضاً سنة ١٣٢٦ هـ .

٣ ـ كتب التراجم العامة

بعد أن اتسعت الرقعة المكانية للبلاد العربية والإسلامية اتساعاً كبيراً بعد الفتوح حفلت هذه الربوع المترامية الأرجاء بحركة ناشطة لم يعرف لها العالم القديم نظيراً . وقد تميز سيل المؤلفات في القرن الرابع بتنوع الموضوعات واختلاف الاتجاهات . وشعر العلماء ازاء هذا الفيض الزاخر بحاجة ماسة الى حصر تلك العلوم وتنسيقها وتبويبها ووصفها والتعريف بأصحابها . فكان من ذلك محاولة الفارابي (محمد بن طرخان ـ ٣٣٩ هـ) في مؤلفه « إحصاء العلوم » الذي تناول فيه علوم عصره وبوّبها وعرّف بها [١] . وفي إثر الفارابي جاء الخوارزمي (محمد بن أحمد ـ ٣٨٧ هـ) ووضع كتابه « مفاتيح العلوم » وكان عمله شبيهاً بعمل الفارابي .

غير ان هذين العالمين وقفا عند هذا الحد من الإحصاء يريدان ان يبينا منهج كل علم وطبيعته وحدوده ليفرقا بين علم

(١) انظر « تراث الانسانية » المجلد ٦ ص ١٩٥ ، بقلم ابراهيم الابياري.

وعلم وعالم وعالم . وهما فيما كتبا لم يعرضا لعالم بتعريف ولا لكتاب بتبيين [1] .

وهذه النظرة قادت الى مرحلة أخرى تعد متصلة بها ومكملة لها ؛ اذ كان لابد من تأليف يذكر في ضوء هذا التقسيم أسماء العلماء موزعين على ميادينهم العلمية ثم أسماء كتبهم والتعريف بمضمونها . وكانت هذه الغاية أبعد منالاً لأنها تتطلب عبئاً أكبر واستيعاباً أوسع ، ورجوعاً الى كتب كثيرة وفهارس وافية .

هذه المهمة الشاقة في وضع فهارس شاملة تضم العلوم والعلماء وترصد النتاج الفكري تجلت في مجموعة قيمة من المصنفات الجليلة في طليعتها كتاب الفهرست لابن النديم ، والفهرست لابن خير ، وكشف الظنون لحاجي خليفة .

وثمة كتب أخرى ذات طبيعة مشابهة من حيث شمول موضوعها تعرف بكتب التراجم العامة مثل وفيات الأعيان ، فهي تختلف عن الكتب السابقة في أنها تعنى بالأشخاص اكثر من عنايتها بالمؤلفات شأنها شأن سائر كتب التراجم في الشعراء والادباء وفي اللغويين والنحويين .

---

(١) تراث الانسانية ٦ : ١٩٦ .

ونحن لا نعرض لهذين النوعين من المصنفات إلا لأنها تنطوي — فيما تنطوي عليه من تراجم عامة — على تراجم الأدباء والشعراء واللغويين والنحويين . مما يدخل في نطاق موضوع بحثنا .

الفهرست

هذا الكتاب الذي ألفه أبو الفرج محمد بن النديم يعد الأول من نوعه . اعتمد فيه مؤلفه على صلته بالوراقة تلك الصناعة التي كانت تتيح لصاحبها ان يدخل الى المكتبات الخاصة والعامة وان يكون على صلة وثيقة بالطبقة المتنورة والفئة المثقفة . وقد عُرف بعض الوراقين عهدئذ بالنباهة وسعة الاطلاع وكانوا قارئين باحثين مدققين ، وكان منهم من عرف بالتأليف ، ولعل ابن النديم أنبههم شأناً .

ومن الغريب ان هذا الرجل الذي عاش في بغداد في أواخر القرن الرابع وبعض القرن الخامس وصنف كتاباً قل نظيره في تراجم المؤلفين لم يحظ من الذين صنفوا فى موضوع

التراجم من بعده بالاهتمام الذي يستحقه برغم أن كتابه كان عمدة لأكثر هذه الكتب [1] .

وقد جود ابن النديم في مادة كتابه واستوعب موضوعه استيعاباً يدل على إطلاع واسع على التراث العربي الحافل في مختلف أوجه النشاط الفكري والعلمي والأدبي حتى أواخر القرن الرابع . ويبدو أنه عاش لكتابه هذا وأمضى في تأليفه سنوات طوالاً [2] .

والفهرست عمدة في موضوع التراجم وأصل من أصول التأليف في هذا المضمار . وهو على اعتدال حجمه يعد ذخيرة قيمة . وقد حرص فيه ابن النديم على ان يحصي جميع الكتب

---

(١) لم يورد ابن خلكان ترجمة لابن النديم ، كما أن ابن شاكر الكتبي صاحب « فوات الوفيات » لم يستدرك ترجمته التي فاتت وفيات الأعيان . أما ياقوت فقد أورد له في معجم الأدباء ترجمة مقتضبة في بضعة سطور . كما ترجم له بايجاز الصفدي خليل بن أيبك في « الوافي بالوفيات » (- ٧٥٦) ، وابن حجر (احمد بن علي - ٨٥٢) في « لسان الميزان » ، وابن أبي أصيبعة في « طبقات الاطباء » .

(١) لم يذكر لابن النديم كتاب آخر غير الفهرست الا كتاب «التشبيهات» .

العربية المؤلفة والمنقولة وأن يصفها ويترجم لأصحابها بأن يذكر طرفاً من تاريخ حياتهم ويحدد سنة ولادتهم وسنة وفاتهم . وبذلك كان الفهرست أوفى سجل حتى عصره في هذا الموضوع لأنه يرصد لنا بدقة وأمانة ما بلغه العرب والمسلمون في حياتهم العلمية وما قطعوه من أشواط في مجال المعرفة خلال القرون الأربعة للهجرة وبخاصة الحقبة العباسية . ومن يتصفح محتوى الفهرست يعجب لهذا النشاط العلمي الخصب الذي اتسمت به حضارة العرب ويعجب في الوقت نفسه من إلمام المصنف بهذا التراث الحافل .

ومما يزيد الفهرست أهمية ان الكثير من المصنفات التي وردت فيه لم يصل إلينا وعبثت به يد الضياع ، فلولا أن أثبته المؤلف في كتابه أو وصفه لما درينا من أمره شيئاً .

وطابع الفهرست عام لم يقتصر فيه مؤلفه على فئة معلومة من المؤلفين أو نوع معين من المؤلفات بل يتناول فيه وجوه النشاط الفكري في الادب واللغة والفقه والحديث والتاريخ والعقائد والمذاهب والطب والفلك والموسيقى والفلسفة والحساب . .

وقد أدرك المؤلف اتساع القاعدة التي تصدى لجمعها بدأب وذكاء . فاختط منهجاً خاصاً انفرد به حين عمد الى نبذ كل حشو أو لغو مما لا طائل وراءه بالنسبة الى موضوعه الأساسي، فكان يقصد الى موضوعه قصداً دون تقديم أو تمهيد ليتسنى له حصر ما تصدى إليه . ومن هنا غلب الإيجار على مادته والاقتضاب في تراجمه وكانت سمة العالم المحقق غالبة عليه . وهذه السمة تطالعنا لدى ابن النديم منذ خطبة كتابه ، فهذه الخطبة لا تتعدى بضعة أسطر قصد بعدها الى غرضه قصداً سريعاً فقال :

« النفوس — أطال الله بقاءك — تشرئب الى النتائج دون المقدمات ، وترتاح الى الغرض المقصود دون التطويل في العبارات » .

« فهذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أخبار العلوم وأخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم ، منذ ابتداء كل علم اخترع الى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمئة للهجرة » .

وهذا يعنى أن ابن النديم – كما ذكر في خطبة كتابه– أنجز أصل الفهرست سنة ٣٧٧ هـ . ولكننا نستنتج من مواضع في الكتاب أن المؤلف يورد فيه تراجم أناس عاشوا بعد هذا التاريخ ، فيذكر وفاة ابن جني اللغوي سنة ٣٩٢ ، ويجعل وفاة ابن نباتة بعد الأربعمئة ، وفي ترجمة المرزباني يقول : « ويحيا الى وقتنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمئة ونسأل له العافية والبقاء بمنه وكرمه » وبعد هذه العبارة مباشرة نرى قول ابن النديم « وتوفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة رحمه الله » .

وتعليل ذلك في رأينا يمكن أن يكون في أحد أمرين : الأول ان ابن النديم بعد ان أنجز أصل كتابه سنة ٣٧٧ كان يترك فراغاً أبيض بعد تراجم بعض معاصريه أو من تقدموه ، حتى اذا ما استجد لديه شيء في الموضوع أو عنّ له ما يضيفه أثبته في كتابه وألحقه بتراجمه . وقد يكون ابن النديم قد توفي بُعيد سنة ٣٧٧ لا سنة ٤٣٨ ، وبذلك يكون تلامذته هم الذين ألحقوا بالكتاب تلك الاضافات ، ومثل هذا مألوف بين العلماء وشيوخهم .

قسم ابن النديم فهرسته عشرة أبواب كبيرة اسماها مقالات وكل مقالة فرّعها الى عدد من الفصول او الفنون كما آثر ان يدعوها أيضاً . وقد بلغت هذه الفنون ٣٢ فناً .

المقالة الأولى : وفيها تمهيد حول لغات الأمم وخطوطها (كالعربية الحميرية والفارسية والسريانية والعبرية والرومية ـ اليونانية ـ والصينية والروسية والأرمنية) ويتناول فيها ابن النديم أيضاً الذين صنفوا حول كتب الشرائع من توراة وانجيل وقرآن وما يتصل بذلك من قراءات وقراء وتدوين للمصاحف .

المقالة الثانية : في النحويين واللغويين ومصنفاتهم . .

المقالة الثالثة : في الأدباء والكتّاب وأصحاب السير ، وفي الولاة والملوك والندماء والمغنين . . وكتبهم .

المقالة الرابعة : في الشعر والشعراء وطبقاتهم من الجاهليين والإسلاميين والمحدثين .

المقالة الخامسة : في علماء الكلام وشيوخ الفرق الدينية من شيعة ومعتزلة وجبرية وخوارج وزهاد ومتصوفة .

المقالة السادسة : في الفقه والفقهاء والمحدثين وأئمة المذاهب .

المقالة السابعة : في الفلاسفة والمناطقة والمهندسين وأهل الحساب والمنجمين والموسيقيين والأطباء .

المقالة الثامنة : في الأسمار والخرافات والسحر والشعوذة ، وفي العطور والصيدنة والطبيخ ..

المقالة التاسعة : في المذاهب والاعتقادات عند الأمم كالصابئة والمزدكيه والمانوية ونحل أهل الهند والصين ..

المقالة العاشرة : في أخبار الكيميائيين والصنعويين .

ومع أن غاية ابن النديم الحصر والاستيعاب ، فانه يقف أحياناً ليبدي رأيه فيما ينقل ، ففي صدد ترجمته لجابر بن حيان لا يتقبل رأي من يقول ان بعض الناس كانوا يؤلفون وينسبون كتبهم الى سواهم : « وأنا أقول ان رجلاً فاضلاً يجلس ويتعب فيصنف كتاباً يحتوي على ألفي ورقة ، يتعب قريحته وفكره باخراجه ويتعب يده وجسمه بنسخه ثم ينحله لغيره إما موجوداً أو معدوماً ضرب من الجهل ، وان ذلك لا يستمر على أحد ولايدخل تحته من تحلى ساعة واحدة بالعلم ، وأي فائدة في هذا وأي عائدة » .

وقد يبدى رأياً شخصياً لا نوافقه عليه كقوله عن كتاب الف ليلة وليلة : « وهو في الحقيقة كتاب غث بارد » .

ونشر « الفهرست » بعناية فائقة من المستشرق فلوجل في « ليبزج » سنة ١٨٧٢ [١] .

فهرست ابن خير

لا نعرف عن محمد بن خير الشيء الكثير ، وهو اشبيلي من الأندلس عاش خلال القرن السادس الهجري أي بعد مايقرب من قرنين من حياة ابن النديم [٢] . غير أنه ليس ثمة ما يشير في كتابه الى أنه اطلع على كتاب ابن النديم .

---

(١) بذل المستشرق الالماني غوستاف فلوجل عناية فائقة في نشر الفهرست نشراً علمياً فوضع له مقدمة بالالمانية وألحق به تعليقات كثيرة وفهارس وافية . وقد أسهم في جوانب من هذا العمل علماء آخرون من الاجانب .

أعيدت طبعة فلوجل في بيروت سنة ١٩٦٤ بعد أن كانت نادرة.

وتوجد طبعة مصرية ولكنها غير علمية وليس لها تاريخ .

(٢) ترجم له ابن الابّار في كتاب « الحلة السيراء » ، والضبي =

ومن جهة أخرى ليس ثمة ما يشير أيضاً في كتاب « كشف الظنون » لحاجي خليفة — وهو في الموضوع نفسه — الى أنه اطلع على فهرست ابن خير . ومن قبل لاحظنا أن الأنباري صاحب « نزهة الألباء » لم يدر شيئاً من أمر أبي بكر الزبيدي الأندلسي ولا من أمر كتابه « طبقات النحويين واللغويين » . وإن دل ذلك كله على شيء فانما يدل على ضآلة التفاعل الثقافي بين بلاد المشرق وبلاد الأندلس في ذلك العصر وأن حركة التبادل الأدبي وانتقال الكتب خلال تلك الربوع المتباعدة لم تكن تتم في يسر بسبب صعوبة المواصلات .

ويتضمن فهرست ابن خير الصفات التالية :

١ ـ انه ككتاب ابن النديم يعنى بالمؤلفات بالدرجة الاولى أكثر من عنايته بالمؤلفين . فهو فهرس يرصد الكتب أكثر من كونه كتاباً في التراجم .

٢ ـ يروي ابن خير أسماء الكتب على حسب العلوم أو

= صاحب « بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس » ، والذهبي في « تذكرة الحفاظ » .

الموضوعات . غير أنه يتعذر على المؤلف في بعض الاحيان التزام هذا المبدأ ، ولذلك قد تندرج كتب في غير مواضعها .

٣ ـ ان الكتب نفسها غير مرتبة بدقة ضمن كل باب . ولهذا يصعب على الباحث الوقوف بيسر على ما يريد . ومن هنا مست الحاجة الى ان يفهرس الكتاب فهرسة معجمية تزيد الانتفاع منه .

٤ ـ يحرص ابن خير على الرواية الدقيقة لأسماء الكتب مشافهة عن الشيوخ الثقات الذين اتصل بهم أو أخذ عنهم . وهو في سبيل الضبط والتدقيق يعمد الى التزام الإسناد وتسلسل الرواية بما يقرب من درجة التواتر . وقد أفرط المؤلف في ذلك على طريقة المحدّثين ، حتى إن ذكر كتاب واحد قد يستغرق عشرات السطور من سلسلة أسماء الرواة ، وبذلك يطغى السند على المتن ويثقل كاهل الموضوع الأصلي . على أن لهذه الطريقة فائدة علمية من حيث التأكد من نسبة الكتب الى أصحابها ، والتمييز بين أسماء الكتب المتشابهة وربطها بمؤلفيها .

أما المنهج الذي آثره ابن خير في عرض مادته الغزيرة

فهو تقسيم كتابه الى موضوعات جاعلاً لكل موضوع باباً خاصاً، ومن ذلك :

الدواوين المؤلفة في علوم القرآن ، الموطآت ، كتب الحديث وغريب الحديث ، التواريخ ، تراجم المحدثين ، كتب السير والأنساب ، كتب الفقه ، كتب اصول الدين ، الفرائض . ثم كتب الآداب والأنحاء واللغات والأشعار ...

وينطوي القسم الأخير من الكتاب على ذكر من لقيهم ابن خير وتتلمذ عليهم من كبار العلماء والشيوخ الذين أجازوه في في الرواية ، أو الذين اخذ عنهم ولم يلقهم ، أو من روى عنهم من سائر البلاد . وهذا التمييز دليل الدقة والروح العلمية .

نشر فهرست ابن خير في سرقسطة باسبانيا عام ١٨٩٣ ثم اعيد طبعه في بغداد طبعاً منقحاً سنة ١٩٦٣ [(١)] .

(١) صدر عن دار المثنى بالعراق في مجلد واحد ينطوي على نحو ٦٠٠ صفحة . وقد عني بنشره أول الامر المستشرق فرنشيسكو قديرة (كوديرا) وتلميذه خليان ريبيرا طارغوه . وقد وضعا له مقدمة قيمة باللاتينية وهي مترجمة الى العربية في الكتاب نفسه . وقد توج المستشرقان الكتاب بفهارس قيمة تتضمن ثبتاً طويلاً بأسماء =

وعنوان الكتاب مفصلاً « تاريخ بغداد أو مدينة السلام» .
وقد ألفه الخطيب البغدادي من رجال القرن الخامس الهجري وكان حافظاً للقرآن ومؤرخاً وفقيهاً وأديباً ، وقد عرف بغزارة مؤلفاته [1] .

وقد عين المؤلف إطار بحثه المسهب في مقدمة موجزة لا تتجاوز صفحة واحدة ، قال فيها : « هذا كتاب تاريخ مدينة السلام وخبر بنائها ، وذكر كبراء نزّالها ، وذكر وارديها وتسمية علمائها » .

وواضح من عنوان الكتاب ومن هذه الكلمات الممهدة أن الكتاب تاريخ مسهب لعاصمة العباسيين . وأن الشطر الأوفى

= الكتب الواردة في الفهرست ، وثبتا آخر بأسماء المؤلفين والرواة، وثبتاً بأسماء الأماكن . .

(١) عد ياقوت للخطيب البغدادي ٥٦ مؤلفاً ، وبلغت مؤلفاته عند يوسف العش في كتابه « الخطيب البغدادي : مؤرخ بغداد ومحدثها» ٧٩ كتاباً . ومن كتبه : الامالي ، البخلاء .

منه يتناول موضوع التراجم بصورتها العامة ، أي كما قال الخطيب انه في ذكر كبراء ونزال بغداد ووارديها وعلمائها . فالكتاب برغم عنوانه الذي يوحي بالتاريخ كتاب تراجم بالدرجة الأولى ، وهو يشبه الى حد ما كتاب نفح الطيب من حيث احتواؤه تاريخ البلد وجغرافيته ثم تراجم أعلامه .. وإذا علمنا مدى أهمية بغداد في القديم وأنها أكبر حواضر العلم والسياسة في التاريخ العربي الاسلامي وما عاش خلاله من رجال أعلام على مر العصور حتى عهد المؤلف أدركنا قيمة هذا الكتاب وفهمنا سبب ضخامته .

والكتاب في ظاهر اسمه مقصور على بغداد كما يوحي عنوانه، ولكنه يتعدى هـذا النطاق في الواقع لأنه رصد للحركة العلمية الشاملة في عهد العباسيين الزاهر وبخاصة في حاضرتهم بغداد . بل انه موسوعة ضخمة تتناول كل ما يتعلق بدار السلام وحضارتها . وقـد أحسن المؤلف صنعاً حين ترجم لمن وفدوا عليها وألموا بها من خارجها . وبهذا غدا طابع « تاريخ بغداد » عاماً شاملاً ، إذ قلما نبغ عالم او شاعر أو أديب أو فقيه دون أن ينزل بمدينة السلام أو يلم بها . ولهذا نجد تراجم العديدين من غير البغداديين أصلاً كأبي الطيب المتنبي وسواه .

ومثل هذا الشمول في مادة الكتاب يتجلى في تراجم اعلام البغداديين والوافدين عليها من الخلفاء والملوك والوزراء والأشراف والنحاة والصرفيين والبيانيين واللغويين والقراء والمفسرين والمحدثين والمتكلمين والمنطقيين والفقهاء والقضاة والزهاد والنساك والمتصوفة والقصاص والوعاظ والرياضيين والحسّاب والفلكيين والمنجمين والموسيقيين والأطباء والصيادلة والجراحين والكتّاب والخطاطين والشعراء والمؤرخين والعروضيين والمغنين وحذاق الصناع والرماة والفرسان والنابغين . .

أما المنهج الذي آثر الخطيب البغدادي اتباعه في عرض تراجمه فلم يكن وفقاً للتسلسل الزمني كما قد يوحي بذلك عنوان الكتاب « تاريخ بغداد » ولكنه جنح إلى الترتيب المعجمي ، وهذا المنهج أجدى في مثل هذه الكثرة البالغة في عدد التراجم وأيسر تناولاً على الباحث .

وقد تكلم المؤلف في الجزء الأول من كتابه على إنشاء بغداد أيام أبي جعفر وأصل تسميتها وعلى أسوافها وجسورها ومساجدها ومساحتها . وبعد ذلك يشرع في الترجمة لأعلام أهلها جاعلاً القسم الأول من ذلك في الترجمة للوافدين على المدائن

القريبة منها وهم من الصحابة وفي رأسهم علي والحسن والحسين وسعد وابن مسعود وابن ياسر وأبو ايوب الأنصاري وسلمان الفارسي وعبد الله بن عمر ومعاوية والمغيرة أيام الفتح وبعده .

ثم ينتقل المؤلف الى التراجم العامة مقدماً أسماء المحمدين على غرار ما وجدنا في بغية الوعاة للسيوطي . كذلك نلاحظ أن الخطيب أيضاً لا يراعي الدقة في ثواني حروف الأسماء ؛ فهو مثلاً يبدأ بذكر من اسمه محمد واسم أبيه اسحق ثم من اسم أبيه أحمد ثم من اسم أبيه ابراهيم على حين كان ينبغي له أن يفعل العكس . ويبدو أن أكثر المؤلفين حتى هذا القرن الخامس عصر المؤلف لم يكونوا يعبؤون بهذا الناحية التفصيلية في الترتيب المعجمي .

وقد طبع هذا الكتاب الكبير في مصر سنة ١٩٣١ في ١٤ جزءاً واستغرق نحو خمسة آلاف صفحة . وثمة كتاب آخر ألفه بعده ابن النجار ليكون متمماً له في الفترة التي تلت عصر الخطيب ، وهو « ذيل تاريخ بغداد » .

جذوة المقتبس

أبو عبد الله الحُميدي فقيه ومؤرخ أندلسي من رجال القرن الخامس الهجري . وهو معاصر للخطيب البغدادي وكتابه شبيه بكتابه ، وقد لقيه وأخذ عنه وعن أهل طبقته عندما رحل عن الأندلس الى المشرق وآثر المقام في بغداد . ويعد أول من ادخل كتب ابن حزم الى الشرق . وكتبه كثيرة [1] ويعنينا منها « جذوة المقتبس » الذي ألفه في العراق ولأهل العراق ، فكان فيما يبدو حريصاً على أن يعرّف أهل المشرق بمآثر وطنه في المغرب ، ولهذا يعد الكتاب من أعمدة المكتبة الأندلسية . غير أن بعد المؤلف عن بيئتة الأولى وقلة مصادره كانا يحدان من انطلاقه أحياناً ويحولان دون تعرضه الوافي لأنباه الاندلسيين وربما ساقه ذلك الى إغفالهم . وقد اعتذر عن ذلك في خطبة كتابه .

---

(١) من كتبه « الجمع بين الصحيحين » أي البخاري ومسلم ، وكتب أخرى مثل تاريخ الاسلام ، وهي تتجاوز العشرين كتاباً .

وموضوع كتابه ينم عليه ما فصله في هذا العنوان المفصل : « جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس . وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر » .

فالكتاب في التراجم العامة ، وطابع بعضها الاقتضاب لما أسلفنا من قلة مصادر المؤلف . غير أن ما امتاز به الحميدي في كتابه اختفاء ظاهرة الغلو التي نلمسها في الغالب لدى مؤلفي كتب التراجم من إشادة بالغة ببعض الشيوخ ونسبة الفضل الفائق إليهم ، ولعل كونه محدثاً جعله أقرب إلى الواقع والموضوعية . ويمتاز الكتاب من جهة أخرى بأن مؤلفه اعتمد على نصوص تتسم بالقدم والأصالة وقد ضاع جانب كبير منها .

والمنهج الذي اتبعه الحميدي شديد الشبه بمنهج الخطيب البغدادي ، وأغلب الظن أنه حذا حذوه ونسج على منواله . فهو يبدأ كتابه بفصل قصره على الترجمة للولاة الذين حكموا الاندلس منذ الفتح وذلك على حسب تسلسلهم الزمني . فابتدأ بعبد الرحمن الداخل وأتبعه سائر أمراء بني أمية وخلفائهم . ثم انتقل في سائر الكتاب الى ذكر التراجم جاعلاً إياها على حروف المعجم . وآثر الحميدي أخيراً ان يبدأ أيضاً بأسماء المحمدين فالاحمدين ، ثم

التزم النسق الالفبائي في ترتيب سائر تراجمه . وقد اجتمع له في كتابه زهاء ألف ترجمة .

صدر « جذوة المقتبس » في مصر محققاً سنة ١٩٥٣ (١) .

كشف الظنون

مصطفى بن عبد الله عالم تركي ولد في استامبول عام ١٠١٧هـ وقد غلب عليه لقبه حاجي خليفة . وخليفة تطلق عند الترك على الوكيل أو المعاون ، وذلك اشارة الى منصبه في الدولة العثمانية . على أنه عرف بين العلماء بلقب كاتب جلبي أي الكاتب الفاضل او السابق ، وهذا اللقب يدل على مكانته في عالم التأليف . تعلم في صباه القرآن وكذلك التجويد والتفسير وفن الخط .

وللحاج خليفة كتب عديدة ألفها بالعربية ولكن شهرته قامت على « كشف الظنون » . وقد بدأ بتأليف كتابه الكبير

---

(١) أصدرته دار الثقافة الاسلامية بالقاهرة ، وطبع بمطبعة السعادة . وهو بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي . ويمتاز بضبطه واتقانه وبفهارسه المديدة القيمة ويقع في ٤٥٠ صفحة .

في حلب وأفاد كثيراً من خزائن كتبها ومكتباتها العامة ، واستغرق منه تأليف هذا الكتاب زهاء عشرين سنة . وفي رأينا ان وراء هذا الكتاب جهداً عظيماً تنوء به طاقة الفرد .

أسمى المؤلف كتابه « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » فهو كما ينم عليه عنوانه أشبه شيء بفهرست ابن النديم وفهرست ابن خير إلا أنه أوعب الكتب المؤلفة في هذا الموضوع وأغزرها مادة . وقد اجتمع فيه من أسماء الكتب ١٤٥٠٠ كتاباً . ومن المؤلفين ٩٥٠٠ مؤلفاً . وتناول فيه نحواً من ٣٠٠ فناً أو علماً [١] .

ويوضح الحاج خليفة المنهج الذي آثره في كتابه فيقول في خطبته : « ورتبته على الحروف المعجمة ، وراعيت في حروف الأسماء الى الثالث والرابع ترتيباً . فكل ماله اسم (من الكتب) ذكرته في محله مع مصنِّفه وتاريخه ومتعلقاته ووصفه تفصيلاً وتبويباً . وما ليس بعربي قيدته بأنه تركي او فارسي او مترجم.. »

---

(١) ادركت المؤلف الوفاة قبل ان ينجز تبييض كتابه وكان قد بلغ مادة « دروس » فأكمل بعض تلامذته العمل .

ثم يقول : « وأما أسماء العلوم فذكرتها باعتبار المضاف اليه ؛ فعلم الفقه مثلاً في الفاء » .

ويمكننا ان نجمل مزايا كشف الظنون فيما يلي :

١ ـ مصدر كبير في أسماء المؤلفين ومؤلفاتهم يعنى بجمع مادته الغزيرة في كثير من الاستقصاء والاستيعاب . فهو أشمل المصنفات في موضوعه .

٢ ـ يرصد كشف الظنون الجانب الأكبر من التراث العربي والنتاج الفكري في مختلف وجوهه خلال حقبة مديدة بلغت ألف عام .

٣ ـ حوى كشف الظنون عيون المصادر في الفكر الاسلامي مما صنفه أصحابه بالعربية والفارسية والتركية . وهذه ميزة انفرد بها وان يكن ابن النديم قد شاركه فيها الى حد معلوم .

٤ ـ الكتاب حسن التبويب ييسر بطريقته المعجمية على الباحث سبل الانتفاع منه . وهو كبير الفائدة في الكشف عن نسبة كثير من الكتب إلى أصحابها والتأكد من ذلك . إنه في اعتماده على مبدأ ترتيب الكتب والمصنفات على ذلك النسق يغدو

فهرساً ضحماً شاملاً يعد خير متمم لكتب التراجم ويقدم أفضل عون للباحث .

وقد قدم الحاج خليفة لأصل كتابه الكبير بمقدمة مسهبة تناول فيها العلم وماهيته ومنزلته ونفعه . ثم عرض لعلوم الأمم ثم علوم أهل الاسلام . ثم الحاجة الى التدوين والتأليف ، وما يتعلق من ذلك بالعلماء المصنفين ، وغير ذلك مما يدخل في فلك التأليف والتصنيف ..

وللكتاب عدد من الذيول والمختصرات أجلها شأناً كتاباً :

ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، ألفه إسماعيل باشا البغدادي ، وأمضى في تأليفه زهاء ثلاثين سنة ، ويبلغ في حجمه أكثر من نصف حجم الكتاب الأصلي وهو متمم له .

ويتألف « كشف الظنون » مع ذيله من ثلاثة مجلدات ضخام من القطع الكبير . وهذه طبعة استامبول التي صدرت في عامي ١٩٤١ ، ١٩٤٥ . وثمة طبعات أخرى لهذا الكتاب . وأفضلها إطلاقاً طبعة « لايبزيغ » التي دأب على نشرها المستشرق غوستاف فلوجل الذي نشر فهرست ابن النديم [١] .

---

(١) تمتاز طبعة فلوجل النادرة بمقدمة قيمة باللاتينية والعربية ، =

الأعلام

خير الدين الزركلي شاعر كبير معاصر من دمشق استهواه التأليف في موضوع التراجم فدأب معظم عمره على العمل في كتاب « الأعلام » ، حتى استوى بين يديه مصدراً أساسياً في التراجم العامة ، فكان نتاج أربعين عاماً توّج الزركلي به كتب السلف .

والأعلام معجم شامل لتراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . وقد توافر فيه من المزايا ما لم يتوافر لأي كتاب سبقه في موضوعه ؛ إذ اتيح في هذا العصر للمؤلف من وسائل الاتصال بالشخصيات والاطلاع على المكتبات وصور المخطوطات ما لم يكن متاحاً في سالف العصور . على ان الزركلي نفسه أفاد من عمله في السلك السياسي وندبه للمؤتمرات

= وبتعليقات مسهبة وملاحق كثيرة ، وفهارس جيدة وافية . وقد استغرق هذا العمل منه ثلاثة وعشرين عاماً . وصدرت هذه الطبعة سنة ١٨٥٨ م في لايبزيغ بألمانيا .

الدولية أجل فائدة . فقد أمضى شطراً من حياته مقيماً في دمشق وبيروت وعمان والقدس والقاهرة ، ثم تنقل بين استامبول وحلب وتونس والمغرب ، وقام بزيارة انجلترة وفرنسة والولايات المتحدة وايطاليا واليونان ووقف على الكثير مما احتوته مكتبات العالم من مصادر التراث العربي ، مما عاد بالفضل الكبير على مصنفه القيم. ونحن لا نملك أنفسنا من الإعجاب بمثل هذا العمل الدائب الذي ينوء به الفرد ، ويكفي للتدليل على ذلك بأن نذكر أن ثبت مراجعه استغرق وحده مئة صفحة .

ونجمل أهم الخصائص التي اتسم بها كتاب « الأعلام » :

١ ـ انه يترجم ــ كما يدل عنوانه ــ للأعلام ، أي للبارزين في كل علم وفن من شعراء وأدباء ومؤرخين وعلماء وفقهاء ، ومن سياسيين وقواد وملوك .

٢ ـ انه يترجم فضلاً عن ذلك لأهم المستعربين والمستشرقين وبخاصة من كانت لهم مشاركة في علوم العربية وآدابها أو عرفوا باهتمامهم بالتراث العربي الإسلامي .

٣ ـ انه حوى تراجم المعاصرين والمتأخرين من الأعلام مما

لانقع عليه في كتاب آخر. ولم يدخل المؤلف في كتابه من المعاصرين إلا من أدركته الوفاة واستقرت بذلك ترجمته. ومثل هذا المطلب شاق لأن مادته لا تتوافر في الكتب والمصنفات ، ولكن المؤلف استقاها من صلاته الدائبة بأعلامه الأحياء أو بكاتبة ذويهم أو معارفهم ...

٤ ـ حرص الزركلي على ان يتوّج تراجمه بالكثير من صور الأعلام الذين تعرض لهم وبخاصة من المعاصرين ، وكان يعمد الى إثبات نماذج من خطوط المؤلفين أو مسودات كتاباتهم وأشعارهم أو توقيعاتهم في القديم وفي الحديث كلما وجد الى ذلك سبيلاً . وقد بلغ عدد هذه النماذج (الكليشات) في كتابه ١٥٣٦ نموذجاً .

٥ ـ إنه التزم في تأريخ أعلامه إيراد سنتي المولد والوفاة جامعاً بين التقويمين الهجري والميلادي . وهذه مزية لم تتوافر في كتاب قبله .

٦ ـ توخى الزركلي في تراجمه الإيجاز والتركيز ولم يفسح المجال فيها لفضول القول مما نعهده لدى القدماء أحياناً ؛ فهو ينفي عن تراجم أعلامه كل ما يتصل بهم من أخبار وأشعار وما إلى ذلك . والترجمة لديه تعريف مركز لا يتجاوز أسطراً قليلة

تتضمن مولد صاحبها ووفاته واسمه الكامل وأبرز ما اشتهر به وأهم مصنفاته . وهذا المبدأ الذي توخاه المؤلف في التزام التركيز ونفي فضول القول عاد بالخير على كتابه ومكنه من استيعاب أكبر عدد ممكن من التراجم .

٧ ـ امتاز « الأعلام » بالحواشي القيمة التي ذيل بها الزركلي تراجمه ؛ فهي تكمل تراجمه الموجزة وتشير الى أهم المصادر التي يستطيع الباحث الرجوع إليها اذا رغب في المزيد . وكثيراً ما تفوق هذ الحواشي في قيمتها الترجمة المثبتة نفسها .

وقد رتب الزركلي مادته الغزيرة التي امتدت خلال بضعة عشر قرناً على حروف المعجم مما جعل الإفادة منه يسيرة المنال . وجعل الاسم الأول في العلم هو العمدة ؛ فالمتنبي مثلاً يستخرج في « أحمد بن الحسين » . إلا أن الزركلي توخى المزيد من التيسير على الباحث الناشيء الذي قد لا يعرف الاسم الأول للعلم لاشتهاره بكنيته أو لقبه من مثل أبي العلاء أو الجاحظ ، فهو ينظر عندئذ في « أبي العلاء » فيعطيه المؤلف اسمه : « احمد » ويرشده بذلك إلى موضع ترجمته من الكتاب . وكذلك بوسع الباحث أن يطلب « الجاحظ » في حرف الجيم وعندئذ يحيله

المؤلف على موضعه الأصلي وهو حرف العين بعد أن يزوده باسمه وهو « عمرو بن بحر » .

وقد ارتأى الزركلي بحق أن يغفل صدور الأعلام المبدوءة بـ (ابن ، أخو ، أبو) لكثرتها البالغة ؛ فأبو فراس في حرف الفاء وابن النديم في حرف النون .. الخ .

وصدر « الأعلام » بمصر خلال ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩ في طبعته الثانية المزيدة التي استغرقت ١٠ أجزاء ، احتوى آخر جزء منها المستدرك من الأعلام وترجمة المؤلف وثبتاً بالمراجع واللوحات [١] .

---

(١) صدر « الأعلام » في طبعته الأولى سنة ١٩٢٧ وكانت مقتصرة على ٣ أجزاء وقد وعد المؤلف في آخر الجزء العاشر بأنه في سبيل إصدار الملحق الأول للأعلام .

الفصل الرابع

* * *

كتب اللغة

جمع اللغة

ظلت لغة العرب دائرة على ألسنة الناطقين بها حتى انقضاء القرن الأول الهجري دون ان يقيض لها أن تدون في رسائل أو مصنفات أو معاجم ، شأنها في ذلك شأن سائر أوجه النشاط . فكان مستهل العصر العباسي بداية حركة التدوين الواسعة التي انطلقت على نحو رائع وشملت مختلف ضروب النتاج العلمي والأدبي ؛ في الشعر واللغة والتاريخ والمغازي والسيرة والتفسير والحديث .. وقد سار تدوين هذه المعارف على صعيد واحد وفي خلال أوقات متقاربة .

وكان الحافز على ذلك كله أول الأمر خدمة القرآن والحديث وإعلاء شأن علوم الدين . ولكن الأمر لم يلبث أن صار غاية بعد أن كان وسيلة . فأخذ العلماء يطلبون تلك العلوم والمعارف لذاتها . وقد أوضح اللغويون العرب هذا الأمر ومنهم الأزهري صاحب « تهذيب اللغة » فقال :

« نزل القرآن الكريم والمخاطبون به قوم عرب أولو بيان

فاضل وفهم بارع .. فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه ، ويفهمون فنون نظامه ، ولا يحتاجون الى تعلم مشكله وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين . وبيّن النبي ﷺ للمخاطبين من أصحابه ما عسى الحاجة اليه من معرفة بيان لمجمل الكتاب وغامضه ومتشابهه .. فاستغنوا بذلك عما نحن اليه محتاجون من معرفة لغة العرب والتبحر فيها والاجتهاد في تعلم العربية الصحيحة التي بها نزل الكتاب ... وقال الشافعي : إن تعلم العربية التي بها يتوصل الى تعلم ما به تجري الصلاة من تنزيل وذكر فرض على عامة المسلمين . وان على الخاصة — التي تقوم بكفاية العامة فيها يحتاجون اليه لدينهم — الاجتهاد في تعلم لسان العرب ولغاتها التي بها تمام التوصل الى معرفة ما في الكتاب والسنن والآثار » .

وكان طبيعياً في بداية الأمر أن يشمر العلماء لجمع مفردات اللغة بدأب كبير يتفق مع جلال الغاية واتساع قاعدة اللسان العربي . وقد جنحوا في سبيل ذلك للخروج الى البادية حيث ما زالت اللغة تحتفظ بسلامتها ونقائها . وكانت تلك الحركة الناشطة أجلّ ما حظيت به العربية من جهد وعناية . فقد كان العلماء يلازمون الأعراب الأقحاح ويتنافسون في السماع منهم ،

وفي تلقف ما يتفوهون به من ألفاظ وأشعار وأخبار وأمثال . .
وبذلك غدا هذا المصدر الحي ركناً أساسياً وهاماً في حركة تدوين
اللغة يضاف الى المصدر العمدة في هذا المجال وهو القرآن .

وكان من الطبيعي في مرحلة ابتدائية كهذه أن تتسم حركة جمع اللغة بالعفوية ، وأن يجري التدوين خلالها بعيداً عن التنسيق أو الترتيب دونما قاعدة واضحة أو تخطيط مسبق ، على غرار ما كانت عليه حركة جمع الشعر أيضاً . فقد كانت الغاية متجهة الى لمّ المتفرق وتجميع المتناثر في محاولة بعيدة المدى في حركة رصد اللغة واستيعابها .

ومما يؤسف له أن كثيراً من محاولات أولئك العلماء الرواد لم يصل الينا ، فبقي أصحابها الجنود المجهولين الذين وضعوا اللبنة الأولى في أساس صرح الدراسات اللغوية الوافية عند العرب . وكان أكثر هـذه الجهود الفردية الأولى محدود النطاق جزئي الطابع ، صدر في شكل مجموعات صغيرة ورسائل متفرقة . ولو رجعنا الى كتاب الفهرست لابن النديم او غيره من المصنفات في العلوم والتراجم لوجدنا في أخبار اللغويين والنحويين كتباً كثيرة متشابهة الأسماء تحمل عنوان : « خَلق الإنسان ، والخيل ، والإبل

والأنواء ، والنبات ، والشجر ، والوحوش ، والسلاح . . » ، كما نجد الى جانب هذه الرسائل الخاصة أو الكتب الجزئية كتباً أخرى في الغريبين ، غريب القرآن وغريب الحديث وفي نوادر اللغة وأضدادها . .

وبوسعنا أن نتبين في صدد جمع اللغة العربية وتدوينها مرحلتين أساسيتين :

١ ـ مرحلة رصد اللغة وجمعها واستيعابها وتسجيلها .

٢ ـ مرحلة تنسيق ما دوّن منها وتصنيفه وتبويبه .

على أن هاتين المرحلتين لم تكونا متعاقبتين بل كانتا في كثير من الأحيان متصاحبتين متداخلتين . وغالباً مانجد فئة من المؤلفين بعينها قد تصدت للتأليف في مختلف ضروب هذه الكتب كأبي زيد والأصمعي وقطرب والنضر بن شميل والأخفش ..

ثم ما لبثت مرحلة الجمع والتدوين أن أخذت في الانحسار بعد حين ، وبدأت كتب اللغة تتطور من البساطة الى التعقيد ، فظهرت كتب كثيرة في اللغة والنحو تتسم بالشمول لابن السكيت وسيبويه والأخفش والجرمي والمازني . . كما ظهرت في مرحلة

تالية مصنفات لغوية تتسم بالنضج وتنم على ارتقاء كبير في صناعة التأليف االغوي ، سواء في ذلك المعاجم العديدة المتنوعة كجمهرة اللغة لابن دريد وتهذيب اللغة للأزهري والمحكم لابن سيدة . . أو الدراسات الكثيرة المبتكرة والبحوث الوافية المتعمقة ، مثل كتاب الصاحبي في اللغـة لابن فارس والخصائص لابن جني ، وفقه اللغة للثعالبي ..

كتب الغريبين :

وفي طليعة ما وصل الينا من كتب اللغة في تلك المرحلة المبكرة ما كان متصلاً بالقرآن والحديث ، وتعرف بكتب الغريبين أي غريب القرآن وغريب الحديث .

يعزى أول كتاب في غريب القرآن الى الصحابي عبد الله ابن عباس المتوفى سنة ٦٨ هـ [١] ، ثم تعاقبت كتب كثيرة بعد ذلك في غريب القرآن للأصمعي وأبي عبيدة وابن سلام وثعلب وكثيرين غير هؤلاء . ولكن جميع هذه الكتب قد ضاعت ولم يصل الينا من تلك الفئة المتقدمة سوى كتاب ابن قتيبة « غريب

(١) انظر : المعجم العربي ، حسين نصار ١ : ٣٩ ، وبروكلمان ١ : ٣٣

القرآن » كذلك توالت كتب كثيرة أخرى بعد كتب ابن قتيبة في الموضوع نفسه[1] .

أما كتب غريب الحديث فقد تألفت بعد كتب غريب القرآن ، وكان ذلك متفقاً مع مرحلة تدوين الحديث نفسه التي تأخرت عن مرحلة جمع القرآن المبكرة وتسجيله في المصاحف . ويعزو بعضهم أول كتاب في هذا الموضوع الى أبي عبيدة معمر ابن المثنى . والذين ألفوا في غريب الحديث أيضاً كثيرون منهم النضر بن الشميل وأبو عمر الشيباني وقطرب والأصمعي وأبو زيد وابن الأعرابي وابن قتيبه والمبرد وثعلب . .

مما يجدر قوله ان أكثر كتب الغريبين هذه كانت كتباً لغوية في الدرجة الأولى كما كان اصحابها لغويين من الطراز الأول. غير أن شأنها كان كشأن سائر كتب اللغـة الأولى من حيث افتقارها الى التبويب . إذ لم تكن الكتب التي الفت في القرن الثاني وأحياناً حتى أوائل القرن الثالث تسير على نهج معلوم ولا تبويب مرسوم .

(١) المعجم العربي ، حسين نصار ١ : ٥٠ .

كتب النوادر

وفي طليعة ما وصل الينا من تلك المحاولات الرائدة خلال المرحلة الأولى من حركة جمع اللغة زمرة من الكتب تحمل اسم النوادر [١] . وقد شاع التأليف في النوادر على الأيام واستمر في ازدياد واطراد طوال قرن من الزمان ، أي الى أواسط القرن الثالث من الهجرة . ولا نكاد نجد عالماً من علماء اللغة ورواتها في تلك الفترة لم يضع كتاباً في النوادر ، من مثل أبي زيد الانصاري وأبي مسحل الأعرابي وقطرب وأبي عمرو الشيباني وأبي علي القالي . . حتى ان عدد هذه الكتب يقدر بأكثر من أربعين [٢] .

وأغلب الظن أن المدلول الضيق لكلمة النوادر أخذ ينحسر عن اللفظ حتى بات يراد به مجرد الألفاظ اللغوية الفصيحة بصورة

---

(١) اول من ينسب اليه كتاب في النوادر هو أبو عمرو بن العلاء شيخ نحاة البصرة ولغوييها .

(٢) انظر كتاب « النوادر » لأبي مسحل الأعرابي ، مقدمة المحقق عزة حسن ١ : ٢٦ .

عامة . فثمة كتب عديدة في النوادر لم يكن دأب اللغويين فيها مقصوراً على هـذا النمط من الألفاظ الغريبة ، ولم يكن ذلك ليمنعهم من إيراد الفصيح والمشهور من اللغة أيضاً . وكأن القصد معرفة نسبة الشاذ والنـادر الى الفصيح المشهور ، ومدى ندرته وشذوذه ومعرفة معناه وموضع استعماله .

كما ألفت في الوقت نفسه الى جانب كتب النوادر كتب في الفصيح والجيد من اللغة مثل « الفصيح » لثعلب ، و «إصلاح المنطق » لابن السكيت . .

والحقيقة أنه لدى المقارنة بين هذين النوعين من الكتب في النادر والمشهور لانجد فرقاً كبيراً بينهما على الرغم من اختلاف الغاية التي رمى اليها الرواة والعلماء في تدوينهم مثل هذه الكتب[١] ومن العجيب أننا عند التحري والتدقيق نجد أن كتب النوادر تفيض بالفصيح من ألفاظ اللغة وان كتب الفصيح والجيد مطوية على كثير من نوادر اللغة وغرائبها أيضاً .

---

(١) انظر كتاب « النوادر » لأبي مسحل الأعرابي ، مقدمة المحقق عزة حسن ١ : ٢٣ .

ومن كتب النوادر المبكرة ما ألفه أيضاً أبو عمرو بن العلاء ثم يونس بن حبيب والكسائي وقطرب وأبو عمرو الشيباني والأصمعي وأبو عبيدة والفراء والأخفش وابن الاعرابي وابن السكيت وابن قتيبة وثعلب ..

كتب الهمز :

ذلك اللون من التأليف الذي تتمثل فيه مرحلة الجمع العفوي للغة كانت تصحبه في الوقت نفسه مرحلة جمع أخرى تتسم بشيء من التنسيق ؛ فالمرحلتان كانتا في الواقع وجهين لحركة واحدة ، حتى إننا نرى شخصاً بعينه كأبي زيد الانصاري يؤلف كتاباً في النوادر دون أن تنسلك مادته في نسق واضح ، ثم يؤلف في الوقت نفسه كتاباً اسمه « الهمز » [1] يقتصر فيه على ذكر

(١) يبدو أن كتباً في الهمز ألفت قبل كتاب أبي زيد ؛ فقد جاء في «مراتب النحويين» لأبي الطيب اللغوي أن « عبد الله بن أبي اسحق تكلم في الهمز حتى عمل فيه كتاب مما أملاه » ص ١٢ ولعله من أقدم ما كتب في الهمز لأن ابن اسحق متقدم ، وكانت وفاته في حدود ١٣٧ هـ . على أن حسين نصار يرى في كتابه « المعجم العربي » ١ : ١١٦ أن من أول اللغويين الذين ألفوا في الهمز أيضاً قطرب المتوفى ٢٠٦ هـ .

الـكلمات المهموزة وشرحها ، وكتاب الهمز هذا رسالة في اللغة لا تتعدى صفحاتها الثلاثين . وقد شغل حرف الهمزة اللغويين والنحويين ولقوا منه عنتاً كبيراً . والذين لم يخصوه بكتاب أفردوا له في كتبهم فصولاً مسهبة .

وهذا الجمع يمثل خطوة الى الأمام ، لأنه محاولة لتصنيف الأشباه والنظائر برغم أنه يفتقر الى مزيد من التنظيم . فأبو زيد مثلاً لا يراعي الترتيب الهجائي في فصول كتاب الهمز ، كما أن ألفاظه المهموزة ضمن الباب ليست مرتبة بدقة ؛ كأن تتوالى على هذا النحو : بسأ ـ برأ ـ بدأ ـ بكأ ـ بذأ .

وهذه الجهود على كل حال خطوة هامة في طريق تأليف المعاجم اللغوية التي تفسر معاني الألفاظ التي يطلبها الباحث .

وثمة لون آخر من كتب اللغة يهتم بناحية معينة من الألفاظ التي تتسم بطابع معين من مثل كتب الأضداد .

كتب الحيوان :

كذلك نجد نمطاً آخر من هذه الرسائل اللغوية كان

الأساس الذي ارتكزت إليه بعد ذلك معاجم المعاني وهي التي تقدم لنا لفظاً أو عدداً من الألفاظ لمعنى يتراوح في ذهننا دون أن يكون لدينا ما يقابله . وكثير من هذه الرسائل اللغوية صدر أيضاً في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث وكان أصحابها من الاعلام في اللغة والرواية أيضاً . وقد كان لأبي زيد الانصاري كتاب المطر وكتاب اللبأ واللبن ، كما كان للأصمعي عدد أكبر من هذه الرسائل التي ألفها في اللغة مثل كتاب الإبل وكتاب الخيل وكتاب الشاء وكتاب أسماء الوحوش وصفاتها وكتاب النبات والشجر ..

وقد نال الحيوان عناية كبيرة من اللغويين تضاهي العناية التي لاقاها عند العرب أنفسهم . فألفوا في أجناسه المختلفة ، وأسمائه ، وصفاته ، وأعضائه وما تعلق به من أدواء وغير ذلك . ولكن القسط الاكبر من الاهتمام كان موجهاً الى الانسان والخيل والابل ، ثم الى الحشرات [1] .

(١) لم تكن العرب تطلق لفظ الحشرات بمعناه العلمي المعروف اليوم ولذلك تناول اللغويين تحت هـذا الاسم الحشرات والزواحف والهوام ، مثل اليربوع والضب والقنفذ والفأرة والجرذ والحرباء والثعلب والهر والأرنب . .

في الخيل مثلاً ألف النضر بن شميل ، وأبو عمرو الشيباني وقطرب وأبو عبيدة والأصمعي وابن الاعرابي وابن قتيبة .. ثم الأنباري وولده وأبو علي القالي .. الخ .

كتاب النوادر

يعد كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري أقدم ما وصل الينا في موضوعه . ومؤلفه إمام في رواية اللغة وعلم كبير من أعلام العربية الأوائل خلال القرن الثاني الهجري . كان استاذاً لسيبويه . وقد قيل : « الأصمعي أحفظ الناس ، وأبو عبيدة ، أجمعهم ، وأبو زيد أوثقهم » . وكان الأصمعي يجله ويجلس بين يديه ويقر برياسته .

وكتاب أبي زيد « النوادر في اللغة » واحد من كتب كثيرة ألفها في اللغة [1] . ويبدو للمتأمل فيه أنه ليس من تأليفه

---

(١) لأبي زيد الأنصاري من الكتب في اللغة : القوس والترس ، القضيب ، الابل ، الوحوش ، اللبن ، خلق الانسان ، المطر ، المياه ، اللغات ، الجمع والتثنية ، فعلت وأفعلت ، الهمز ..

كاملاً وإنما زيد عليه في الغالب ممن جاء بعده من تلاميذه أو من أتوا بعد تلاميذه ، وكثيراً ما نرى في أسانيد الكتاب ما يشير الى إضافات أتت متأخرة عن عصر أبي زيد ، من مثل ما يرويه الأخفش الأصغر عن المبرد وعن السجستاني عن أبي زيد صاحب الكتاب ..

ونوادر أبي زيد كتاب معتدل الحجم شأن كثير من كتب اللغة في هـذه المرحلة المبكرة نسبياً ، ولكنه غزير المادة اللغوية ، وينطوي على قدر كبير من الالفاظ الغريبة كما يشير إلى ذلك عنوانه .

والكتاب في طريقته لا يخضع لنسق محدد أو نهج معلوم؛ فهو لا يخرج عن أمالٍ عامة في اللغـة وغريبها يوردها أبو زيد ايراداً عفويا دون أن يضعها في اطار من نظام أو تبويب . ومن أشق الأمور على القارىء أن يطلب مادة لغوية معينة في هـذا الكتاب . فأبو زيد يورد في الغالب نصاً من الشعر القديم أو من الرجز ثم يتناول بعض ألفاظـه الغريبة بالشرح ويحرص في صدر ذلك على إيراد جوانب الاشتقاق الأخرى من الكلمة وما يتفرع عن ذلك من معان . وقـد يعمد المؤلف الى ذكر

ما كان لدى بعض قبائل العرب من لغات خاصة في الكلام أو من لهجاتهم .

ومما يسترعي الانتباه أن نصوص الرجز تشكل جانباً هاماً من مادة الكتاب ، وهذا طبيعي في مثل هذا النمط من التأليف اللغوي ، وقد عرف عن اللغويين القدامى إيثارهم هذا الفن الذي ينطوي على مادة لغوية غزيرة تتسم في كثيرة من الاحيان بالغرابة لإيغال الرجّاز في البداوة ، فكانت كتبهم تتضمن الكثير من اراجيز العجّاج ورؤبة وأبي النجم العجلي وغيرهم ، ويجدون في ذلك ما يرضي نزوعهم الى اقتناص شوارد اللغة وغرائبها .

ونجتزىء من كتاب النوادر هذا المقطع الذي يعد نموذجاً لسائر محتوى الكتاب : « قال أبو زيد : ويقال : جئت من القوم أي من عندهم وتقول : شَغَبتُ القوم أشغَبُهم شَغْباً ، وشغبت عليهم . وتقول : شبعت خبزاً ولحماً ، ورويت ماء ولبناً . ويقال : لبِث الرجل يلبَث لَبْثاً ولباثاً ، قال أبو حاتم : لَباثة ولِبثة ولم يَحك لِباثاً ولا لُبثة . قال أبو الحسن : وحكى لنا في غير هذا الموضع لَبِثت لبثاً فأنا لَبِث ، كقولك فَرِقت فَرَقاً فأنا فَرِق ، وبَطِرت بَطَراً فأنا بَطِر .. ويقال : رحت بني

فلان أرُوحهم رَواحاً ، اذا رحت إليهم أو رحت من عندم ..
ويقال جعل القوم حبولهم على غواربهم ؛ الحبول واحدها حبل،
وهي الارسان ، والغوارب جمع غارب وهي أعالي كل شيء ».

وفي مكان آخر من نوادر أبي زيد نجد قوله : « ..ويقال رجل وضيع في قومه بيّن الضّعة . والضعة فتح وكسر ، لم يذكر أبو حاتم الضعة بالفتح . ورفيع بيّن الرفعة ، وقد رَفُع ووَضُع ضَعة ورِفعة . ويقال : بعير جَروز ، وقد جَرُز جرازة إذا اشتد اكله .. وسيف جراز اذا استوفى الضريبة ، والأرض الجُرُز التي كأنها تأكل نبتها .. »

وقد صدر كتاب النوادر لابى زيد في بيروت مذيلاً بتعليقات بقلم سعيد الخوري الشرتوني (١) .

النوادر في اللغة

نوادر أبي زيد ونوادر أبي مسحل صنوان ، وان كانت شهرة أبي زيد في نوادره طاغية . وأبو مسحل أعرابي لا نعرف

(١) صدر النوادر سنة ١٨٩٤ عن المطبعة الكاثوليكية في حروف مشكولة

عنه الكثير ، عاش زمن المأمون وأخذ عن الكسائي ، كما أخذ عنه ثعلب ؛ فهو معاصر لأبي زيد والأصمعي أو متأخر عنهما قليلاً . ولكن قل من يذكره في كتب القدماء ، ولذا لم يشتهر أمره ، وأكثر كتابه هذا مروي على تلميذه ثعلب .

ومادة الكتاب لا تختلف في جوهرها عن مادة نوادر أبي زيد ؛ حتى إننا نجد مواد لغوية عديدة متشابهة بينهما من نحو مَجَل ونفِط .. ولكن الفرق الملاحظ بينهما أن أبا زيد كثيراً ما يورد نصوص الشعر والرجز ليفسر غريبها أو نادرها ، على حين يعمد أبو مسحل إلى ذكر الألفاظ النادرة ومشتقاتها ثم يؤيد ذلك في بعض الأحيان بشواهد من الشعر . ومن هنا كانت النصوص الشعرية في نوادر أبي مسحل أقل منها في نوادر أبي زيد ، وكانت المادة اللغوية في مقابل ذلك أغزر .

ويلاحظ أيضاً على مادة أبي مسحل الأعرابي أنها أكثر إسهاباً وتقصياً وطلباً للترادف من الالفاظ من نحو قوله :

« يقال ذهب دم فلان فِرْغاً وفَرْغاً ، وطِلقاً ودَلهاً ولَغاً وظَلَفاً وظليفاً وبُطلاً وضِماراً وطُلاً — وهو من قولهم طُلَّ

دمه – وهَدَراً وطَلَفاً وطَليفاً وجُباراً . . » ونقع مثلاً على نموذج آخر في نوادر أبي مسحل ومنه : « يقال كلأْت الرجل بحقي إذا لزمته به وكلأْته بالعصا إذا ضربته ، وكلأْت القوم إذا حرستهم ، وكلأت الى القوم اذا تقدمت إليهم ، وكلأْت في الطعام وأكلأْت وكلّأت وذلك إذا أسلفت فيه » .

وقد صدر كتاب « النوادر في اللغة » لأبي مسحل الاعرابي في دمشق عن المجمع العلمي العربي في تحقيق جيد وعناية فائقة (١) .

كتاب الاضداد

صاحب « الاضداد » أبو بكر بن الانباري الذي روى شرح المفضليات عن أبيه أبي محمد الانباري . كان أشهر تلاميذ ثعلب ومن أفذاذ علماء الكوفة في اللغة والنحو والقراءات والادب والتفسير .

---

(١) نشر الكتاب الدكتور عزة حسن عن مخطوطة وحيدة في استامبول وقدم له بمقدمة جيدة وذيّله بفهارس قيمة ووافية ، وهو في جزءين .

وقد شاع التأليف في هذا اللون من كتب اللغة قبل عصر ابن الانباري . ومن العلماء الكبار الذين ألفوا في الاضداد قطرب والاصمعي والسجستاني وابن السكيت . كما ألف أبو الطيب اللغوي بعد ذلك كتاباً أوفى في الاضداد .

يعرّض ابن الانباري في خطبة كتابه بأهل البدع والزيغ والازراء على العرب ، ويقصد بهم الشعوبيين ، لأنهم كانوا يعيبون على لغة العرب اشتمالها على الاضداد وأن ذلك منهم لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم وكثرة الالتباس في محاوراتهم . وهو يدحض ذلك الافتراء بأن الكلمة مرتبطة بسياق الكلام ، وأن معناها يتعين في موقعها منه . فكلمة (جلل) ذات معنيين أحدهما : يسير ، كقول الشاعر :

كل شيء ما خلا الموتَ جللْ
والفتى يسعى ويلهيه الأمل

والمعنى الآخر : عظيم ، كقول الشاعر :

فلئن عفوت لأعفونْ جللاً
ولئن سطوت لأُوهِنَنْ عظمي

فيوضح ابن الأنباري ان العقل هو الذي يميز المعنى المراد ، لأن الإنسان لا يفخر بصفحه عن ذنب حقير ، وبذلك يزول اللبس المزعوم .

ولا يبدو لنا ان ابن الانباري قد اتبع في كتابه منهجاً معلوماً . فهو يسوق اضداده دونما نسق ولا نظام ، وذلك على غرار ما عهدناه في كتاب « النوادر » لابي زيد الانصاري .

ومن أمثلة ما يورده المؤلف من ألفاظ الاضداد قوله : « وثب : حرف من الاضداد ، يقال : وثب الرجل اذا نهض وطفَر من موضع الى موضع . وحِمير تقول وثب الرجل ، إذا قعد . وقال الاصمعي وغيره : دخل رجل على ملك من ملوك حمير وكان الملك جالساً في موضع مشرف فارتقى اليه . فقال له الملك : ثِب ، يريد اجلس . فطفر فسقط ، فاندقت عنقه . فقال الملك : (من دخل ظَفارِ حمّر) أي تكلم بلسان حمير ».

ومن ذلك أيضاً : « والسليم حرف من الاضداد . يقال سليم للسالم وسليم للمدوغ . جاء رجل الى النبي فقال : ان في الحي سليما . أي ملدوغاً » . . « والصريم من الاضداد . يقال

لليل صريم وللنهار صريم ، لأن كل واحـد منهما يتصرم من صاحبه » .. « وعَنوة من الأضداد ، يقال أخذ الشيء عَنوة اذا أخذه غصباً وغلبة ، وأخذه عنوة إذا أخذه بمحبة ورضى من المأخوذ منه » .

ويوضح ابن الأنباري في مقدمة كتابه أن معنى الأضداد لا يقتصر على الكلمات المتضادة في المعنى بل يشمل أيضاً اختلاف معنيين أو تباينهما في لفظ واحـد ، ويطلق عليه اسم الحروف المشبهه للأضداد :

« ومن الحروف المشبهة للأضداد : الكأس . قال ابن السكيت : قال أبو عبيدة : يقـال للاناء كأس وللشراب الذي فيه كأس . . ويقال أحوى للأخضر من النبات الطري الريان من الماء ، ويقال : أحوى للنبات الذي اسود وجف .. » .

طبع « الأضداد عدداً من المرات ، آخرها طبعة مترفة في الكويت عام ١٩٦٠[١] .

---

(١) نشر المستشرق هوتسما كتاب الاضداد أول مرة في ليدن سنة ١٨٨١ ثم اعيد طبعه بمصر سنة سنة ١٩٠٧ دون تحقيق أو ضبط . ثم كانت طبعة الكويت المتقنة بتحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم .

الاضداد في كلام العرب

كتاب « الأضداد » أو كتاب « الأضداد في كلام العرب » كما أسماه مؤلفه على الأرجح حلقة أخرى في سلسلة الكتب التي ألفت في موضوع الاضداد . وقد ألفه أبو الطيب اللغوي أحد النحاة واللغويين البارزين في القرن الرابع . جذبه بلاط سيف الدولة في حلب فعاش فيها بقية حياته . ومن مصنفاته الكثيرة « مراتب النحويين » و « الإبدال » .

ويعد اضداد أبي الطيب خطوة إلى الامام في هذا الموضوع ولا ريب في أنه أفاد من كتب الأضداد قبله . فهو يأخذ عن قطرب وأبي حاتم السجستاني والأصمعي بكثرة ، على حين لانجد في كتابه أثراً لأقوال ابن الانباري مما يدل على أنه لم يطلع على كتابه في الاضداد. ومع ذلك اعتمد أبو الطيب على جهود أسلافه في هذا المجال وتوافرت في كتابه خصائص متعددة ، منها :

١ ـ انه غزير المادة من حيث احتواؤه عدداً وافياً من ألفاظ الاضداد .

٢ - انه معرض حافل للشواهد من أشعار العرب وأراجيزهم ومن آيات القرآن وأحاديث الرسول ومن أقوال الفصحاء الثقات من العرب مع شرح لغرائبها ومعانيها وتحقيق لرواياتها المختلفة، وتصويب لما وقع فيها من أوهام وأغاليط . ولذلك كان أوسع حجماً من اضداد ابن الانباري وأغنى مادة .

٣ - ان ألفاظ الأضداد في الكتاب مرتبة على حروف الهجاء . فكتابه أشبه بمعجم لهذا النوع من الكلمات . وبذلك يكون كتاب أبي الطيب أول كتاب يتبع فيه مؤلفه هذه الطريقة . وكانت سائر الكتب قبله وفيها اضداد ابن الانباري تفتقر الى مثل هذا النسق ولا تخضع لمنهج واضح .

غير أن أبا الطيب لا يراعي ترتيب الالفاظ داخل كل باب، فلا يلتزم الدقة في ثواني الالفاظ كأن يبدأ باب الجيم بلفظ « جلل » ثم « جون » ثم « جعد » وبعد ذلك الجرموز والجديد والجحجاح والجمهرة . . وقد وجدنا أيضاً أكثر المصنفات في التراجم لم تكن عصرئذ تولي هذا الترتيب التفصيلي اهتماماً . حتى ان بعض المعاجم التي تألفت في تلك الفترة كانت تنطوي على مثل هذا العيب .

نشر كتاب « الاضداد في كلام العرب » في دمشق سنة ١٩٦٣ في سلسلة مطبوعات المجمع العلمي العربي [1] .

اصلاح المنطق

يعقوب بن السكيت لغوي كبير من علماء النصف الأول من القرن الثالث أخذ اللغة والنحو عن عدد من أئمة الكوفة والبصرة . ومؤلفات ابن السكيت أكثر من عشرين غير أن شهرته تقوم على كتابين اثنين : « كتاب الألفاظ » و « إصلاح المنطق » [2] .

أما « إصلاح المنطق » فكانت له منزلة خاصة عند اللغويين الأقدمين . وقد أشادوا به وعرفوا فضله وفيه يقول المبرد : « ما رأيت للبغدادين أحسن من كتاب يعقوب بن السكيت

(١) تولى تحقيق الكتاب ونشره الدكتور عزة حسن وأصدره في جزءين وهو مصدر بمقدمة مفيدة ومذيل بفهارس حسنة . وقد ضبطت مادته ضبطاً جيداً وشرحت بتعليقات وافية .

(٢) من كتبه أيضاً « الاضداد » و « القلب والابدال » وقد نشرا في بيروت .

في المنطق » . وقد حظي الكتاب باهتمام علماء كثيرين دأبوا في شرح شواهده وترتيبه وتلخيصه وتهذيبه والزيادة عليه [1] .

وقد روى « اصلاح المنطق » — كما يبدو من مستهله — أبو محمد الأنباري من أفذاذ علماء الكوفة . ولسنا نقع فيه على مقدمة تفصح عن نية ابن السكيت وقصده من تأليف كتابه . وأغلب الظن أنه شأن أمثاله في تلك الحقبة لم يكن يعنى بمثل هذا الامر .

قصد ابن السكيت في كتابه هذا الى إصلاح المنطق ، وأراد به أن يعالج داء كان استشرى في لغة العرب والمستعربة ، وهو داء اللحن والخطأ في الكلام . فعمد الى أن يؤلف كتابه ويضمنه أبواباً يمكن بها ضبط جمهرة من لغة العرب ، والتمييز بين ما يتشابه نطقه منها ، وما يمكن أن يؤدي من هذه الالفاظ الى الاختلاف واللبس نتيجة هذا التشابه . وقد اشتمل الكتاب على النواحي التالية :

---

(١) منهم أبو العباس المريسي ، وأبو منصور الازهري ، وأبو زكريا التبريزي ، وأبو البقاء العكبري .. وعلماء آخرون .. انظر مقدمة « اصلاح المنطق » بقلم عبد السلام هارون .

الألفاظ المتفقة في الوزن الواحد مع اختلاف المعنى .

الألفاظ المختلفة في الوزن مع اتفاق المعنى .

ما فيه لغتان أو أكثر .

ما يهمز وما لا يهمز .

ما تغلط فيه العامة .

ومثل هـذه الموضوعات وسواها تتفرع في الكتاب الى أبواب تفصيلية تحمل المقاييس الصرفية عناوين لها ، من مثل ما كان على صيغة فُعله وفِعلة ، وفِعالة وفَعالة بمعنى واحد . أو ما كان من ذلك أو نحوه بمعنى مختلف ..

ومن أمثـلة ما يورده ابن السكيت في الكتاب قوله : « الرّق : ما يكتب فيه ، والرِق من الملك ويقال عبد مرقوق .. والشّق : الصّدع في عود أو حائط أو زجاجة ، والشق نصف الشيء ، والشق أيضاً المشقة ، قال الله تعالى : إلا بشق الأنفس..» ويقول « يقال خَطوة وخُطوة ، وجَرعة وجُرعة ، ونَغبة ونُغبة .. ويقال كِسوة وكُسوة ، وإسوة وأسوة ، ورِشوة ورُشوة ، وقِدوة وقُدوة ، ومِدية ومُديه » .

وفي باب مفعِل ومفعَل يقول : « .. فاذا كان يفعُل مضموم العين آثرت العرب في الاسم والمصدر فتح العين ، قالوا دخل يدخُل مدخَلاً .. إلا أحرفاً من الأسماء ألزموها كسر العين. من ذلك المسجِد والمطلِع والمغرِب والمشرِق والمسقِط والمفرِق والمنبِت ، وقد روى المسكِن والمسكَن ، وسمعت المسجِد والمسجَد والمطلِع والمطلَع » .

وفي باب ما يقال بالهمز مرة وبالواو أخرى يقول « وكّدت العهد توكيداً ، وأكدته تأكيداً . وقد أرّخت الكتاب تأريخاً وورّخته تاريخاً » .

وفي باب ما يُغلط فيه فيُتكلم بالياء وانما هو بالواو يقول : « هجوته فهو مهجو ولا تقل هجيته .. ويقال جلوت الصُّفر اجلوه جلاء ، ولا تقل جليته . وقد جلوت عن البلد فأنا أجلو جلاء . وقد عفوت عن الرجل بالواو لا غير .

وفي باب ما يتكلم فيه بفعلت مما تغلط فيه العامة فيتكلمون بأفعلت ، يقول : « نَعَشه الله يَنعُشه أي رفعه الله ، ومنه سمي النعش نعشاً لارتفاعه ، ولا يقال أنعشه الله » .

ومن هذا القبيل أيضاً قوله : « وهي درع الحديد ، والجمع القليل أدراع فاذا كثرت فهي الدروع . وهو درع المرأة لقميصها والجمع أدراع .. وهو السكين ، قال الكسائي وقد يؤنث . والدلو : الغالب عليها التأنيث وتصغيرها دُليّة ، وقد تذكر . . والفأس مؤنثة وكذلك القَدُوم والقوس والحرب والسلم والسبيل والطريق .

وفي باب ما جاء مثنى يقول ابن السكيت « الملوان : الليل والنهار ، وهما الجديدان . والحجران : الذهب والفضة . والأبيضان : اللبن والماء . والأصفران: الذهب والزعفران ويقال الورس والزعفران. والأحمران : الشراب واللحم . والأصغران : القلب واللسان . والخافقان : المشرق والمغرب لأن الليل والنهار يخفقان فيهما . والمصران : الكوفة البصرة ، وهما العراقان . وقول الله عز وجل (لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يعني مكة والطائف . والرافدان : دجلة والفرات . والأبوان : الأب والأم » .

وعلى هذا الغرار يمضي ابن السكيت في كثير من التتبع والتقصي بحث تغدو المادة اللغوية غزيرة شاملة وتنطوي في الوقت نفسه على كثير من خصائص العربية وأسرارها . ونحن نستشف

من وراء هذه المادة معيناً طيباً استقت منه المعاجم العربية وأفادت منه أجل فائدة .

وابن السكيت حريص في عرض مادته على التركيز والتزام موضوعه ، وقلما كان يستطرد خلاله أو يحيد عنه . وكان يستشهد بالقرآن وبالشعر والرجز كلما وجد إلى ذلك سبيلاً .

ويبدو لنا ابن السكيت أكثر نقلاً عن لغويي الكوفة ونحاتها وأشد اعتماداً على أقوالهم من مثل أبي عمر الشيباني والفراء والكسائي على حين تبدو رواياته عن البصريين كالأصمعي وأبي عبيدة في حدود أضيق .

صدر « اصلاح المنطق » في القاهرة سنة ١٩٤٩ بعد أن توافر على تحقيقه بإتقان أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون [١] .

---

(١) أعيد نشر الكتاب في طبعة ثانية سنة ١٩٥٦ بدار المعارف ، في سلسلة « ذخائر العرب » وتمتاز هذه الطبعة فضلاً عن جودة تحقيقها بضبط حروفها وحسن إخراجها وكثرة فهارسها .

وقد صنف التبريزي كتاباً حول اصلاح المنطق وفي شرحه أسماه « تهذيب إصلاح المنطق » طبع حتى منتصفه بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٥ هـ .

ألف أبو منصور الثعالبي كتابه « فقه اللغـة » في أوائل القرن الخامس الهجري ، وبعد تأليف كتابه المعروف « يتيمة الدهر » كما يشير في خطبة الكتاب . وقد أسماه « فقه اللغـة وسر العربية » .

وكتاب « فقه اللغة » حلقة كبيرة في سلسلة من الكتب اللغوية التي تقدمته . وقد أفاد الثعالبي من تلك الكتب فائدة كبيرة واستمد من فضل أسلافه ما عاد بالخير العميم على كتابه . وقـد أشار المؤلف في خطبة كتابه الى أولئك العلماء وأشـاد بفضلهم فقـال : « وتُركت والادبَ والكتب أنتقي منها وأنتخب ، وأفصّل وأبوّب ، وأنتجع الأئمة ، مثل الخليل والأصمعي وأبي عمرو الشيباني والكسائي والفراء وأبي زيد وأبي عبيدة وأبي عبيد وابن الأعرابي والنضر بن شميل وابن دريد ونفطويه وابن خالويه والأزهري وأبي بكر الخوارزمي وأبي الحسن الجرجاني وأحمـد ابن فارس . . » .

على أننا نخص بالذكر بضعة علماء صنفوا في هذا اللون من التأليف اللغوي ممن تقدموا أبا منصور وكان لهم فضل السبق في هذا المجال . وفي مقدمتهم ابن السكيت في كتابه « الألفاظ » الذي طالما استقى منه اللغويون ونسج على منواله المؤلفون (١) .

وكتب الألفاظ هذه ومنها « كتاب الألفاظ » لابن السكيت و « الالفاظ الكتابية » للهمذاني و « جواهر الالفاظ » لقدامة بن جعفر و « فقه اللغة » للثعالبي .. هي في حقيقة الامر معاجم من نوع خاص ، أو هي معاجم للمعاني ، كما أن المعاجم المعهودة معاجم للألفاظ . ويتميز هذا النوع من التأليف بأنه لا يجنح الى حصر اللغة واستيعاب مفرداتها بقدر ما يسعى الى تصنيفها في مجموعات أو زمر على حسب معانيها المتشابهة ومدلولاتها المتقاربة ،

---

(١) من الغريب ألا يذكر الثعالبي ابن السكيت وكتاب « الألفاظ » في عداد من ذكرهم في مقدمته مع أن كتابه عمدة في هذا النوع من المصنفات . كما أنه لا يذكر مؤلفين آخرين سبقوه أيضاً الى هذا الميدان مثل عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني ، وقدامة بن جعفر . وإن ثمة تشابهاً ملحوظاً في المادة والابواب بين كتاب « الالفاظ الكتابية » للهمذاني وبين كتاب « فقه اللغة » للثعالبي . على أن الثعالبي يروى عن ابن السكيت فيمن يروي عنه من الائمة عن قلة ودون تعيين لاحد من كتبه .

مما ينضوي تحت موضوع واحد مثل: الطول والقصر ، الامراض والادواء ، الاصوات ، وغير ذلك من الموضوعات .

ويمتاز « فقه اللغة » بسداد منهجه وحسن تبويبه ، وهذا أمر عرفناه لدى الثعالبي في يتيمته . فقد جعل كتابه في ثلاثين باباً كبيراً يحمل كل منها عنواناً رئيسياً يتضمن موضوعاً عاماً ، وكل باب ينقسم الى زمرة من الفصول تتفاوت عدداً ؛ فقد تقتصر على بضعة من الفصول وقد تزيد على الستين . وهذه الفصول هي المعاني التي تتفرع من كل موضوع رئيسي .

فالباب الأول في الكتاب طابعه عام جعله مؤلفه « في الكليات » ومن فصوله ما كان في ضروب الحيوان ، وفي النبات والشجر ، وفي الأمكنة وفي الثياب .. الخ ، وهو يستهله بقوله : « كل ما علاك فأظلك فهو سماء . كل أرض مستوية فهي صعيد. كل بناء مربع فهو كعبة . كل بناء عالٍ فهو صرح . كل شيء دب على وجه الأرض فهو دابة . كل شيء من متاع الدنيا فهو عَرَض .. » وفي فصل تالٍ يقول : « كل دابة في جوفها روح فهي نسمة . كل كريمة من النساء والإبل والخيل وغيرها فهي

عقيلة . كل ماله ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترسها فهوسبع . كل طائر له طوق فهو حمام .. » .

وفي باب الأطعمة والأشربة يتناول فصولاً متعددة ، منها في تفصيل أسماء الخمر وصفاتها كأن يقول : « الخمر اسم جامع وأكثر ما سواه صفات : الشَّمول : التي تشمل بريحها القوم ، والرحيق صفوة الخمر التي ليس فيها غش ، الحميّا الشديدة منها ، العُقار التي عاقرت الدن زماناً أي لازمته ، القرقف التي تقرقف شاربها إذا أدمنها أي ترعشه ، الراح التي يرتاح شاربها لها» وعلى هذا الغرار يمضي الثعالبي في تتبع أسماء الخمرة شارحاً إياها ، فيذكر المدامة والقهوة والسلافة الكميت والصهباء . . وفي فصل آخر يتعلق بتقسيم خروج الماء وسيلانه يقول: «من السحاب سح،من الينبوع نبع، من الحجر انبجس ، من النهر فاض ، من السقف وكف ، من القربة سَرَبَ من الإناء رشَح ، من العين انسكب .. » .

وفي باب الأصوات يخص كل نوع من الأصوات بفصل ، من ذلك فصل في الأصوات الخفية ، وآخر في الأصوات الشديدة، ثم في أصوات المرضى ، وأصوات الإبل ، والخيل ، والسباع ، والطيور ، والماء ، والنار ..

وهذه المجموعات اللفظية قد تتمايز في قصدها ، فمنها مايفصّل الأنواع من مثل ما ذكره الثعالبي في أنماط الألبسة أو أصناف الجواهر أو أنواع السلاح ..

ومنها ما نراه يعبر عن المراحل أي تدرّج مدلولات الالفاظ من مثل حالات هطول المطر ، أو أوضاع نظرات العين أو أطوار نمو الظبي أو مراحل عمر الانسان ونحو ذلك . ومع أن هذه الالفاظ تضم بينها مجموعة غير قليلة من المترادفات وأن الثعالبي يشير إلى ذلك أحياناً ويبين أنها صفات كما فعل في مستهل كلامه في الخمرة ، فان الطابع المميز لمادة الكتاب اللغوية يقوم على توخي الدقة في المدلول والتخصيص في المعنى مما يكشف بوضوح عن غنى اللغة العربية بالالفاظ واتساعها وشمولها لادق الفروق في المسميات . وهذا ما دعا الثعالبي إلى ان يردف عنوان كتابه « فقه اللغة » بعنوان ملحق ذي مغزى في خصائص هذه اللغة وهو « سر العربية » .

ونال كتاب الثعالبي شهرة واسعة وطبع مرات كثيرة تتفاوت بين الجودة والرداءة .

المخصص

مؤلف هـذا الكتاب القيم لغوي أندلسي كبير عاش في النصف الاول من القرن الخامس ، وهو أبو الحسن ابن سِيدَه .

والمخصص أجدر الكتب في موضوعه بأن يحمل اسم معجم للمعاني لما اتسم به من تقصٍ لالفاظ العربية واستيعاب لمعظمها ، ولما امتاز به من اطلاع واسع على كل ما أُلف في هذا الموضوع، ولحسن تبويبه وإحكام منهجه .

وان قراءتنـا لخطبة المؤلف التي استهل بها كتابه الضخم لابد أن تنتزع اعجابنا بما دأب عليه هذا العالم من تتبع وإحاطة. فهو يعدد عيون المصادر في اللغة مما صنفه أئمة العربية من قبل وفيهم الخليل والنضر وأبو زيد والاصمعي والفراء وابن السكيت والمبرد وثعلب وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حنيفة الدينوري وأبي حاتم السجستاني وابن الاعرابي وابن قتيبة وابن دريد والقالي.. وبعض كتب هؤلاء العلماء قد ضاع أو تبدد الكثير من أجزائه كما هو شأن كتاب « البارع » للقالي ، والعين للخليل .

ويقوم منهج « المخصص » على الموضوعات شأن سائر الكتب في هذا المجال منذ كتاب « الألفاظ » لابن السكيت. وهو في تبويبه أقرب ما يكون الى كتاب « فقه االغة » للثعالبي. فقد جعله ابن سيده في مجموعة أبواب كبيرة أيضاً أسمى كلاً منها كتاباً ويتفرع كل كتاب الى عدد من الأبواب. ومن الطبيعي ان يحمل كل كتاب عنواناً لموضوع واسع ذي طابع عام من مثل : خلق الإنسان. الغرائز. النساء. اللباس. الطعام. الأمراض. المنازل. السلاح. الخيل. الإبل. الغنم. الوحوش. الحشرات. الطير. الأنواء والسماء والفلك. الدهور والازمنة. الاهوية والرياح والماء، النخيل والنبات، المعادن..

ويمتاز المخصص في هذا التبويب على كتب سابقيه مثل ابن السكيت والهمذاني وقدامة والثعالبي في أن أجزاءه وعناوين أبوابه تتوالى على نسق يراعى الترابط والتدرج في الموضوعات. فهو يبدأ بالانسان ثم غرائزه وما يتصل بعد ذلك به من لباس وطعام وأمراض ومنازل وسلاح، وبعد ذلك ينتقل الى الحيوان وأنواعه .. الخ كما أنه كان يحرص على ان يتدرج داخل كل باب من أبواب كتابه من العام الى الخاص.

وقد أوضح ابن سيده منهجه هذا في خطبة كتابه فقال :

في باب الذكاء والفطنة من كتاب الغرائز :

« غير واحد : ذكي بيّن الذكاء ، والجمع أذكياء وقد ذكا يذكو وذكِيَ ، وأصله التوقد واللهَبان ، ومنه ذُكاء اسم للشمس . صاحب العين : الحفظ ، ضد النسيان ، حفظت الشيء حفظاً ورجل حافظ من قوم حفاظ ، والتحفظ في الكلام والأمور قلة الغفلة كأنه على حذر من السقوط . أبو عبيد : الشهم : الذكي الفؤاد . . صاحب العين : قلب وقّاد ومتوقد ، ماض . أبو عبيد : الفؤاد الأصمع والرأي الأصمع الذكي . ابن السكيت : رجل حديد الفؤاد وحُداد ، حدّ يحِد حِدة وهو حديد والجمع حِداد . أبو عبيد : اللوذعي ، الحديد الفؤاد الفصيح ، عليّ : هو من التلذع وهو التوقد .. ابن السكيت : اليلمعي والالمعي ، الحديد القلب واللسان . صاحب العين : الفطنة الذكاء والجمع فِطَن . ابن دريد : هي الفَطانة والفُطونة . .

وواضح ما في مادة المخصص من تتبع وتقصٍ وحرص على نسبة كل قول الى صاحبه مراعاة من المؤلف للأمانة العلمية . ومن الطبيعي ألا نقع في زحمة تلك الروايات على شيء من أقوال ابن سيده لأنه في صدد مادة لغوية منقولة رواها الشيوخ قبله عن أصولها ومنابعها لدى كلام العرب وأشعارهم .

وقد استهل ابن سيده معجمه بمقدمة تنم على زهو واعتداد وقال فيها :

« وأنا واصف لفضائل هذا الكتاب ، ومعدد لمحاسنه ، ومنبه على ما أودعته من جسيم الفائدة ، ومبين ما بان به من سائر كتب اللغة . . وذاكر ما راعيت فيه من أساليب التحري . . » .

وفي خلال هذه المقدمة يتناول موضوعاً شغل اللغويين قبله وهو أصل اللغة ونشوؤها فيتساءل : « اللغة أمتواطأ عليها أم ملهم إليها . . » .

ثم يقول : « على أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح ، لا وحي ولا توقيف » .

ويعد « المخصص » أوسع معاجم المعاني اطلاقاً وأغزرها مادة . وهو مطبوع في ستة مجلدات كبار [1] .

(١) نشر « المخصص » في مصر أول الأمر ثم اعيدت طباعته تصويراً في بيروت عن المكتب النجاري .

الفصل الخامس

* * *

المعاجم

كتاب العين

الخليل بن أحمد الفراهيدي أحد أفذاذ العرب الذين قلما جاد الدهر بمثلهم . وما من ريب في انه سابق لعصره ، إذ استطاع وهو من رجال القرن الثاني ، والحضارة العربية في فجرها ، أن يقدم بفكره الخلاق اكتشافات رائدة في ميادين شتى ، فكان أول من ابتدع فكرة المعجم في لغه العرب ، وأول من حصر أشعار العرب في أوزان عروضية اهتدى اليها ، كما انه عمد الى زمّ أصناف النغم وحصر أنواع اللحون في الموسيقا .

والحق أن عبقرية الخليل في معجمه « العين » تتجلى في أنه انطلق فيه من بنات أفكاره فلم ينسجه على منوال ولم ينح فيه على مثال ، حتى إن كثيراً من الرسائل والمصنفات في اللغة لم يكن قد ألف في عصره .

وأصل فكرة الخليل أنه طمح الى حصر ألفاظ العربية واستيعابها في مصنف شامل . ورأى أن ذلك ممكن من الناحية النظرية على الأقل . فحروف العربية تتألف من ٢٩ حرفاً لا تخرج

عنها كلمة . وهي تتركب وتتآلف على صور وأبنية معينة . فتارة يكون الحرف أول الكلمة وتارة ثانيها وتارة ثالثها . كما أن هذا الترتيب قد ينعكس فيتغير مكان الحرف وترتيبه من الكلمة ويتبادل مع سواه في اللفظ . . وهكذا تدور الحروف وتتقلب ، وفي الوقت نفسه تتعدد الألفاظ وتتنوع .

وقد لاحظ الخليل ان الكلمات العربية محصورة بين الثنائي والخماسي فلا تقل عن ذلك ، كما أنها لا تزيد الا بحروف زوائد لا دخل لها في المعنى الأصيل للكلمة المجردة . فاذا كانت الحروف محددة بتسعة وعشرين حرفاً ، وكانت الكلمات المؤلفة منها تتراوح بين الثنائي والخماسي ، أصبحت ألفاظ العربية تدخل في نطاق الحصر .

ترتيب الحروف :

كانت الخطوة الأولى في معجم الخليل هي تطبيق هذه الفكرة . ولا بد في ذلك من ترتيب خاص تخضع له الحروف . وقد كان معروفاً في عصر الخليل مثل هذا الترتيب . بل كان بين يديه نظامان للحروف ، الأول قديم وهو الترتيب الأبجدي ،

أي الذي يبدأ بالهمزة فالباء فالجيم [1] .. ولكن الخليل لم ير في هذا الترتيب مزية تؤهله لأن يتبناه ، فهو يبدأ بحرف الهمزة ، والهمزة حرف لا يستقر على حال وليس له رسم معين فكيف يكون بوسع الخليل ان يعتمد عليه في قضية علمية كهذه تتطلب وضع معجم شامل ، كذلك لم يرق له ترتيب سائر الحروف لأنها لا تتوالى على أساس واضح أو مبدأ معلوم ولكنها تتلاحق اعتباطاً .

أما الترتيب الأحدث الذي يعرف بالترتيب الهجائي أو الألف بأي ، فهو يتسم بالتناسق لأنه يراعي في الحروف ان تتوالى في مجموعات او زمر يضمها الرسم المتشابه من مثل ب ت ث ، ج ح خ ، ط ظ ، ع غ .. الخ . ومع ذلك لم يجد الخليل في النظام الألفبائي ما يرضيه لأنه يقوم على مبدأ الرسم والكتابة على حين ان اللغة قوامها الأداء والنطق . فالصوت في رأيه هو الأساس الذي يمكن ان يبنى عليه المعجم المنشود . وهكذا كان الصوت أبداً منطلق الخليل في محاولة حصره للألحان

(١) تتوالى حروف العربية في هذا الترتيب على حسب ورودها في الكلمات الآتية التي تنتظمها : « أبجد ، هوّز ، حطّي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ظظغ » .

الموسيقية ، وفي محاولة رصده لأوزان الشعر العربي ، وفي محاولة اشتيعابه لألفاظ اللغة .

ولما كانت اللغة في نظر الخليل أصواتاً ذات دلالة وكان الفم من الحلق الى الشفتين هو الآلة التي تطلق هذه الاصوات ، فمن الطريف ان ترتب الحروف على حسب مواضع خروجها داخل الفم ، وأن يكون مبتداها في أقصى الحلق ومنتهاها في رأس الشفاه . وبعد ان اهتدى الخليل الى هذا النظام المبتكر وعمد الى دراساته الصوتية استقام له ترتيب الحروف على النحو التالي :

ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط ت د ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ي ا ء .

تبويب المعجم :

وقد جعل الخليل معجمه أقساماً على عدد الحروف ، وسمى كل قسم كتاباً . فابتدأ معجمه بكتاب العين وأتبعه كتاب الحاء فكتاب الهاء وهكذا حتى استوفى سائر الحروف . وقد شمل تسمية معجمه كله باسم كتابه الأول وبات يعرف باسم الحرف الأول فيه « العين » .

ترتيب الابنية :

والخطوة الأخرى لدى الخليل في سبيل بناء معجمه كانت استقصاءه للأبنيـة أي الأسس التي تقوم عليها الألفاظ ، فوجد ان كلام العرب مبني على أربعة أصناف : الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي فجعل هذه الأبنية اساس تقسيم الكتب التسعة والعشرين الى أبواب . وكان النحاة والصرفيون قد تقصوا هذه الأبنية وعنوا بتصنيفها فلم يتجشم الخليل في ذلك مشقة .

ترتيب التقاليب :

ثم كانت الخطوة الثـالثة ترتيب التقاليب على أساس تلك الأبنية ، فقد رأى الخليل مثلاً أن حرف العين يمكن أن يغير موضعه في البنـاء الثنائي مرتين بأن يكون أول أو ثانياً ، وفي البناء الثلاثي يغير موضعه ثلاث مرات بأن يكون مرة في أول الـكلمة ومرة في وسطها ومرة في آخرها ، وفي الرباعي أربعاً ، وفي الخماسي خمساً .

فاذا كان الحرف الثاني مع العين في البناء الثنائي باء لم يمكن أن يأتي منهما الا صورتان : عب ، بع . أما اذا كانت العين في

بناء ثلاثي وكان معها حرفان : الباء والدال مثلاً ، أمكن أن يتشكل من ذلك ٦ صور : عبد ، بعد ، بدع ، عدب ، دعب دبع . وترتفع هذه الصور في البناء الرباعي الى ٢٤ صورة ، وفي الخماسي الى ١٢٠ صورة (١) . ولما كانت هذه الصور تأتي من حروف الكلمة الواحدة في المواضع المختلفة سميت تقاليب .

وقد تتبع الخليل التقاليب المتعددة لكل بناء ، وكان يبدأ بالتقليب الذي يكون مخرج حرفه أقرب الى أقصى الحلق أي مقدماً في الترتيب الذي ابتكره الخليل ، لأن مثل هذه الطريقة تساعده على الحصر وتجنبه التكرار فيما بعد .

المهمل والمستعمل :

على أن هذه التقاليب في مجموعها أمر نظري اقتضى وجود وجوهه الكثيرة ذلك الافتراض الرياضي المجرد الذي تصوره الخليل. ومن الطبيعي ألاّ تكون جميع تقاليب البناء مستعملة في اللغة وبخاصة في الأبنية الرباعية والخماسية التي تتكاثر فيها تلك التقاليب كثرة بالغة ، ولذلك قد يكون منها المستعمل ومنها المهمل .

---

(١) انظر كتاب المعجم العربي تأليف حسين نصار ١ : ١٩٧ .

وكان الخليل يشير في مستهل كل فصل (أي مجموعة التقاليب لكل بناء) إلى المستعمل والمهمل من الأبنيـة الثنائية والثلاثية ، أما فيما عدا ذلك من الأبنيـة أي في الرباعية والخماسية فلم يكن الخليل يرى حاجة الى هذا التمييز فكان يكتفي بايراد المستعمل دون ان ينص على المهمل لأنه شيء كثير [1] .

استهل الخليل معجمه بحرف العين وافتتحه بباب الثنائي الصحيح أو المضاعف مثل : عقّ وعك [2] .. وكان على الخليل أن يبدأ هذا الباب بفصل العين مع ما يليها في المخرج وهو الحاء ثم فصل العين مع ما يلي الحاء في المخرج وهو الهاء . . الخ . . ولكنه لم يعثر على كلمات تتألف من العين والحاء ، ولا العين والهاء .. وقد درس الخليل هذه الظاهرة وعلل وجود هذه الثغرة بأنه اقرب هذين الحرفين من أقصى الحلق يتعذر النطق بهما معاً . وعند ما يبلغ فصل العين مع القاف نجده يعالج « عقّ » ثم بعدها

---

(١) انظر : المعجم العربي ، تأليف حسين نصار ١ : ٩٦ .

(٢) سبب تسميته بالثنائي لانه صورته تتألف من حرفين ولانه لا يأتي منه إلا صورتان اثنتان (تقليبتان) . ويطلق عليه الخليل أحيانا اسم المضاعف وهذه التسمية أدق .

مباشرة مقلوبها « قعّ » وكذا الحال في بقية فصول الثنائي بل في سائر فصول الكتاب . ولكنه بطبيعة الحال لا يذكر في باب القاف مادة قعّ اكتفاء بذكرها أول الأمر في باب العين .

وعلى هذا الغرار يمضي الخليل في أبنية الثلاثي في كثير من الدقة والإحكام . فاذا تناول في باب العين كلمة **عقل** وفرغ من شرحها انتقل الى تقاليبها علق ، لقع ، لعق ، قلع ، قعل . وهذا ما اصطلح عليه اللغويون بعد عصر الخليل بالاشتقاق الكبير (١) .

وبعد تناول كلمة عقل مع تقاليبها الخمسة المتبقية ينتقل الخليل بنا الى مادة أخرى مع بقائه في باب العين مثل : عقف وتقاليبها وبعد ذلك عقب وتقاليبها الخ . وواضح ان هذا الترتيب في ورود الكلمات خاضع للنهج الخاص الذي التزمه الخليل واتبع فيه مخارج الحروف . ومن هنا أتت عقل أولاً ثم عقف ثم عقب ثم عقم .. وبعد ذلك عكر .. وهكذا .

---

(١) أما الاشتقاق الصغير فهو الاشتقاق المعروف في أخذ الصيغ المختلفة من مادة لغوية واحدة مجردة الحروف مثل : ك ت ب ، فهي تتفرع الى كتابة وكاتب ومكتوب وكتاب ومكتب ومكتبة .

كما ان الخليل اتخذ أول حرف في اللفظ مبدأ في معجمه، أي أنه جعله على حسب أوائل الألفاظ ، على حين لجأ لغويون آخرون من بعده الى اعتماد الحرف الأخير في تناول الألفاظ وترتيبها .

وقد أقام الخليل شروحه للمواد اللغوية على دعائم قوية هي الشعر والحديث والأمثال والقرآن . وكان اعتماده على الشعر والقرآن كبيراً .

ويمثل كتاب العين ذروة الأخذ بمبدأ القياس ، فقد أولع الخليل في النحو واللغة ولعاً شديداً . وكان هذا المذهب غالباً على علماء العراق في ذلك العصر ، ومثل الخليل في النحو مثل معاصره أبي حنيفة في الفقه . وقد طبق الخليل مبدأ القياس في اللغة أيضاً وتجلى قوياً في معجمه العين برغم ما كان يراه العلماء من اعتماد القياس في النحو وإيثار النقل والسماع في مضمار اللغة .

وثمة عيوب ومآخذ عديدة في العين تناولها القدماء بالنقد والتجريح ، ولكن هذا لا يضيره، شأنه في ذلك شأن كل خطوة رائدة .

ومن جهة أخرى يحيط بعض الشك بصحة نسبة الكتاب

الى الخليل فبعضهم ينكر ان يكون له وينسبه الى الليث بن المظفر وبعضهم يثبت كونه له .

ومما يبعث على الأسف العميق أن كتاب العين لم يصل إلينا كاملاً ، وكل ما بين أيدينا منه جزء يسير من أوله . وقد طبع فاستغرق ١٤٤ صفحة تنطوي على مقدمة الخليل في نحو عشر صفحات يبدأ بعدها المعجم . وهذا الجزء يكشف لنا على كل حال عن طريقة الخليل ومنهجه وطبيعة مادته .

وثمة لغويون عديدون وقفوا على كتاب العين وأفادوا منه أجل فائدة واتخذوا من مؤلفه اماماً في تصنيف المعاجم عند العرب . وقامت في إثر تأليفه ضجة كبيرة تتناسب مع أهميته ، وقد توافر الكثيرون على درسه والاستدراك عليه وتهذيبه وشرحه ونقده . وكان من أهم هذه المحاولات كتاب أبي بكر الزبيدي صاحب « مختصر العين » ، وقد وصل الينا الكثير من محتوى كتاب الخليل بفضله . وكان تأثير كتاب العين بالغاً في المعاجم التي ألفت بعده بصفته المعجم الأول عند العرب .

البارع

ألف هذا المعجم الكبير أبو علي القالي الذي يعد من أبرز علماء القرن الرابع . والبارع أول معجم عرفته الأندلس [1] ، وقد أهداه القالي الى الخليفة الحكم بن الناصر الاموي . غير أن ما يؤسف له أن هذا الكتاب الجليل لم يصل الينا كاملاً . والقسم الذي بين أيدينا يشكل جزءاً يسيراً منه [2] ، وهو يعطينا على كل حال فكرة عن حجمه وطابعه ومنهجه .

ويبدو أن أصل المعجم أضعاف هـذا الجزء . وذكر ابن خلكان ان كتاب « البارع » يشتمل على خمسة آلاف ورقة . وحدد ابن خير في فهرسته حجمه بقوله : « انه في مائة وأربعة

---

(١) انفرد حاج خليفة في كشف الظنون بأن ذكر للقالي كتاباً اسمه « البارع في غريب الحديث » ولم يذكر له البارع في اللغـــة . ونظن أن هذا وهم منه .

(٢) يقع هذا الجزء من البـارع في ١٤٨ صفحة وقد نشره المستشرق A. S Fulton مصوراً عن مخطوط في المتحف البريطاني عام١٩٣٣ وصدره بمقدمه بالانكليزية تناول فيها حياة القالي ومعجمه .

وستين جزءاً عدد ورقها أربعة آلاف ورقة وأربعمئة ورقة وست وأربعون ورقة » ويلقي ابن خير مزيداً من الضوء على محتوى البارع فيقول نقلاً عن أبي بكر الزبيدي تلميذ القالي : « وهو في اللغات كلها ، زاد على كتاب الخليل نيفاً وأربعمئة ورقة مما وقع في « العين » مهملاً ، فأملاه مستعملاً ، ومما قلل فيه الخليل فأملى فيه زيادة كثيرة ، ومما جاء دون شاهد فأملى الشواهد فيه » .

وبرغم اشتهار هذا المعجم لم يمل الناس اليه منذ زمن قديم [1] . وهو على كل حال في مقدمة المعاجم التي تبنت نهج الخليل في ترتيبه الخاص ، فهو اذن مبوب على حسب مخارج الحروف مع تغيير طفيف في هذا الترتيب اذ بدأه بالهمزة ثم الهاء ثم العين . ومن قراءة بعض صفحات هذا المعجم نلمس عناية أبي علي بذكر اللفظ ثم مقلوبه وبحرصه على السند في كل ما يورده من مادة لغوية ، كما انه يولي الغريب من اللغة اهتمامه ويكثر من الرواية عن أبي زيد الأنصاري . كما أن القالي يستطرد فيه الى ايراد أشعار وأقوال

---

(١) المزهر ١ : ٤٥ وانظر أيضاً «المعجم العربي» حسين نصار ٢٨٧ .

لا تتصل دائماً بالمادة المعجمية اتصالاً وثيقاً ، فكأنه كتاب مسهب في اللغة وغريبها وليس معجماً تندرج مادته بصورة مركزة منسقة .

وما من ريب في أن القالي رمى الى معارضة العين وطمح الى الزيادة عليه [1] . وربما كان من أسباب قلة الإقبال على البارع ضخامة من حجمه من جهة ، واتباعه من جهة أخرى ترتيب الحروف وفقاً لمخارجها ، واعتماده على مبدأ التقاليب في الالفاظ . فهذا المنهج فيه عسر على القارىء وليس من السهل عليه تناول مادته والوقوع فيها على بغيته بيسر .

وتبدو شخصية القالي خافتة الصوت في « البارع » وقلما وقعنا في بارعه على رأى له يدلي به في غمرة الآراء الكثيرة التي يحرص على إيرادها بأسانيدها .

---

(١) ذكر ابن خير في فهرسه ص ٣٥٠ أن أبا بكر الزبيدي ألف كتاباً اسمه « المستدرك » من الزيادة في كتاب البارع لأبي علي البغدادي على كتاب « العين » للخليل بن أحمد .

التهذيب اللغة

صاحب هذا المعجم أبو منصور الأزهري من أبرز اللغويين في القرن الرابع . وهو معاصر للقالي . ونحن نرجح أنه الف تهذيب اللغة بعد أن ألف أبو علي القالي معجم البارع . فقد ذكر انه أنجز تصنيفه وهو في السبعين من عمره ، أي في نحو سنة ٣٥٢ هـ ولا نعتقد أنه أطلع على بارع أبي علي لضيق الزمان بين تأليف الكتابين وبعد المسافة بين الرجلين .

ويعد « تهذيب اللغة » أبرز معجم في مدرسة « العين » بعد كتاب الخليل ، وهي المدرسة التي تضم « البارع » لأبي علي القالي و « المحكم » لابن سيده الأندلسي . وهو أول معجم من نوعه مرتب على مخارج الحروف يصل إلينا .

وقد أوضح الأزهري في مقدمة معجمه القيمة قصده من تأليف هذا المعجم ، ثم أورد طائفة كبيرة من أعلام اللغة الذين اعتمد عليهم في تأليف كتابه ، وقد قوّم أولئك العلماء فقرظ بعضهم وجرّح بعضهم الأخر ، وكان في جملة من تطاول عليهم

الليث بن المظفر صاحب الخليل وراوي « العين » عنه، والجاحظ وابن دريد ..

ومع ضخامة هذا المعجم واتساع جنباته يبين الازهري في خطبته أنه كان يتوخى فيه الإيجاز ويقتصر فيه على ما صح من سماع ، فهو يقول : « ولم أودع كتابي هذا إلا ماصح لي سماعاً منهم أو رواية عن ثقـة ، أو حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة اقترنت اليها معرفتي » .

أما المنهج الذي آثره الأزهري وارتضاه فهو منهج الخليل ابن أحمد في معجم « العين » . فهو يشيد به ويعرب عن تبنيه له في قوله : « . . وعلمت أنه لا يتقدم أحـد الخليل فيما أسسه ورسمه ، فرأيت أن احكيه بعينه » . وهذا يعني ان معجم التهذيب جار على نمط كتاب العين في ترتيبـه وأساسه . أي انه تبنى نظام الحروف التي تتوالى على حسب مخارجها من الحلق بادئة من أقصاه ، أي : ع ح هـ خ غ - ق ك - ج ش ض - ص س ز - ط د ت . . .

وتجري أبواب تهذيب اللغة على الوجه التالي على غرار ما وجدناه في « عين » الخليل أيضاً :

١ ـ المضاعف ، وتبدأ أبوابه بحرف مع كل من الحروف التي تليها مثل : العين مع الحاء والعين مع الهاء . . وهكذا الى آخر الحروف ، مع تقليبها ان كان المقلوب مستعملاً ، مثل : عقّ ، قعّ . وفي هذه الحال لا يعاد التقليب عند ورود الحرف الثاني في موضعه اكتفاء بما تقدم .

٢ ـ أبواب الثلاثي الصحيح . وتبدأ بالعين مع الحاء وما يثلثهما بترتيب الحروف ، ثم العين مع الهاء وما يثلثهما ، ثم العين مع الخاء ، ثم مع الغين . . الخ مع تقليب كل مجموعة ومراعاة عدم التكرار فيما يمكن ان يُستقبل من هذه التقاليب . وكان الأزهري ينص على المستعمل وعلى المهمل خلال هذه التقاليب شأن صاحب العين من قبل . وهذه الأبواب تشكل معظم الكتاب لأنها في الحقيقة تشتمل على أكثر مفردات اللغة .

٣ ـ أبواب الثلاثي المعتل وتجري غرار ما سبق ، مع إلحاق المهموز بالمعتل بالألف .

٤ ـ أبواب اللفيف ، وهو من الثلاثي أيضاً ، فمن لفيف العين : عوى ، عَيَى ، وعى ، عَوَع .. ويتلوه لفيف الحاء ، فالهاء الى آخر الحروف .

٥ ـ أبواب الرباعي ، وتبدأ بالعين مع سائر الحروف ، على النسق المتقدم .

٦ ـ الخماسي ، وهو الجزء الأخير في تهذيب اللغة وأكثر الأجزاء اقتضابا ، إلا أنه لا ينطوي على أبواب ، لقلة المادة فيه وأكثرها من الغريب الذي لا يدور على السنة العرب الا في القليل أو النادر .

ويستهل الأزهري معجمه بحرف العين ، ويتناول باب العين مع الحاء ، فيفتتح ذلك بقوله :

« قال الليث : قال الخليل بن أحمد : العين والحاء لا يأتلفان في كلمة واحدة أصلية الحروف ، لقرب مخرجيهما . إلا أن يؤلَّف فعل من جمع بين كلمتين مثل حيّ على ، فيقال منه : حَيْعَلَ .

وشخصية الأزهري بارزة في معجمه ، فهو على الرغم من أنه في صدد جمع اللغة واستيعابها وتهذيبها ، كثيراً ما كان يدلي بدلوه بين الدلاء فيورد أقوالاً لمن سبقوه من اللغويين ثم يتبعها بكلمة « وقلت » ، أو عبارة « لم أسمع ذلك من الأعراب » . ونحن نلاحظ اعتداد الأزهري بنفسه منذ خطبة كتابه . وقد

غدا تهذيب اللغـة مصدراً أساسياً غزير المـادة لمن ألفوا بعده في المعـاجم .

صدر « تهذيب اللغة » في مصر بعناية مجموعة من المحققين[1] .

جمهرة اللغة

ألف كتاب الجمهرة في اللغـة أبو بكر بن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ، وهو عمدة اللغويين في عصره ، ومن تلاميذه أبو علي القالي وابن خالويه وأبو الفرج الأصبهاني . وكان ينعت بأنه أشعر العلماء وأعلم الشعراء . ومؤلفاته تبلغ خمسة وعشرين في مقدمتها « الجمهرة »[2] .

---

(١) صدر المجلد الاول بتحقيق عبد السلام هارون في سلسلة « تراثنا » وما زالت سائر الأجزاء تتوالى حتى اكتمل المعجم في ١٥ جزءاً، شارك في تحقيقها عبد السلام هارون ، محمد علي النجار ، عبدالحليم النجار ، عبد الله دوريش .

(١) لابن دريد كتاب قيم آخر هو « الاشتقاق » ويبحث في اشتقاق اسماء القبائل . ومن كتبه المطبوعة أيضاً : الملاحن ، صفة السحاب والغيث . . وسائرها مخطوط ومنه المقتبس ، الامالي ، الانواء ، المقصور والممدود ، فعلت وأفعلت ، والنوادر ، واللغات .

وكما ذكر الجوهري أنه لم يودع معجمه من الالفاظ إلا ما صح له سماعاً فأسماه « تهذيب اللغة » قال ابن دريد أيضاً في خطبة كتابه معللاً تسميته بالجمهرة : « وإنما أعرناه هذا الاسم لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب وأرجأنا الوحشي والمستنكر » .

فاللفظ الشائع المألوف كان قصد ابن دريد في معجمه وليس الغريب النادر [1] . وهذا يعني أن غرضه يشبه الى حد ما غرض الجوهري في تصفية اللغة من الشوائب واستبعاد بعضٍ من ألفاظها ، على حين كان غرض الخليل في « العين » استيعاب العربية وجمع ألفاظها قاطبة دون تمييز بين شائعها وغريبها .

أما منهج ابن دريد في الجمهرة فهو يختلف عن منهج الخليل في العين من بعض الوجوه برغم ان تأثير الخليل ما يزال كبيراً في المعاجم التي ألفت بعده وفيها الجمهرة نفسها . وأول ما تتسم به جمهرة ابن دريد أنها اتخذت النظام الألفبائي أساساً لترتيب ألفاظها . ويتضح من خطبة ابن دريد في جمهرته أنه قصد إلى هذا المنهج قصداً وآثره على منهج « العين » السائد ، فهو برغم

---

(١) أفرد ابن دريد للنوادر من الالفاظ أبواباً ملحقة في آخر «الجمهرة» .

إجلاله للخليل وسائر العلماء المتقدمين لم يرق له ترتيب معجمه على حسب مخارج الحروف . وفي ذلك يقول : « ولم أجر في إنشاء هذا الكتاب الى الإزراء بعلمائنا ، وأنى يكون ذلك ؛ وإنما على مثالهم نحتذي وبسبلهم نقتدي .

وقد ألف الخليل كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته ، وكل من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد . ولكنه رحمه الله ألف كتابه مُشكِلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته » . ثم يقول : « وأملينا هـذا الكتاب وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة ، اذ كانت بالقلوب أعبق وفي الأسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، وطالبها من هذه الجهـة بعيداً من الحيرة مشفياً على المراد » .

على ان ابن دريد لم يستطع أن يخرج عن منهج الخليل فيما عدا ذلك ، بل إنه لم يذهب الى أبعد من ترتيب الحروف وحده فهو لم يتخذ من هذا النظام أساساً لتقسيم معجمه بأن يجعل كتاباً للهمزة وآخر للباء وثالثاً للتاء ، ولكنه جعل أساسه الاول الابنية على غرار ما فعل الخليل على اختلاف في ترتيب الحروف بينهما. وتصنيفه الأبنية هو تصنيف الخليل بصورة عامة ، فالالفاظ عنده :

ثلاثية ورباعية وخماسية [1] . كما أنه تبنى نظام التقاليب الذي ابتدعه الخليل في العين على حسب مبدأ الاشتقاق الكبير . وطبيعي أن تستغرق أبنية الثلاثي صحيحه ومعتله معظم صفحات المعجم ، لأن غالبية ألفاظ العربية من الثلاثي . فاذا تناول كلمة بقل أورد تقاليبها: قلب ، لقب ، لبق ، قبل ، بلق ، فهو يستوفي هذه المادة دفعة واحدة ، ولذلك لا يجد ضرورة لتناول بعض أوجهها فيما بعد ، اكتفاء منه بما تقدم حتى لا يقع في التكرار . ومعنى ذلك أننا اذا أردنا استخراج كلمة ربض كان علينا ان ننظر في برض وعندئذ نجدها مع سائر تقاليبها ضمن مجموعة واحدة ، أي ان ربض وضبر ورضب واردة في حرف الباء ومتقلبه من برض ، لأن الباء أسبق من الضاد والراء .

وهكذا قسم المؤلف تلك الأبنية الى أبواب وفقاً للترتيب الألفبائي باعتبار الحروف الأصول وحدها ، والتدرج من أول الكلمات إلى آخرها .

وقد راعى ابن دريد ان يبدأ كل باب بالكلمة التي تبدأ

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب المعجم العربي : حسين نصار ٢: ٢٧١ .

بالحرف المعقود له الباب ، يليه الحرف الذي بعده في الترتيب الألفبائي . فأبواب الباء يصدّرها بالباء مع التاء ، وأبواب التاء يصدّرها بالتاء مع الثاء ، وأبواب الدال يصدرها بالدال مع الذال، ويستمر فيما بعدها من حروف ، فالدال مع الذال مثلاً ثم مع الراء ، ثم مع السين فالشين الى آخر الحروف . أما الدال مع الحروف التي قبلها مثل الخاء والحاء والجيم ، فقد وردت في الأبواب السابقة ، لسير المعجم على طريقة التقاليب ، ولذلك لا يوردها هنا ثانية . « فاذا بلغ باب الراء بدأ بذكر الأصول التي تبدأ براء فزاي مثل : رزم رزق ، ثم ذكر الأصول التي تبدأ براء فسين مثل رسغ رسف رسل .. ولكنه لا يذكر في هذا الباب ربح لأن ذكرها سبق في برح ، ولا رجح لأن ذكرها سبق في جرح ، ولا رحم لأنه سبق شرحها في حرم ، ولا رزح لانها سبقت في حرز ، ولا رسخ لأنها سبقت في خرس ، وعلى هذا فقس[1] » .

ومما زاد منهج ابن دريد عسراً في الجمهرة أنه جعل لكل من الثلاثي والرباعي والخماسي ملحقات . فالمعجم مقسم عنده الى

(١) الدكتور أمجد الطرابلسي : حركة التأليف عند العرب ٢٧ الطبعة الأولى .

الثنائي المضاعف وما يلحق به ، فالثلاثي وما يلحق به . . الخ كما ألحقت بهذه الأبواب أبواب أخرى في اللفيف وأبواب سواها في النوادر .

وتبدأ الجمهرة بـ « باب الثنائي الصحيح » ويستهله بباب الهمزة على هذا النحو : « أ بَ بَ ، الأبّ المرعى ، وفاكهة وأبّا ، وأبّ أبّا للشيء إذا تهيأ له أو همّ به .. » وبعد ذلك : أتَ تَ ثم أثَ ثَ .. أمَ مَ الخ .

وفي باب الباء يبدأ بايراد : « بَ تَ تَ ، البتّ . ومن معكوسه : تبت يداه . . » ثم بَ ثَ ثَ ، ثم « بَ جَ جَ . واستعمل من معكوسه جَبّ ، وناقة جباء وبعير أجبّ . . كلها بمعنى القطع . والجب البئر العميق .. » .

ويمتاز كتاب الجمهرة بأنه أيضاً أصل راسخ من الأصول التي اعتمد عليها مؤلفو المعاجم بعده . وقد عرف بعنايته بايراد لهجات العرب ولغاتها ، وباهتمامه أيضاً بالدخيل والمعرّب .

غير ان الجمهرة على فضلها لم تحظ بالانتشار لما انطوى عليه منهجها من عسر وتعقيد فلم تكن يسيرة المأخذ . ومن هنا مست

الحاجة فيها الى صنع فهارس مفصلة بمحتواها مما يسهل الانتفاع منها . وقد حظيت مع ذلك بعناية الأقدمين من العلماء فقامت حولها دراسات عديدة منها « فائت الجمهرة » لأبي عمر الزاهد « جوهرة الجمهرة » للصاحب بن عباد وهو مختصر للجمهرة . و « نشر شواهد الجمهرة » لأبي العلاء المعري .. وكلها مفقود .

طبعت « جمهرة اللغة » في حيدر أباد بالهند في تحقيق جيد[1] .

مقاييس اللغة

يعد أحمد بن فارس من أبرز اللغويين الذين تفقهوا في العربية وعرفوا خصائصها . وقد عاش في النصف الثاني من القرن الرابع . وبلغت كتبه زهاء الأربعين ، في مقدمتها « الصاحبي في فقه اللغة » ثم كتاب « المجمل » في اللغة وكتاب « مقاييس

---

(١) صدرت عام ١٣٤٤ هـ في ٣ مجلدات من القطع الكبير في نحو ١٥٠٠ صفحة يضاف اليها مجلد يزيد على نصف حجمها ينطوي على فهارس مفصلة لمحتواها . وكان ذلك بعناية محمد السورتي والمستشرق سالم كرنكو .

اللغـة » . و « المجمل » و « المقاييس » معجمان لغوية يتشابهان في أكثر الوجوه ، و « المجمل » أوجز ، ولعل ابن فارس ألفه للناشئين ، وقـد استفاضت شهرته وذاع أمره على حين لم يحظ كتاب « المقاييس » بذلك على الرغم من أن ابن فارس يبدو فيه أعمق نظراً وأنضج فكراً . كما ان « المقاييس » يفوق « المجمل » في غزارة مادته .

وابن فارس متأثر بمناهج أسلافه من أصحاب المعاجم وفي طليعتهم الخليل وابن دريد ، وكان له مع ذلك منهجه الخاص الذي يدل على فكر مستقل . إن فكرة المقاييس التي أطلقها عنواناً للمعجم هي التي كانت تشغل ذهن ابن فارس وهو يعني بالمقاييس الاشتقاق الكبير الذي يُرجع مفردات كل مادة الى معنى أو معان تشترك فيها هذه المفردات . وكان ابن فارس كثير الاهتمام بمبدأ القياس في اللغة .

وقـد بوّب ابن فارس معجمه على الترتيب الألفبائي متبعاً في ذلك جمهرة ابن دريد . غير أن منهج ابن فارس يختلف فيما عدا ذلك عن منهج ابن دريد في أنه طرح مبدأ التقاليب ، واتخذ مبـدأ الأصول في مواده اللغوية . فعلى حين قسم ابن دريد

جمهرته إلى أبواب كبرى كباب الثنائي الصحيح وباب الثنائي الملحق بالرباعي ، وباب الثلاثي الصحيح وباب الثلاثي المعتل وباب الرباعي ، جعل ابن فارس معجمه في فصول توافق عدد حروف الهجاء ، وسمى كل فصل كتاباً ؛ فكتاب للهمزة وكتاب ثانٍ للباء وثالث للتاء .. فكلمة **بقل** في كتاب الباء ، وكلمة **قبل** في كتاب القاف ، على حين أن **بقل** وتقاليبها الخمسة تجتمع معاً عند ابن دريد .

ثم قسم صاحب المقاييس كل كتاب أو كل حرف ثلاثة أبواب أي على حسب عدد الأبنية . أولها باب الثنائي المضاعف، فباب الثلاثي ، وأخيراً ما زاد على الثلاثي من المجرد . وهذا تقسيم صغير وبسيط ومحكم يفضل تقسيم الخليل وابن دريد ويفوقه اطراداً ويسراً .

وقد جعل ابن فارس الحرف الأول من اللفظ أساساً في تصنيف ألفاظ معجمه .

ويتضح لنا منهج « المقاييس » بأن نمثل له بـ « كتاب الباء » الذي يسير على حسب التقسيم الذي ألمحنا إليه ، وذلك على هذا النحو :

١ – **باب الباء وما بعدها في المضاعف** ويستهله بكلمه بتّ ثم بثّ ، بجّ ، بحّ . . حتى يستوفي سائر الحروف المؤتلفة مع البـاء .

٢ – ثم ينتقل المعجم الى الثلاثي فيبدأ بـ **باب الباء والتاء وما بعدهما في الثلاثي** ويستهله بـ بتر ثم بتع ، بتك ، بتل . . وبعد ذلك **باب الباء والثاء وما بعدهما في الثلاثي** : وفيه بثر بثع بثق بثن .. وبعده **باب الباء والجيم وما بعدهما** : بجح بجد بجر بجس.. ويمضي كتاب الباء على هذا الغرار حتى يستوفى سائر الحروف التي تأتلف معها .

٣ – ثم **باب الرباعي** : ويورد فيه ألفاظـاً مثل البرجمة ، البرزخ ، البرعم ، البلقع . .

وبعد أن يفرغ المؤلف من « كتاب الباء » ينتقـل الى « كتاب التاء » ويسير فيه على حسب الأقسام الثلاثة المتقدمة متبعاً في داخلها النسق السابق .

غير أن من عيوب طريقة ابن فارس في معجم « المقاييس » ان الحرف الثاني في كل كلمـة لم يكن يبدأ من أول الحروف

الهجائية بل من الحرف التالي لأول الكلمة ، وذلك على غرار منحى ابن دريد في « الجمهرة » . فهو يجعل كل كتاب للحرف المعقود له مع ما يليه ، وكأنه يعتبر الحرف المعقود له بداية للحروف . ففي « كتاب الجيم » مثلاً يستهل المضاعف بكلمة جحّ وبعدها جخّ ، جدّ ، جذ ، جر ، جز ، جس .. جم ، جن ، حتى ينتهي الى جو . وعندئذ ينعطف من جديد لاستيفاء الحروف السابقة على الجيم ، فيورد جأ ، جب ، جث . وهذا الانعطاف الغريب انفرد به ابن فارس [1] .

كذلك الحال في باب الجيم والدال وما يثلثهما ، أي في الثلاثي ، وذلك داخل كتاب الجيم نفسه ، فيستهله بلفظ : جدر وبعده جدس ، جدع ، جدف ، جدل . . حتى إذا بلغ آخر الحروف عاد ليستوفي الحروف السابقة للجيم أي التي تجاوزها فيورد : جدب ، جدث ، جدح .

وقد كان لهذا المنحى ما يبرره في منهج ابن دريد الذي

---

(١) لم يلجأ ابن دريد الى هذا الانعطاف الى الحروف السابقة للحرف الذي عقد الباب له لعدم الحاجة الى ذلك . فهذه الحروف يكون ورودها سابقاً بطبيعة الحال في نظام تقاليب الأبنية .

يقوم على مبدأ التقاليب ، على حين لم يكن ثمة داع للتمسك به في منهج ابن فارس الذي يقوم على الأصول ويفرد لكل حرف فصلاً مستقلاً .

أما خصائص المقاييس فهي التركيز والإيجاز برغم أنه يبقى أكثر إسهاباً من معجم « المجمل » . فهو قد يهمل شرح بعض الألفاظ ، ويتجاوز عن ذكر أسماء بعض اللغويين الذين يقتبس منهم وخاصة الخليل وابن دريد وابن السكيت . . اكتفاء منه باشارته الى فضلهم في خطبة معجمه . ومن خصائصه أيضاً عنايته بالمجاز . ومنها اهتمامه بعض الشيء بالدخيل حين يبين خروجه عن أقيسة العرب ، ومنها أيضاً عنايته بالكلمات المنحوتة وبخاصة في الرباعي . . ومنها أخيراً أصالة مؤلفه واستقلال شخصيته ؛ فهو برغم إكثاره من ايراد أقوال اللغويين يعمد عند اقتضاء الأمر الى نقدهم كما كان من شأنه مع الكسائي وابن الأعرابي وابن دريد في بعض الأحيان . كل ذلك بالإضافة الى اعتماده على الترتيب الالفبائي وخروجه عن مبدأ التقاليب السائد ، وأخذه بمبدأ الاصول. ومعجم « المقاييس » فوق هذا كله يتسم بروح واحدة تنتظم مادته ومنهج سائد يهيمن على مضمونه .

صدر معجم « مقاييس اللغـة » محققاً في القاهـرة في ٦ أجزاء [1] .

الصحاح

أبو نصر الجوهري من أئمة اللغة ذكاء واقتداراً تتلمذ على أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي ورحل الى بادية الحجـاز وشافه الأعراب ، وكان معروفاً بخطه البديع . ومعجمه « تاج اللغـة وصحاح العربية » نموذج لازدهار حركة التأليف المعجمي خلال القرن الرابع الذي عرف الجمهرة والبارع وتهذيب اللغـة والمجمل ومقاييس اللغة .. ثم الصحاح في أواخر ذلك القرن .

وكان الغرض الأول في هذه المعاجم توخي الاستيعاب وتيسير البحث عن المواد . وذهب كل منها مذهباً خاصاً في ذلك. ولكنه ما من معجم من بين هذه المعاجم بلغ في تحقيق هـذا الغرض ما بلغه الصحاح ، حتى لقد فضله العلماء وقدموه ، فقال

---

(١) صدر « المقاييس » سنة ١٣٦٦ هـ بتحقيق عبد السلام هارون .

فيه الثعالبي [1] : « وهو أحسن من الجمهرة وأوقع من تهذيب اللغة وأقرب متناولا من مجمل اللغة » .

ومع ان معاجم أخرى توخت الألفاظ الصحيحة قبل الجوهري كالبارع وتهذيب اللغة فان الصحاح هو الذي اتسم بهذه الخاصة وعرف بها . وقد أكد الجوهري ذلك في عنوان كتابه ثم في مقدمته الوجيزة حيث يقول : « أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرف الله تعالى منزلتها » . وتعني الصحة لديه التزام الصواب في النقل وتحري الضبط في التدوين كيلا يتسرب التصحيف والخطأ الى مواده ، وذلك بأن ينص على سكون الحرف في الكلمة أو نوع حركته كتابة ، كأن يقول « حسَبْته أحسُبه بالضم اذا عددته ، وحسِبته صالحاً أحسَبه بالفتح أي ظننته . ويقال أحسِبه بالكسر وهو شاذ .. »

على ان أهم ما يمتاز به « الصحاح » ويفضل سائر المعاجم التي تقدمته انما هو منهجه القويم . فقد طرح الجوهري أنظمة الذين سبقوه من أصحاب المعاجم واتخذ لمعجمه نظاماً طريفاً بلغ

---

(١) يتيمة الدهر ٣ : ٢٨٩ .

فيه غاية التوفيق وأصبح لمن أتوا بعده قدوة . وأهمل الجوهري قبل كل شيء ترتيب الحروف على المخارج الذي ابتدعه الخليل وظل سائداً من بعده ، كما أهمل مبدأ الابنية ونظام التقاليب ، وآثر ترتيب ألفاظ معجمه على النظام الالفبائي السهل من جهة ودون ان يربط هذا النظام بنظام الابنية ولا بنظام التقاليب من جهة أخرى . وبذلك خلص الصحاح من مظاهر التعقيد التي لازمت المعاجم السابقة وكانت تعيبها وتقلل الانتفاع منها . وقد أقام الجوهري معجمه على الاسس التالية :

١ - تقسيم المعجم الى ثمانية وعشرين باباً ، أي لكل حرف من حروف الهجاء باب ، أولها باب الهمزة وآخرها باب الالف اللينة (١) .

٢ - تصنيف الألفاظ في كل باب على حسب الحرف الاخير ، أي ترتيب الكلمات وفقاً لأواخرها . فكلمة بسط يبحث عنها في الصحاح في باب الطاء . وهذا الباب يضم جميع الكلمات المنتهية بطاء مثل ربط وغلط وفرط ونبط ..

---

(١) عمد صاحب الصحاح وأكثر أصحاب المعاجم من بعده الى دمج حرفي الواو والياء في باب واحد لأنهما كثيراً ما ينقلبان ألفاً .

٣ ـ تجزئة كل باب الى ثمانية وعشرين فصلاً صغيراً . أي ان كل حرف من حروف الأبواب يضم ثمانية وعشرين حرفاً تتعلق بأول الكلمة [١] ، وترتب هذه الكلمات بدورها أيضاً ترتيباً الفبائياً على حسب أولها داخل كل باب . فباب العين يشتمل على جميع الكلمات المنتهية بحرف العين ، وهي مرتبة على هذا النسق : برع ، جمع ، صرع ، نفع ، وقع .. ففي باب الباء نجد أولاً فصل الهمزة ثم الباء فالتاء فالثاء فالجيم ثم فصل الحاء حيث نجد الكلمات حبب ، حجب ، حدب ، حزب ، حسب .. فالترتيب مراعى أيضاً داخل حروف الكلمة نفسها في ثانيها ، وأيضاً في ثالثها ورابعها اذا كانت الكلمة أكثر من ثلاثة حروف أو أكثر من أربعة .

أما الدافع الى إيثار آخر حرف في الكلمة بدلاً من أوله في تصنيف ألفاظ الصحاح فمرده إلى خصائص الكلمة العربية نفسها التي تتسم في طبيعتها بميزة الاشتقاق . والحرف الأخير من اللفظ وبخاصة لام الفعل يبدو أكثر ثباتاً وتمكناً من سائر حروفه . ولعل مرد ذلك أيضاً الى أن أكثر الألفاظ التي تحتاج

(١) قد يقل بعض الفصول عن ذلك لعدم وجود كلمات مستعملة عليها.

الى شرح إنما توجد في قوافي القصائد التي ينتهي رويها بحرف واحد . والشعر مصدر أساسي من مصادر اللغة والمعاجم . ولا شك أيضاً في أن مثل هذه الطريقة من جهة أخرى تقدم للناظمين مادة لغوية غزيرة لاختيار قوافيهم ، كما تقدم للناثرين قدراً وافراً من الألفاظ المسجوعة .

ومع أن اعتماد الحرف الأخير من الكلمة قد يبدو أمراً غريباً فانه يغدو مألوفاً ويسيراً بعد قليل من المران . وهذا أسهل كثيراً من طريقة المعاجم التي ألفت قبل الصحاح برغم اعتمادها الحرف الأول من الكلمة . ولهذا ذاع ترتيب الصحاح وكان تأثيره بالغاً في المعاجم التى ظهرت بعده ؛ فقد تبنت هذا النظام معاجم كبيرة وشهيرة مثل « لسان العرب » و « القاموس المحيط » المعاجم التي آثرت السير على غرار وغيرهما من « الصحاح » .

ويستمد الجوهري مادته من « العين » ومن « الجمهرة » ومن غيرهما ، ويورد زيادات على الخليل وابن دريد . وقد مكنه من هذا الاستيعاب جنوحه إلى الاختصار في مواضع أخرى ، فهو لا يكثر من ذكر الآراء المختلفة كما يفعل الأزهري في تهذيب اللغة ، ولا يحرص دائماً على نسبة كل قول الى صاحبه

كما يفعل القالي وغيره . يضاف الى ذلك كله التزامه الصحيح من الألفاظ وطرحه الألفاظ غير الصحيحة .

ومما امتاز به الصحاح أيضاً إشارته في كثير من الأحيان في صدد الألفاظ الى الضعيف والردىء والمتروك من اللغات ، وإلى العامي والمولد والمعرب ، بالإضافة الى ذكره الألفاظ النوادر والأضداد وعنايته بجوانب الصرف من اشتقاق وإبدال وإعلال ، وحالات أخرى في النحو .

وكان أثر « الصحاح » فيما بعده من المعاجم كبيراً يضارع أثر « العين » أو يفوقه . فقد غدا نظامه هو السائد وبفضله حصل الانعطاف في المعاجم الى اليسر والسهولة . ولم يُخدم معجم عربي إطلاقاً مثلما خدم صحاح الجوهري ؛ وكثيرون هم الذين درسوه وألفوا حوله ، أو كتبوا بصدده حواشي وتعليقات ، أو أكملوه واستدركوا عليه ، أو اختصروه ، أو غيروا في ترتيب نظامه ، أو ترجموه [1] وبلغوا أكثر من المائة عدداً [2] .

---

(١) نقل بعضهم معجم الصحاح الى الفارسية والتركية .

(٢) انظر ذلك مفصلاً في كتاب « مقدمة الصحاح » تأليف أحمد عبد الغفور عطار . ص ١٥٤ – ١٧١ .

صدر « الصحاح » أول الأمر في مجلدين بمطبعة بولاق المصرية. ثم نشر نشراً علمياً متقناً في ستة مجلدات [1] .

لسان العرب

ظهر هذا المعجم في آخر القرن السابع أو في مستهل القرن الثامن . وقد ألفه ابن منظور المصري . ولسان العرب أضخم معاجم العربية قاطبة وأكثرها إسهاباً وأغزرها مادة .

حرص ابن منظور على أن يجتمع في معجمه عنصران هامان هما الاستقصاء والترتيب . وقد أفاد في سبيل ذلك من جهود أسلافه ، وصرح في مقدمته بأنه اعتمد على مجموعة من المعاجم التي تقدمته وفي طليعتها « تهذيب اللغة » للأزهري ، و « المحكم » لابن سيده ، و « الصحاح » للجوهري . .

---

(١) صدرت طبعة بولاق سنة ١٢٩٢ هـ . وكانت الطبعة الثانية سنة ١٩٥٧ ، وهي بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار .

وقد صدر « تهذيب الصحاح » لمحمود الزنجاني عن دار المعارف في مصر بتحقيق عبد السلام هارون وأحمد عبد الغفور عطار وذلك سنة ١٩٥٢ في مجلدين .

و«لسان العرب» لا يختلف في طبيعة منهجه عن منهج «الصحاح». فهو ينقسم أيضاً الى أبواب عددها ثمانية وعشرون ، كما ينقسم كل من هذه الأبواب الى فصول يبلغ أقصاها ثمانية وعشرين فصلاً . ولا تختلف هـذه الأبواب والفصول عن نظائرها في الصحاح إلا في ضخامتها وشدة تقصيها وكثرة الشواهد فيها . ومن هنا يصح القول في اللسان إنه أقرب شيء إلى أن يكون موسوعة شاملة في اللغـة والأدب . ومن هنا فان لسان العرب لا يضارع سائر المعاجم في قرب المأخذ ويسر التناول بسبب إسهابه المفرط وضخامة حجمه . على أنه مرجع شافٍ للغليل يسعف الباحث المتعمق والدارس المتخصص ببغيته .

والحق أن ابن منظور لم يأت بجديد في التأليف المعجمي وكان في منهجه متبعاً لا مبتدعاً ، فقد استقرت السبل في هـذا المجال حتى عهده فلم يكن أمامه إلا الجمع والاستيعاب ، وكفاه في ذلك فضلاً في عصر كاد يجف خلاله معين الإبداع . وكثيراً ما يحافظ صاحب اللسان على عبارات أسلافه من العلماء ، وقد عمـد خلال ذلك الى حذف كثير من الأسانيد تخففاً من التطويل الزائد .

وقد طبع « لسان العرب » أول الأمر بالمطبعة الأميرية المصرية ببولاق سنة ١٣٠٠ ﻫ في عشرين مجلداً يبلغ مجموع صفحاتها نحو ستة آلاف صفحة ، ثم أعيد إصدار هذه الطبعة تصويراً عام ١٩٦٥ . كما طبع في بيروت .

القاموس المحيط

الفيروز آبادي من أعلام القرن الثامن الهجري . وقد أسمى معجمه « القاموس المحيط » أي البحر الأعظم ليدل بذلك على استيعابه وشموله وتقصيه في احتواء ألفاظ العربية .

وقاموس الفيروز آبادي متأثر الى حد كبير بصحاح الجوهري، وهذا جلي من ناحيتي الايجاب والسلب . فهو قد ورث نظام الصحاح في ترتيبه الألفبائي ، وفي اعتماده الحرف الأخير من اللفظ في تصنيف مواده . كما عمد في مواضع كثيرة الى نقد الصحاح والاستدراك عليه فيما فاته . وكان له بعد ذلك طابعه المميز ، ويتجلى في الخصائص التالية :

١ ـ كثافة مادته ؛ فهو ينطوي على مواد غزيرة لا تقل عن مواد لسان العرب وقد تزيد . ومع ذلك كان حجم القاموس أصغر من حجم اللسان بسبب جنوح مؤلفه الى التكثيف والاقتضاب.

٢ ـ اعتماده على رموز واصطلاحات خاصة اصطنعها وأرشد اليها في مقدمة القاموس توخياً للايجاز وحرصاً على الاستيعاب . فالرمز « م » يعني ان اللفظ معروف ، و « ع » موضع و « ج » جمع ، و « جج » جمع الجمع و « د » بلد ..

٣ ـ لجوؤه إلى ضبط الكلمات وتقييدها بالعبارة أو بالتمثيل بالشائع وذلك بصورة مطردة ، وإغفال هذا الضبط في المشهور وفي الفصيح ، وكذلك في عين المضارع المفتوحة ، اكتفاء بضبط اللفظ في حالتي الضم والكسر . كذلك تقديمه الفصيح والمشهور على النادر والغريب ، وتأخيره اسماء الاعلام ..

٤ ـ جودة ترتيبه الداخلي من حيث تقديم صيغ المجرد على المزيد وحرصه على ذكر الماضي ثم مضارعه ومصدره ، وإيراد المفرد ثم جمعه أو جموعه ومذكره ومؤنثه .

٥ ـ حذفه الشواهد على اختلاف أنواعها من قرآن وحديث

وشعر وأقوال ، كما أنه طرح أسماء اللغويين والرواة الذين تؤخذ عنهم الصيغ والمعاني ، وهذه خطوة باتت لازمة بعد ان صارت هـذه الأقوال من التراث العربي المعروف وانقضت عليهـا عهود مديدة .

كل هذه الصفات التي اتسم بها القاموس جعلته يبدو مكثفاً شديد التركيز بحيث كاد يقتصر على متن اللغة الى حد كبير . وتبعاً لذلك فان الرجوع اليه يحتاج إلى أناة وتدبر وإلمام ببعض الأسس في اللغة فضلاً عن دراية بالرموز التي اصطنعها المؤلف في مقدمة قاموسه .

كذلك أثار القاموس اهتمام الكثيرين من اللغويين ، وكان اهتمامهم ينصب في الغالب على تفصيل ما أجمله ، أو استدراك ما فاته ، أو استكمال شواهده [1] .

ويقع « القاموس المحيط » في أربعة مجلدات . وقد طبع مرات كثيرة .

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب « المعجم العربي » ٢ : ٥٦٦ للدكتور حسين نصار .

تاج العروس

الزَّبيدي من أعظم اللغويين المتأخرين ومن بقيـة السلف الصالح ، عاش في القرن الثاني عشر الهجري ، وكان كتابه المسمى « تاج العروس من جواهر القاموس » تتويجاً للدراسات اللغوية والمعاجم السالفة .

و « تاج العروس » من أوسع معاجم العربية ، وهو يقارب في حجمه لسان العرب . وقد اتخذ مؤلفه من القاموس المحيط أساساً له ومنطلقاً في تأليفه معجمه ، وبذلك يعد أهم مصنف ظهر حول معجم الفيروز ابادي .

وقـد أتيح للزبيدي بحكم تأخره في الزمان ان يقف على معظم الدراسات والمصنفات التي ألفت في صدد القاموس وأن يفيد منها ، يدفعه إلى غايته إيجاز المحيط وانطواؤه على بعض الغموض من جهة ، وذيوع فضله وانتشاره بين الناس من جهة أخرى . وفي سبيل هذا القصد رجع الزبيدي الى مصادر ومراجع كثيرة بلغ عددها في مقدمته ١٢٠ .

وطبيعي ان ينسج الزبيدي معجمه على منوال المحيط من حيث تبويبه وتصنيف ألفاظه ، ثم يضيف اليه الكثير مما لم يكن فيه . غير أن ما يؤخذ عليه تقيده بأصل عبارة المحيط ومحافظته في كثير من الأحيان على نصها .

ومن الظواهر الجديدة التي نجدها في « تاج العروس » اهتمامه بذكر المعاني المجازية في صدد شرح الألفاظ ، وعنايته أيضاً بايراد العامي من الكلام وبخاصة من اللهجة المصرية ، وهذه بادرة حسنه في الوقوف على اللهجات العربية المتأخرة .

و « تاج العروس » يفضل أكثر معاجم العربية في شموله واستيعابه وضبطه . وهو بحق حصيلة المعاجم السالفة وتاجها .

طبع « تاج العروس » في عشرة أجزاء من القطع الضخم، ثم أعيد طبعه تصويراً وصدرت أجزاء منه مؤخراً في طبعة جديدة متقنة [1] .

---

(١) صدر التاج أول مرة في مصر في ١٠ أجزاء سنة ١٣٠٦ هـ بالمطبعة الخيرية . وهو يصدر الآن تباعاً عن دولة الكويت بعناية لفيف من المحققين .

أساس البلاغة

الزمخشري إمام كبير من أئمة الفكري العربي وله منزلة مرموقة في مجالات التفسير والأدب والبلاغة واللغة والاعتزال . عاش إبان القرن الخامس الهجري . ومعجم « أساس البلاغة » نمط فذ وطريف بين معاجم العربية ، وينم على ما اتسم به مؤلفه من إبداع وأصالة . ومن خلال مقدمة الزمخشري ومن وراء العنوان الذي آثره لمعجمه يتجلى أمامنا الهدف الذي رمى اليه هذا المؤلف في معجمه .

لقد انطلق الزمخشري من منطلق سائر أصحاب المعاجم اللغوية أنفسهم وهو تفهم القرآن وتدبره ، ورمى فضلاً عن ذلك الى معرفة روعة بلاغته واستكناه سر إعجازه . ولذا لم يقف عند حدود الألفاظ المفردة بل تعداها الى التركيب ، ولم يكتف باللفظ وحده وإنما نشد التعبير . وهكذا لم تكن مادته ألفاظاً متفرقة جامدة وإنما كانت عبارات حية موحية . فهو يوضح هذه الميزة في مقدمة كتابه حيث يقول :

« ومن خصائص هذا الكتاب . . التوقيف على مناهج التركيب والتأليف ، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف ، بسَوق الكلمات متناسقة لا مرسلة بدداً ، ومتناظمة لا طرائق قِدداً » .

وقد جنح الزمخشري من خلال منهجه إلى إيراد الحقيقة والمجاز في مادته لتتضح العلاقة بينهما ، مع توخيه في الوقت نفسه التفريق بينهما وإفراد أحدهما عن الآخر . وفي ذلك يقول أيضاً :

« ومن خصائص هذا الكتاب تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح ، بافراد المجاز عن الحقيقة ، والكناية عن التصريح » .

وثمة خاصة أخرى تنطوي على أهمية بالغة وهي احتواء أساس البلاغة على كثير من عيون كلام الأدباء ، وتخيره ما وقع في عبارات المبدعين . فالزمخشري بذلك يسمو فوق دلالة اللفظ على معناه ليكشف لنا عن عنصرين فيه يتصلان أوثق اتصال بفن القول وجوهر الأدب ، وأول هذين العنصرين هو : « أثر الاستعمال في حياة الكلمة ، وتعيين دلالتها ، وتحديد معناها [1] » ، وبذلك

(١) أمين الخولي في مقدمته لأساس البلاغة .

يعطينا « أساس البلاغة » مواد لمعرفة استعمال الكلمات حتى عصره خلال القرن السادس ، وينير الطريق لمن يحاول تأريخ تلك الدلالات . والعنصر الثاني الذي تتسم به مادة «الأساس» هو الوقوف على شيء من ايحاء الكلمة في النفس ، وظل نخواها في الذهن ووقعها في المخيلة ، وهذا ما لا تقدمه لنا المعاجم اللغوية لأن الدلالة المعجمية المجردة ليست هي كل دلالة الكلمة ، وليست هي الدلالة الأدبية التي تحمل عنصر التأثير النفسي للكلمة بما تثير من أحاسيس وما تلفت اليه من آفاق .

ولنتتبع بعض مواد « الأساس » لنرى طريقة تناول الزمخشري لها . يقول في مادة « أبد » في مستهل معجمه : « لا أفعله أبد الآباد ، وأبد الأبيد ، وأبد الآبدين . وتقول : رزقك الله عمراً طويل الآباد بعيد الآماد . وأبّدت الدوابّ : توحشت ، وهي أوابد ومتأبدات . وفرس قيد الأوابد ، وهي نُفّر الوحوش ، وقد تأبد المنزل سكنته الأوابد .. ومن المجاز : فلان مولع بأوابد الكلام وهي غرائبه ، وبأوابد الشعر ، وهي التي لا تُشا كَل جودةً . قال الفرزدق :

لن تدركوا كرمي بلؤم أبيكم وأوابدي بتنحّل الأشعار . .

وفي مادة « شأف » نقع في أساس البلاغة على مايلي : «شَئفت رجله وشُئفت : اذا خرجت عليها الشأفة ، وهي قَرحة.. ومن المجاز : بينهم شأفة : عداوة . وقد شَئفت له مثل شَنِفت له اذا شَنِئته . واستأصل الله تعالى شأفتهم : عداوتهم وأذاهم . قال الكميت :

ولم نفتأ كذلك كل يوم ‌ ‌ ‌ ‌ لشأفة واغر مستأصلينا

وهكذا يحرص الزمخشري على رد الألفاظ الى استعمالاتها العربية البليغة . ولا يأتي بها مفردة عارية عن التركيب . ومن هنا كان هذا المعجم متفرداً بخصائصه ، انه معجم فني أدبي بلاغي .

والزمخشري الذي امتاز من سائر أصحاب المعاجم في تأليف معجمه على هذا النحو الفريد ، تفرد أيضاً في ترتيب مواده على نحو لم يسبق اليه أيضاً حين آثر ان يبتدع منهجاً جديداً ويسير للمرة الأولى في تاريخ المعاجم العربية [1] على أساس أول اللفظ بدلاً من آخره مع بقائه ضمن النظام الألفبائي . وبذلك يختلف أساس البلاغة من هذه الناحية المنهجية عن صحاح الجوهري

---

(١) انظر الدكتور حسين نصار : المعجم العربي ٢ : ٦٧٤ .

وزمرته أي من حيث تناوله الكلمات من بداياتها لا من نهاياتها (١) .

صنف الزمخشري معجمه في ثمانية وعشرين باباً أي أنه جعل كل حرف في باب أسماه كتاباً . فالكتاب الأول كتاب الهمزة ويليه كتاب الباء فالتاء .. الخ . وهو يراعي هذا الترتيب داخل كل باب في ثواني الكلمات وثوالثها معتمداً على حروفها المجردة . فالهمزة مع الباء وبعدها الهمزة مع التاء فالهمزة مع الجيم الى آخر الحروف دون ان يسميها فصولاً ، فالكلمات تتعاقب في باب العين مثلاً عن هذا الغرار : عبأ ، عبب ، عبث ، عبد ، عبر ، عبس ، عبق . . ثم عتب ، عتر ، عتق . . وهكذا يتدفق مضمون الأساس رهواً ، ويغدو في طليعة المعاجم في قرب مأخذه ويسر تناوله .

---

(١) من الغريب أن يعمد في هذا العصر محمود خاطر بك الى تغيير ترتيب الصحاح بجعله « مختار الصحاح » للرازي على حسب اوائل الكلمات . وأن يعمد محمد عبد الرؤوف المناوي (١٩٣١ هـ) الى اختصار اساس البلاغة وجعل ترتيبه على نظام الصحاح أي على حسب أواخر الكلمات ، وذلك في معجم أسماه « إحكام الأساس » .

ويلاحظ أن ثمة مواد ساقطة خلال هذا النسق ، وهذه إما مهملة لا وجود لها في أصل اللغة كشأنها في سائر المعاجم ، وإما أنها قد أغفلت عن عمد من قبل الزمخشري لأنها لا تدخل في نطاق منهجه ولا تنسجم مع الفكرة العامة التي بنى عليها معجمه .

ومع أن أساس البلاغة معجم موجز ويفتقر الى مزيد من التقصي والاستيعاب والشمول فانه يبقى معجماً متجدداً ونسيج وحده بين معاجم العربية .

طبع « أساس البلاغة » منذ سنة ١٢٩٩ هـ عدداً من المرات ، وأكثر طبعاته إتقاناً طبعة دار الكتب المصرية [١] .

★ ★ ★

(١) بعد أن صدرت الطبعة الأولى في مصر ، صدرت طبعة ثانية سنة ١٣٢٧ هـ وهما طبعتان غير متقنتين . وفي عام ١٩٤١ صدرت الطبعة العلمية عن دار الكتب في مجلدين كبيرين بلغت صفحاتها ١٠٨٠ ثم غدت نادره . وفي عام ١٩٥٣ اعيد إصدار المعجم تصويراً بالاعتماد على طبعة دار الكتب في حجم أقل ضمن مجلد واحد متوسط . كما صدر أيضاً في طبعات أخرى بعد ذلك في بيروت ومصر .

عرفت العصور العربية الحديثة نهضة شاملة ، نشطت خلالها حركة تأليف المعاجم ، وكان لبنان سباقاً في هذا المجال . كما عني المجمع اللغوي بمصر وبعض المستشرقين بتأليف معاجم حديثة أخرى. وسوف نعرض بايجاز لأبرز هذه المعاجم .

محيط المحيط :

وهو أول معجم بين المعاجم الحديثة ، ألفه المعلم بطرس البستاني حوالي منتصف القرن التاسع عشر . ثم اختصر البستاني « محيط المحيط » هذا في معجم آخر ليجعله في يد الطلبة والناشئين وأسماه « قُطر المحيط » . وكان غرضه — كما قال — احياء العربية من رقدتها عن طريق تيسير الحصول عليها . غير أن البستاني لم يتكن من تحقيق هذه الغاية الى الحد المنشود ، لأنه بقي في فلك القاموس المحيط للفيروزابادي وحافظ في كثير من الأحيان على عبارته .

وقد اختص محيط المحيط بأمور ؛ منها ترتيبه مواده على حسب الحرف الأول مخالفاً بذلك المحيط . كما زاد في تفصيل مواد أخرى مما أجمله الفيروز ابادي . وحذف مواد أخرى أكثرها

أسماء أشخاص وقبائل . وقد أدخل البستاني ألفاظاً جديدة ، منها ما يدل على معان تتصل بالدين المسيحي ، ومنها ما هو عامي يتصل باللهجات غير الفصيحة ، ومنها إيراد جانب من المصطلحات العلمية . وعدل المؤلف عن طريقة المحيط وسائر المعاجم القديمة في ضبط اللفظ كتابة أو تمثيلاً بالوزن أو بالمشهور من الكلمات مستعيضاً عن ذلك بإثبات الحركات .

أقرب الموارد :

وقد ألفه سعيد الخوري الشرتوني سنة ١٨٨٩ وأسماه « أقرب الموارد في فُصَح العربية والشوارد » . وهو معجم جيد يمتاز بأنه أكبر معجم ظهر في العصر الحديث ، وبأنه من أجمع المعاجم استيعاباً لمفردات العربية . وقد اعتمد الشرتوني بالدرجة الأولى أيضاً على قاموس الفيروزابادي بالإضافة الى معظم معاجم القدماء ، وتوخى طرح كثير من الفضول الذي كانت تعج به المعجمات السالفة وإغفال كثير من مظاهر تعدد الأوجه والتفسيرات ، وزاد في مقابل ذلك على مواده عناصر جديدة من أساس البلاغة للزمخشري وبعض المعاجم الاخرى قديمها وحديثها . كما انطوى أقرب الموارد على كثير من الألفاظ المعاصرة فأدخل

المصطلحات العلمية والالفاظ المستحدثة والأعلام الجديدة ، كما أورد في بعض الاحيان جانباً من الالفاظ العامية والدخيلة .

كذلك رتب الشرتوني معجمه على حسب أوائل الكلمات والتزم الدقة في ترتيب الفروع داخل كل مادة ، فهو يبدأ بالفعل الماضي المجرد ، ويؤخر الأسماء والصفات ، فضلاً عن رموز وتنظيمات أخرى تضفي على المعجم مسحة عصرية . ويقع هـذا المعجم في مجلدين ضخمين .

البستان :

وهو معجم آخر ألفـه اللغوي اللبنـاني عبد الله البستاني خلال عشرة أعوام ، وهو يشبه في طريقته وحجمه محيط المحيط لبطرس البستاني مع إضافة زيادات على بعض مواده ، وتحسين ترتيبه وتنسيق ألفاظـه . وهو مرتب أيضاً على حسب أوائل الكلمات . يقع هذا المعجم في مجلدين كبيرين ، وصدر عام ١٩٣٠ .

المنجد :

أخرج الأب لويس معلوف معجمه « المنجد » سنة ١٩٠٨ أي قبل « البستان » واستمد اكثر مواده من محيط المحيط للبستاني

ومن بعض المعجمات القديمة . وتوخياً للاختصار وتجنباً للتكرار عمد الى استعمال بعض الرموز على غرار ما هو جار في المعاجم الأجنبية الحديثة ؛ فالرمز (فا) لاسم الفاعل ، و (مفع) لاسم المفعول ، و (مص) للمصدر ، و (م) للمؤنث ، و(ه) للمفعول به واستعمل الأقواس والاهلة للتمييز بين الكلمات ، وجعل كل مادة جديدة في أول السطر .

وقد لقي « المنجد » رواجاً منقطع النظير لما انطوى عليه من مميزات . فهو مبرأ من فضول القول والاستطرادات وتعدد الأوجه . كما أنه في مقابل ذلك مكثف المادة غزيرها . وهو في مظهره وحجمه على غرار المعجم الفرنسي LAROUSSE . وقد أدخل عليه تحسين كبير في طبعاته الكثيرة المتأخرة فأصبح حافلاً بالصور والجداول والخرائط ، كما أصبحت المادة في أول كل سطر وباللون الاحمر . وألحق به معجم للأعلام صنعه الأب فرديناند توتل كما هو الشأن في معجم لاروس الفرنسي . وبذلك غدا المنجد في طليعة المعاجم الحديثة تنظيماً وأيسرها تناولاً .

غير أن المنجد لا يصلح مرجعاً موثوقاً للباحث المختص لوقوعه في بعض الأخطاء ، ولأنه مشوب في عدد من مواده

بأمور تتصل بالدين الإسلامي وتراثه مما درج على ترديده عدد من المستشرقين المغرضين .

وثمة ظواهر مشتركة في هذه المعاجم اللبنانية الحديثة ، فهي جميعاً قد درجت على إسقاط الألفاظ البذيئة ورمت من وراء ذلك الى ان تكون معاجم مدرسية توضع بين أيدي الناشئة ، على حين أن القدماء لم يتحرجوا من ذلك وكانوا موضوعيين في هذا المجال شأنهم في ذلك شأن أي باحث في التشريح او الطب او الغرائز . ومن هنا تعد هذه المعاجم غير كاملة من الوجهة العلمية .

ومما تتسم به هذه المعاجم حسن تنظيمها وجودة تنسيقها ويسر تناولها . كما أنها انطوت على كثير من الألفاظ الدخيلة والعامية والكلمات التي تتصل بالعقيدة المسيحية والاصطلاحات العلمية الحديثة . فهي تواكب تطور العصر الى حد معلوم .

معجم متن اللغة :

اهتم المجمع العلمي العربي في دمشق — وهو أول مجمع تأسس في العالم العربي — باعداد معجم يجتمع فيه ما تناثر من

جواهر العربية في بطون المطولات اللغوية القديمة ، وإلحاق ما استحدث من الألفاظ والمصطلحات به . وقد أسند هذا العمل الكبير الى أحد أعضاء المجمع العاملين وهو الشيخ أحمد رضا سنة ١٩٤٧ . ولم يقيض له أن ينشر إلا في عام ١٩٥٨ بعد وفاة مؤلفه .

ومعجم « متن اللغة » مصنف على حسب أوائل الكلمات، أي على غرار تصنيف « أساس البلاغة » ويمتاز بحسن ترتيبه داخل المواد نفسها أي ضمن كل باب . فالحرف يبدأ بالفعل المجرد الثلاثي على ترتيب أبوابه الستة التي يجمعها قول بعضهم :

فتح ضم ، فتح كسر ، فتحتان   كسر فتح، ضم ضم ، كسرتان

وبعد المجرد يذكر المتعدي بالتضعيف مثل فرّح ، ثم المتعدي بالهمز مثل أكرم ، ثم افتعل وتفعّل ... وفي الأسماء يبدأ بالثلاثي المجرد المفتوح الفاء ، ثم مضمومها ، ثم مكسورها ، ثم اسم الفاعل فالمفعول ثم المزيد . وكان يجعل أسماء الأمكنة والأعلام في آخر كل مادة .

وقد تجنب متن اللغة كثيراً من آراء الأئمة وأوجه أقوالهم وتعليلاتهم . وامتاز بحرصه على ذكر المجاز الى جانب الحقيقة

معتمداً على أساس البلاغة وتاج العروس وغيرهما . كما ادخل مؤلف متن اللغة العامي في معجمه واحترز في ذلك بأن أفرده في هامش المادة كيلا يختلط بالفصيح . وكان أكثره من عامية بلاد الشام .

وكان جل اعتماد الشيخ أحمد رضا على معاجم الأقدمين ، وقال إنه عزف عن الاعتماد على أصحاب المعاجم الحديثة كأقرب الموارد كيلا تسري اليه أغلاطهم . غير أن ذلك آل به الى الحرص على كثير من الألفاظ الغريبة أو المهملة بحجة أن ذلك من التراث الذي لا ينبغي التفريط به . وفي مقابل ذلك لم يفسح المجال كثيراً أمام المصطلحات العلمية والفنية لأنها في رأيه خارجة عن متن اللغة ، وكان اذا أورد مصطلحاً دخيلاً وضع في مقابله اسمه الأجنبي بالحروف اللاتينية .

وقد أفاد « متن اللغة» في مظاهر تنظيمه من المعاجم الحديثة باعتماده على الرموز توخياً للاختصار على غرار ماوجدناه في أقرب الموارد . ومن مزاياه أيضاً إدخاله كثيراً من الكلمات المعربة والمستحدثة ومن الصيغ التي أقرها كل من المجمعين اللغويين في دمشق والقاهرة مستفيداً في ذلك مما صدر عن أعضائهما من بحوث في هذا الشأن .

وقد صدر « متن اللغة » في إخراج حسن عن دار الحياة في بيروت ، واستغرق سبعة مجلدات .

المعجم الوسيط :

شعر الباحثون وأعضاء المجامع اللغوية بأن المعاجم القديمة لم تعد تفي بحاجة العصر ، فهي تنطوي على ركام من اللفظ الموات المحنط الذي لا يجدي في شيء على حين أنها تفتقر الى جانب كبير من الألفاظ المستحدثة التي جدّت عبر العصور فلا يجد الباحث لها أثراً .

ويوم أنشىء مجمع اللغة العربية في مصر ١٩٣٤ نُص في مرسوم إنشائه على ان أهم أغراضه « ان يحافظ على سلامة اللغة، وان يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر » كما كان في طليعة أهدافه « وضع معجم تاريخي للغة العربية » .

وقد وجد المجمع بعد التدارس ان دون المعجم التاريخي صعاباً لا يمكن تخطيها إلا بعد أمد طويل وجهد عظيم ، فرأى ان يتبنى المعجم التاريخي للمستشرق الألماني « فيشر » وكان قد

أمضى فيه زهاء أربعين سنة ولم يستطع انجازه مع ذلك بسبب وفاته . وهو يشتمل على مرحلة من عمر العربية تقدر بخمسة قرون أي منذ فترة ماقبل الإسلام بقرنين من خلال النقوش المكتشفة حتى نهاية القرن الثالث الهجري عصر اكتمال اللغة . ولم يكن في وسع فيشر أن يمضي الى سائر المراحل من تطور ألفاظ العربية . وما زال المجمع يسير في بطء نحو تأليف هذا المعجم وتنميته .

ثم رأى المجمع ان يدأب في تأليف معجم عام شامل يحتوي خصائص المعاجم القديمة ومتطلبات الحياة الحديثة أسماه « المعجم الكبير » ولكنه أيضاً لم يستطع إنجازه حتى هذا اليوم . والمشروع الوحيد الذي تمكن المجمع من تنفيذه اصداره « المعجم الوسيط » سنة ١٩٦٠ . وهذا المعجم كما يبدو من عنوانه معتدل الحجم ، ويقع في جزءين تبلغ صفحاتهما ١٠٨١ .

والوسيط ينطوي على خصائص متعددة ، منها تشدده في هجر الحوشي والغريب ، وتوسعه في مقابل ذلك في ادخال المصطلحات العلمية السائدة ، ودعوته الى الأخذ بما استقر من ألفاظ الحياة الشائعة ، وإقراره كثيراً من الألفاظ المولدة والمعربة الحديثة . كما أنه عمم القياس فيما لم يقس من قبل آخذاً بالمبدأ الذي أقره مجمع القاهرة .

ويشتمل المعجم الوسيط على نحو ۳۰ ألف مادة ، ومليون كلمة ، ضبطت بالشكل ونسقت بعناية وجعل ترتيبها على حسب أوائل الألفاظ . ومادته مشفوعة بنحو ٦٠٠ صورة .

وتبدو أهميه « الوسيط » في أنه أول معجم عصري يصدر عن هيئة مختصة ، لأن مثل هذه الاعمال أكبر من ان تكون من جهد الأفراد ، فضلاً عن أنها لا بد أن تصدر عن مؤسسة أكاديمية لها حق التشريع في اللغة .

وبرغم ذلك فليس « الوسيط » ذلك المعجم المنشود الذي تطمح اليه العربية ويتطلع اليه بلهفة مئة مليون من الناطقين بالضاد في هذا العصر المتحضر .

معجم المؤلفين

الآمـدي : أبو القاسم ، الحسن بن بشر بن يحيى . أصله من آمـد .
٠٠٠ - ٣٧٠ ولد في البصرة ونشأ بها . لغوي ونحوي وراوية للأخبار . عالم بالشعر ، وناقد أدبي بارز . له « الموازنة بين الطائيين » .

الأزهري : أبو منصور ، محمد بن أحمد ، بن الأزهر الهروي ، أصله
٢٨٢ - ٣٧٠ من هراة بخراسان . لغوي كبير ، متمكن في الفقه أسره القرامطة في البادية حيناً . له « التهذيب » في اللغة .

الأصبهاني : أبو الفرج ، علي بن الحسين بن محمـد الأموي القرشي .
٢٨٤ - ٣٥٦ ولد في أصبهان . رحل الى بغداد . ناثر بليغ وناقد ، واسع الثقافة متعدد المواهب . له « الأغاني » .

الأصمعي : أبو سعيد ، عبد الملك بن قريب .. بن أصمع ، عالم بصري
١٢٢ - ٢١٦ فذ في اللغة وراوية قوي الحـافظة لأنساب العرب وأيامهـا وأخبارها وأشعارها وأرجازها .

ابن الأعرابي : أبو عبد الله ، محمد بن زياد . من أئمـة اللغة والنحو
١٥٠ - ٢٣١ الكوفيين . قوي الحافظة متمكن في رواية الشعر وغريب اللغة . وهو تلميذ المفضل الضبي وأستاذ ثعلب .

الأعلم الشنتمري : أبو الحجاج ، يوسف بن سليمان . عالم أندلسي في اللغة
٤١٠ - ٤٧٦ والأدب ولد في سانتا ماريا ، شرح دواوين زهير وطرفة وعلقمة ، وشرح ديوان الحماسة .

الأنباري : أبو محمد ، القاسم بن محمد بن بشار . والأنباري نسبة الى مدينة
٠٠٠ - ٣٠٤ الأنبار على الفرات قرب بغداد . محدّث جليل وعالم موثق في اللغة والقراءات . كان يملي في ناحية من المسجد ويملي ابنه أبو بكر في ناحية أخرى .

ابن الأنباري: أبو بكر ، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار . والأنباري
٢٧١ - ٣٢٨ والده عالم جليل . فاق الابن أباه علماً وكان إماماً في اللغة والنحو والرواية والقراءات .

الأنباري : أبو البركات ، عبد الرحمن بن محمد من كبار علماء والنحو
٥١٣ - ٥٧٧ في القرن السادس . له « نزهة الألباء في طبقات الأدباء » و « الانصاف في مسائل الخلاف » بين الكوفيين والبصريين .

الأنصاري : أبو زيد ، سعيد بن أوس بن ثابت . من أئمة البصريين في
١١٩ - ٢١٥ النحو واللغة والرواية . في منزلة الأصمعي وأبي عبيدة. موثق في علمه وروايته . اخذ عن أبي عمرو بن العلاء .

البحتري : أبو عبادة ، الوليد بن عبيد . أحد فحول الشعر في العصر
٢٠٥ - ٢٨٤ العباسي . ولد في منبج قرب حلب ، ولزم المتوكل . ألف الحماسة على غرار حماسة أبي تمام .

ابن بسام : أبو الحسن ، علي بن بسام . نشأ في مدينة شنترين في غربي
٠٠٠ - ٥٤٢ الأندلس . كاتب حسن الأسلوب ، ومؤلف جيد المنهج ووزير . له « الذخيرة » .

البصري : صدر الدين ، أبو الفرج بن الحسن البصري ، عاصر أواخر
٠٠٠ - ٦٥٩ أيامه نكبة بغداد ، وقتل مع من قتل في حلب عندما داهمها التتر . له مختارات « الحماسة » .

الباخرزي : أبو القاسم ، علي بن الحسن . وباخرز من نواحي نيسابور
٠٠٠ - ٤٦٧ خراسان . أديب شاعر . زار بغداد . له ديوان شعر ، وكتاب « دمية القصر » وهو بمثابة ذيل ليتيمة الدهر .

البارودي : محمود سامي بن حسن حسني . جركسي الأصل . ولد في
١٢٥٥-١٣٢٢ القاهرة . وزير قائد . شاعر جزل . أول من نهض بالشعر من كبوته في فجر النهضة العربية الحديثة .

التبريزي : أبو زكريا ، يحيى بن علي . تلميذ أبي العلاء المعري وعبدالقاهر
٤٢١ - ٥٠٢ الجرجاني . عاش في بغداد ، وبرع في اللغة والنحو . عني بالتأليف وشرح كثيراً من الدواوين .

أبو تمام : حبيب بن أوس الطائي . ولد بقرية جاسم في حوران ببلاد
١٩٨ - ٢٣١ الشام . من شعراء الطبقة الأولى المجددين ، اشتهر باختياره مجموعة الحماسة .

ثعلب : أبو العباس ، أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني بالولاء .
٢٠٠ - ٢٩١ امام الكوفيين في النحو واللغة والحديث . له « الفصيح » و « المجالس » .

الثعالبي : أبو منصور ، عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري .أديب
٣٥٠ - ٤٢٩ حسن الذوق ، متمكن في اللغة وأسرارها . له « يتيمة الدهر » ، « فقه اللغة وسر العربية » .

الجرجاني : أبو بكر ، عبد القاهر بن عبد الرحمن ، أصله من جرجان
٠٠٠ - ٤٧١ بين طبرستان وخراسان . واضع أصول البلاغة . لغوي ناقد شاعر . له « اسرار البلاغة » ، « دلائل الاعجاز » .

ابن جني : أبو الفتح ، عثمان بن جني . حذق النحو والتصريف واللغة،
٣٢٨ - ٣٩٢ والتحق ببلاط سيف الدولة ولزم المتنبي . مؤلفاته كثيرة تنم على أصالة ، له « الخصائص » .

الجاحظ : أبو عثمان ، عمرو بن بحر . قمة في البيان والنثر الفني ،
١٥٩ - ٢٥٥ وإمام في التأليف ، ورأس من فرقة المعتزلة . ترك نحواً من ٣٦٠ كتاباً .

الجوهري : أبو نصر ، اسماعيل بن حماد . أصله من بلاد الترك من
٣٣٢ - ٤٠٠ فاراب متقد الذكاء ، إمام في اللغة ، حسن الخط . ألف « الصحاح » في نيسابور .

الحصري : أبو إسحق ، ابراهيم بن علي الحصري القيرواني . نشأ في
٠٠٠ - ٤٥٣ مدينة القيروان بالمغرب . مؤلف ، ناثر بليغ يتأنق فيعبارته. له « زهر الآداب » .

الحظيري : أبو المعالي ، سعد بن علي بن القاسم . نشأ في بغداد وعمل
٠٠٠ - ٥٦٨ في الوراقة . أديب شاعر . له «زينة الدهر في لطائف شعراء العصر » ذيّل به دمية القصر للباخرزي .

حماد الرواية : أبو القاسم ، حماد بن ميسرة . ولد بالكوفة من أصل
٩٥ - ١٥٥ ديلمي . عالم بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها. أول من لقب بالراوية .

الحميدي : أبو عبد الله ، محمد بن فتوح . من أكبر مؤرخي الأندلس.
٠٠٠ - ٤٨٨ عالم في الفقه والحديث . أخذ عن ابن حزم . ورحل الى المشرق واستقر مقامه في بغداد .

حاج خليفة : مصطفى بن عبد الله . عالم تركي جليل . ولد في استامبول
١٠١٧-١٠٦٧ حفظ القرآن وجوده ، برع في التأليف وكان حسن الخط. مجيد للعربية والتركية والفارسية .

الخطيب البغدادي : أبو بكر ، أحمد بن علي . ولد في غُزيّة بين الكوفة
٣٠٢ - ٤٦٣ ومكة . نشأ في بغداد وتنقل بين الحجاز والشام . حافظ للقرآن والحديث ، مؤرخ ، أديب ، مؤلف .

خلف الأحمر : أبو محرز ، خلف بن حيان . من علماء البصرة في اللغة
٠٠٠ - ١٨٠ والنحو ورواية الشعر القديم . وصم بوضع الشعر ونسبته الى القدماء . من تلاميذه الأصمعي وابن سلام وأبو نواس .

الخليل : أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي
١٠٠ - ١٧٠ الازدي . في مقدمة رواد العربية إمام البصريين في اللغة والنحو واضع علم العروض ، وصانع أول معجم في العربية .

ابن خير : أبو بكر ، محمد بن خير بن عمر بن خليفة . ولد في اشبيلية
٥٠٢ - ٥٧٥ وتنقل في سائر مدن الاندلس . لازم شيوخ العلم ، وعرف بسعة اطلاعه . له « الفهرست » .

ابن دريد : أبو بكر ، محمد بن الحسن . عالم جليل في اللغة ومن أئمة
٢٢٣ - ٣٢١ البصريين . عرف برقة شعره ، قيل إنه « اشعر العلماء وأعلم الشعراء » من تلاميذه : الاصفهاني والقالي والسيرافي وابن خالويه . له « الاشتقاق » و « الملاحن » و« الجمهرة » .

الرازي : زين الدين ، محمد بن أبي بكر . أصله من الري . فقيه ،
٠٠٠ - ٦٦٦ لغوي . له « شرح المقامات الحريرية » و « مختار الصحاح» .

الزبيدي : أبو بكري ، محمد بن الحسن . تلميذ القالي عالم كبير في
٣١٦ - ٣٧٩ اللغة والادب ، وشاعر ذاع شأنه في اشبيلية ، ثم دعاه « الحكم » الى قرطبة . له « مختصر كتاب العين » .

الزَّبيدي : أبو الفيض ، محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الحسيني .
١١٤٥-١٢٠٥ ولد في بلدة وراء نهر الغانج بالهند ، ثم رحل الى اليمن وأقام في بلدة زبيد ، حيث الف « تاج العروس » واستقر به المقام في مصر .

الزجَّاج : أبو اسحق ابراهيم بن السري . ولد في بغداد . وعمل في
٢٤١ - ٣١١ صناعة الزجاج . لغوي نحوي على مذهب البصريين تتلمذ على المبرد . له « معاني القرآن » « الاشتقاق» ، « فعلت وأفعلت » .

الزركلي : خير الدين بن محمود. ولد في بيروت من أبوين دمشقيين .
١٣١٠ هـ — شاعر مجيد وكاتب . له « ديوان شعر » ، و « عامان في
١٨٩٣ م — عمان » و « مارأيت وما سمعت » و« الاعلام » .

الزمخشري : ابو القاسم ، محمود بن عمر . ولد في زمخشر من قرى
٤٦٧ - ٥٣٨ خوارزم . عالم فذ متعدد المواهب . له « الكشاف » في التفسير و « المفصل » في النحو ، و « الفائق » فيالحديث، و « أساس البلاغة » في اللغة .

السكري : أبو سعيد ، الحسن بن الحسين عالم في اللغة والنحو ،
٢١٢ - ٢٧٥ وراوية للشعر . عني بصناعة دواوين الشعراء وأشعار القبائل .

ابن السكيت: أبو يوسف ، يعقوب بن اسحق . يقال إن أباه كان كثير
١٨٦ - ٢٤٤ السكوت أخذ عن أبي عمرو الشيباني والفراء وابن الأعرابي .
له « الألفاظ » و « الأضداد » .

ابن سلام : أبو عبد الله ، محمد بن سلام الجمحي . ولد بالبصرة وعاش
١٣٩ - ٢٣٢ في بغداد . عاصر الأصمعي والمفضل وتتلمذ عليهما . لغوي
كبير وناقد حسن الذوق .

ابن سيده : أبو الحسن ، علي بن اسماعيل . كان ضريراً . لغوي
٣٩٨ - ٤٥٨ أندلسي كبير . له « المخصص » و « المحكم والمحيط الأعظم »
في اللغة .

السيرافي : أبو سعيد ، الحسن بن عبد الله . ولد بسيراف في فارس .
٢٠٠ - ٢٦٨ رحل الى بغداد . برع في اللغة والنحو على مذهب البصريين
له « شرح كتاب سيبويه » .

السيوطي : جلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر . ولد في أسيوط
٨٢٩ - ٩١١ بمصر . عالم فذ متنوع الجوانب ، عرف بغزارة انتاجه وبلغت
مؤلفاته نحو ٥٠٠ كتاب . له « المزهر » في اللغة .

ابن الشجري : أبو السعادات ، هبة الله بن علي . من أبرز النحاة والأدباء
٤٥٠ - ٥٤٢ في عصره . كان نقيب الطالبين . ولد في قرية شجرة من
أعمال المدينة ، أو في بغداد . له « الأمالي » في النحو .

الشريف المرتضى : أبو القاسم ، علي بن الطاهر نقيب الطالبيين . شاعر ،
وعالم في الكلام والفقه والأدب واللغة . أخوه الشريف
الرضي . له « الأمالي » وديوان شعره .

الشيباني : أبو عمرو ، اسحق بن مرار . شيباني بالولاء . في طليعة
٩٤ - ٢٠٥ علماء الكوفة . قصد الى بغداد . وبرع في اللغة ورواية
الشعر . له «الجيم» في اللغة و « النوادر » .

الصولي : أبو بكر ، محمد بن يحيى بن عبد الله . ولد في بغداد .
.. - ٣٣٥ كاتب ، أديب ، عالم بالتفسير والحديث والكلام والشعر .
اخذ عن ثعلب والمبرد . له « الأوراق » و « أخبار أبي
تمام » و « أدب الكتاب » .

ابن عبد ربه : أبو عمر ، أحمد بن محمد بن عبد ربه . نشأ في قرطبة .
٢٤٦ - ٣٢٧ أديب شاعر حسن الثقافة . اهتم بالعروض والموسيقى والتاريخ
والأدب . وعاصر في كهولته الخليفة الأندلس الناصر .

أبو عبيدة : : معمر بن المثنى . في مقدمة العلماء الرواد في البصرة .
١١٠ - ٢٠٩ عاصر الخليل وأبا زيد الأنصاري . واسع الاطـــلاع على
اخبار العرب وأيامهم .

العسكري : أبو هلال ، الحسن بن عبد الله . ولد في عسكر مكرم .
... - ٣٩٥ عالم في الأدب والنقد والبلاغة والشعر واللغة . له « سر
الصناعتين » و « جمهرة الأمثال » .

العكبري : أبو البقاء ، عبد الله بن الحسين . ولد في بلدة عكبرة على
٥٣٨ - ٦١٦ الدجلة . لغوي ونحوي ، له « شرح ديوان المتنبي » ،
«إملاء ما منّ به الرحمن من اعراب القرآن » .

ابن العلاء : أبو عمرو ، زبّان بن العلاء . أحد القراء السبعة . من
٦٥ - ١٥٤ الأئمة الرواد في البصرة . استاذ الخليل والأصمعي وأبي عبيدة.
راوية كبير لأخبار العرب وأيامهم وأشعارهم .

العماد الاصفهاني : عماد الدين محمد بن محمد . ولد في اصبهان . أديب
٥١٩ - ٥٩٧ وكاتب بليغ الأسلوب ومؤرخ وشاعر . اتصل بنور الدين وصلاح الدين . توفي في دمشق . له « خريدة القصر وجريدة العصر » .

الفراء : أبو زكريا ، يحيى بن زياد . من اصل ديلمي ومولى بني أسد.
١٤٤ - ٢٠٥ ولد بالكوفة . تلميذ الكسائي من أعلم الكوفيين في النحو واللغة وأخبار العرب . له « معاني القرآن » .

ابن فارس : أبو الحسين ، أحمد بن فارس الرازي نسبة الري في العراق
٣٢٩ - ٣٩٥ من تلاميذه بديع الزمان والصاحب بن عباد . إمام في اللغة. له معجم « مقاييس اللغة » و « المجمل » .

الفيروزآبادي: أبو طاهر مجد الدين ، محمد بن يعقوب ، ولد في قرية قرب
٧٢٩ - ٨١٧ شيراز . من أشهر علماء اللغة . عاصر تيمورلنك ونال عطاءه. له « القاموس المحيط » .

ابن قتيبة : أبو محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . عالم
٢١٣ - ٢٧٦ أديب ، متعدد الجوانب ألف في علوم القرآن والحديث والأدب والنقد ، واللغة . له « أدب الكاتب » ، « الشعر والشعراء » « عيون الأخبار » .

قدامة بن جعفر: أبو الفرج ، كاتب ، ناقد ، عالم في المنطق والفلسفة واللغة
... - ٣٣٧ والشعر . له « جواهر الألفاظ » و « نقد الشعر » وينسب اليه « نقد النثر » .

القرشي : أبو زيد ، محمد بن أبي الخطاب ، من رجال القرن الثالث
... - ٢٣٠؟ ولا نعرف الكثير عن حياته لأن كتب التراجم لم تترجم له .

قطرب : أبو علي ، محمد بن المستنير . تلميذ سيبويه . عالم بصري
... - ٢٠٦ في اللغة والنحو . له « المثلثات » في اللغة « النوادر »
« الأضداد » .

القفطي : جمال الدين أبو الحسن ، علي بن يوسف . ولد في بلدة قفط
٥٦٨ - ٦٤٦ في صعيد مصر . عاصر صلاح الدين والقاضي الفاضل .
استقر به المقام في حلب حيث اتصل بياقوت .

القلقشندي : أبو العباس ، احمد بن علي . ولد في قلقشندة بمصر . عالم
٧٥٦ - ٨٢١ في الفقه ، وكاتب بليغ يؤثر التصنيع في نثره . ترأس ديوان
الانشاء في مصر .

القالي : أبو علي ، اسماعيل بن القاسم . ولد في منازجرد في
٢٨٨ - ٣٥٦ أرمينية ، وقصد الى بغداد وتتلمذ على ابن دريد وأبي بكر
ابن الأنباري ثم رحل الى الأندلس . له « البارع » في
اللغة و « الأمالي » .

اللغوي : أبو الطيب ، عبد الواحد بن علي . ولد في عسكر مكرم
... - ٣٥١ في نواحي خوزستان ثم قصد بغداد فبلاط سيف الدولة .
قتله جند الدمستق حين استباح الروم حلب . له « شجر
الدر » و « الاتباع » و « الابدال » .

المبرد : أبو العباس ، محمد بن يزيد . ولد في البصرة ، ثم رحل
٢١٠ - ٢٨٥ الى بغداد وصار إمام المذهب البصري في النحو واللغة .
كان متمكناً في الأدب والأخبار . له « المقتضب » في النحو.

المرزباني : أبو عبيد الله ، محمد بن عمران . أصله خراساني وأحد
٢٩٧ - ٣٨٤ اجداده يدعى « المرزبان » أي السيد الجليل القدر . ولد
ببغداد كان علاّمة وراوية للأدب والأخبار . له « الموشح »
و « معجم الشعراء » .

المرزوقي : أبو علي ، أحمد بن محمد . ولد في أصبهان . تتلمذ على أبي
٠٠٠ - ٤٢١ علي الفارسي . لغوي ونحوي وناثر وناقد . له « شرح حماسة
أبي تمام » « شرح المفضليات » « شرح أشعار هذيل » ،
« الأمـالي » .

المفضل الضبي : المفضل بن محمد بن يعلى الكوفي . علاّمـة لغوي راوية
١١٠ - ١٧٨ للأخبار والآداب وأيام العرب موثق في روايته .

المقرى : أحمد بن محمد . ولد بتلمسان في الجزائر . ثم ترحل الى
٩٩٢ - ١٠٤١ فارس ثم قصد الى الحج وزار القدس ودمشق واستقر في
مصر ، ودرّس بالأزهر . من أبرز رجال السلف الصالح
المتأخرين .

ابن منظور : أبو الفضل جمـال الدين ، محمد بن مكرم بن منظور
٦٧٠ - ٧١١ الأنصاري . ولد بمصر وخدم في ديوان الانشاء . له « مختار
الأغاني » و « لسان العرب » .

ابن النديم : أبو الفرج ، محمد بن اسحق ، عاش في بغداد . وعمل في
٠٠٠ - ٤٣٨ الوراقة . نسب اليه التشيع والاعتزال . تتلمذ على أبي الفرج
الاصبهاني . واشتهر بـ « الفهرست » .

النضر بن شميل : أبو الحسن . ولد بالبصرة ثم رحل الى خراسان وتوفي
٠٠٠ - ٢٠٤ في مرو . أخذ عن الخليل وفصحاء العرب . كان نحوياً

ولغوياً وراوية للحديث وأيام العرب . له « الابل » ، خلق الانسان » .

النويري : شهاب الدين ، أحمد بن عبد الوهاب . ولد بأخميم في مصر
٦٧٧ - ٧٣٣ واشترك في حروب المماليك ، وعاصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون . ويعد مؤرخاً فضلاً عن كونه أديباً .

ياقوت : أبو عبدالله ، ياقوت بن عبد الله . مولى رومي الأصل ،
٥٧٤ - ٦٢٦ بغدادي الدار . عرف بذكائه . استقر به المقام في حلب . له « معجم الأدباء ، معجم البلدان » .

يونس : أبو عبد الرحمن ، يونس بن حبيب ، وحبيب اسم أمه .
٩٧ - ١٨٥ نحوي كبير ولغوي وراوية . له « معاني القرآن ، النوادر » .

المحتوى

تقـديم	٣
المدخل : حركة التدوين والتأليف	٥
الفصل الاول : مجموعات الشعر	١٧
المفضليـات	٣٣
الأصمعيـات	٣٧
السبـع الطوال	٣٩
جمهرة أشعار العرب	٤٢
ديوان الهذليين	٤٨
حماسة أبي تمـام	٥٢
الحماسة الصغرى	٦٠
حمـاسة البحتري	٦٤
حمـاسة ابن الشجري	٧٠
مختارات ابن الشجري	٧٢
الحمـاسة البصرية	٧٤
مختـارات البارودي	٧٦

رقم الصفحة

الفصل الثاني : كتب الأدب	٨١
تمهيد	٨٣
كتاب الحيوان	٨٥
البيان والتبيين	٩١
الكامل	٩٦
عيون الأخبار	١٠١
العقد الفريد	١٠٨
كتاب الامالي	١١٥
كتاب الاغاني	١٢٢
زهر الآداب	١٢٧
نهاية الأرب	١٣٠
صبح الاعشى	١٣٣
نفح الطيب	١٣٥
الفصل الثالث : كتب التراجم	١٣٩
تمهيد	١٤١
١ ـ تراجم الشعراء والأدباء	١٤٣
طبقات الشعراء	١٤٣
الشعر والشعراء	١٤٨
المؤتلف والمختلف	١٥١

	رقم الصفحة
معجم الشعراء	١٥٤
يتيمة الدهر	١٥٦
الذخـــــيرة	١٦١
معجم الادباء	١٦٥
٢ ـ تراجم اللغويين والنحويين	١٦٨
مراتب النحويين	١٧١
طبقات النحويين واللغويين	١٧٣
نزهة الألبـاء	١٧٨
انبـاه الرواة	١٨١
بغيـــــة الوعاة	١٨٣
٣ ـ كتب التراجم العـامة	١٨٦
الفهرست	١٨٨
فهرست ابن خير	١٩٥
تاريخ بغداد	١٩٩
جذوة المقتبس	٢٠٣
كشف الظنون	٢٠٥
الأعـــلام	٢٠٩
الفصل الرابع : كتب اللغة	٢١٥
جمع اللغـــة	٢١٧

رقم الصفحة

كتب الغريبين	٢٢١
كتب النوادر	٢٢٣
كتب الهمز	٢٢٥
كتب الحيوان	٢٢٦
كتاب النوادر	٢٢٨
النوادر في اللغة	٢٣١
كتاب الاضداد	٢٣٣
الاضداد في كلام العرب	١٣٧
اصلاح المنطق	٢٣٩
فقه اللغة	٢٤٥
المخصص	٢٥٠
الفصل الخامس : المعاجم	٢٥٥
كتاب العين	٢٥٧
البارع	٢٦٧
تهذيب اللغة	٢٧٠
جمهرة اللغة	٢٧٤
مقاييس اللغة	٢٨٠
الصحاح	٢٨٦
لسان العرب	٢٩٢
القاموس المحيط	٢٩٤

رقم الصفحة

تاج العروس	٢٩٧
أساس البلاغة	٢٩٩
المعاجم الحديثة :	٣٠٥
محيط المحيط . أقرب الموارد . البستان . المنجد . متن اللغة . الوسيط .	
معجم المؤلفين	٣١٥
المحتوى	٣٢٧

* * *

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
حلب ١٩٦٨